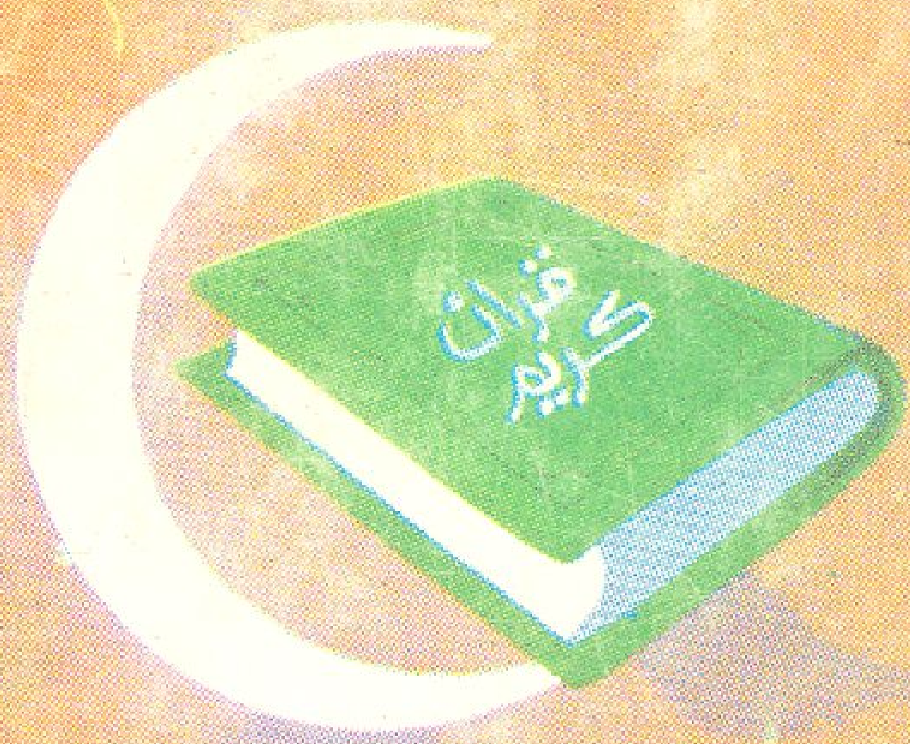


الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر

"دراسة وثائقية"

د. خالد محمد نعيم
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة المنيا



كتاب المختار

الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر

(١٧٥٦ - ١٩٨٦)

"دراسة وثائقية"

د. خالد محمد نعيم

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الآداب - جامعة المنيا

الناشر



للنشر والتوزيع والتصدير

١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة

القاهرة ت ٩١١٣٧١

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

تقديـــم

هذا الكتاب من أكثر الكتب أهمية خلال السنوات الأخيرة فهو يطرق مجالاً قلما إقتحمه أحد من المؤرخين المعاصرين إما لعدم الإهتمام بذلك الجانب الحساس من التاريخ المصرى الحديث أو لعدم الرغبة فى تسليط الضوء على ناحية تاريخية قد تقلب الكثير من التصورات التقليدية عن تاريخ مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ومنها الزعم بعدم وجود مخطط تنصيرى موجه لعموم الشعب المصرى أو أن العلمانية قد تمكنت من فكر ومشاعر البلاد إلى حد لم يلتفت معه أحد إلى خطر هيئات التنصير .

ويحمد للدكتور خالد نعيم أنه قد إقتحم هذه الناحية المنسية من تاريخ مصر فجاءت دراسته لها موضوعية علمية ترتكن على الحقائق والوقائع وتعتمد على الوثائق والمصادر ، وقد تجنب بذلك ما شاب العديد من الكتابات السابقة التى طرقت مثل هذا الموضوع دون بحث كاف وتغطية وافية للخلفيات واستعداد علمى بالمراجع والأدلة .

ومفتاح فهم تاريخ عملية التنصير فى مصر يكمن كما أوضح

الدكتور نعيم فى هذا الكتاب فى عدة عوامل مترابطة ، فهناك النور الغريب لحكام القرن التاسع عشر الذين مكنوا الأجانب والمستعمرين والمنصرين من البلاد وتركوا لهم حرية العمل على إفساد العقائد والتغلغل بين أفراد الشعب بل وأعانوهم على ذلك كما يوضح بالتفاصيل الدقيقة ، وبجانب ذلك فكان هناك عون سلبى للمنصرين من أولى الأمر عموماً يتمثل فى إهمال الرعاية الصحية وتوفير العناية بالتعليم والثقافة الإسلامية مما فتح أمام هيئات التنصير باب العمل واسعاً على إستغلال حاجات الناس الملحة والدخول إليهم منها ومازال هذا هو رأيهم إلى يومنا هذا على الرغم من إحتكار الحكومة لوسائل ومرافق الخدمات المختلفة إلا ان إنهيارها وسوء إدارتها وانعدام الإحساس بالهدف الإسلامى الأسمى من تقديم هذه الخدمات يمنح المنصرين فرصاً ذهبية للإستغلال .

ويلفت النظر فى بحث الدكتور نعيم تلك الصلة العضوية بين هيئات المنصرين وبين حكومات دول الغرب ممثلة فى مبعوثيها الدبلوماسيين الذين قدموا لهم كل المساعدات الممكنة مما يعد إسقاطاً للمفاهيم العلمانية التى كانت تبشر بها تلك الدول نفسها فى ذلك الوقت فى مستعمراتها والدول الإسلامية الواقعة تحت نفوذها .

وإذا كان الدكتور نعيم يركز فى تأريخه لحركة التنصير على دور

الحكام والهيئات الأجنبية فى التمكين لهم فإنه فى أقسام من هذه الدراسة يفصل ويوضح دور الشعب المصرى الباسل وعلماءه المسلمين فى التصدى لهذه الظاهرة فى وقت كان الإستعمار فيه يهيمن على الكثير من مقدرات البلاد .

ولا ريب أن الصورة العامة التى تخرج من هذا الكتاب تدحض ذلك التصور العام للتاريخ المصرى الحديث الذى دأبت العديد من الدراسات بأقلام المؤرخين العلمانيين على ترسيخها فى الأذهان منذ حوالى النصف قرن أو يزيد . وهذه الصورة تصور التاريخ المصرى القريب فى شكل صراع بين طرفين أحدهما خير والآخر شرير . والخيرون هم الأجانب والمستعمرون الذين إفتتحوا عصر الحضارة والحداثة فى مصر منذ عهد الحملة الفرنسية ولولا نفوذهم الفكرى والتعليمى (وهو فى معظمه تنصيرى كما تبين هذه الدراسة) لما عرفنا مفاهيم الحرية والديموقراطية والعقل والإستنارة والتقدم بل ولما عرفنا كيف ندرس ونبحث وننقب وننقد فى تاريخنا وتراثنا وديننا وعقيدتنا . أما الأشرار فى الصورة التى سعى التيار اللادينى بين المؤرخين إلى تثبيتها فى الأذهان فهم المسلمون عموماً وعلماء الأزهر وطلائع النهضة الإسلامية على وجه الخصوص إذ يوصف هؤلاء دوماً بالرجعية والتعصب والتطرف والتحفز للإنقضاض على الأجانب والمسيحيين بلا ذنب ولا جريرة .

لكن الدرس الموضوعى للدكتورَ نعيم فى هذا الكتاب يبين أن الصورة لم تكن على هذا النحو من الميلودرامية ، فالأجانب لم يكونوا أبطال نشر الفكر والثقافة من خلال مؤسساتهم التعليمية بل كانوا يعملون فى معظمها على بث مفاهيمهم وعقيدتهم فى نفوس وأذهان المصريين المسلمين ، والمصريون المسلمون لم يكونوا دعاة تعصب أو تجن على الغير بل مدافعين عن تراثهم وعقيدتهم ودينهم وقد تحلوا بالتسامح والصبر حتى وهم يواجهون بأشد الإستفزازات همجية ووقاحة .

ولا يقدم هذا الكتاب تاريخاً ماضياً فحسب بل يسير مع حركة التنصير من جذورها وأصولها ويتتبعها حتى الحاضر فتلمح أوجه التشابه والاستمرارية . فالتغلغل المسنود بالأطماع الاستعمارية والمتسربل بتقديم خدمات صحية وتعليمية مازال هو الطابع المسيطر على عمل المؤسسة التنصيرية وغفلة الحكم مع تواطؤ القوى العلمانية مازالت من أقوى العوامل المساعدة على تمكين هذه المؤسسة من العمل داخل البلاد . ولا جدال فى أن ضرب المؤسسات الخدمية الصحية والتعليمية الإسلامية تحت مسميات عدة إنما يهدف فى الحقيقة إلى فتح أبواب البلاد مرة أخرى لغزوة تنصيرية شرسة لأنه مع تدهور هذه القطاعات حكومياً فلن يكون أمام الجماهير الفقيرة والمعوزة والمريضة التى لا تجد معيناً سوى اللجوء إلى مؤسسات الأجانب ومعوناتهم والوقوع

من جديد فى حبائل المؤسسات التنصيرية كما كان الحال فى الماضى .

وقد أحسن المؤلف فى عرضه الموضوعى المتزن لموقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية خلال فترة الدراسة وقد لفت الأنظار إلى اتجاه مقلق ساد مؤخراً يتمثل فى تعميق أواصر الارتباط بالحركات النصرانية والتنصيرية الدولية العاملة على ساحة عالمية أو قارية مما يعرض هذه الكنيسة لأخطار الإختراق والاندماج فى مخططات هذه الحركات التى لن تكون إلا معادية لمصر وسائر بلدان العالم الإسلامى مما ينذر بعواقب وخيمة تهدد الوحدة الوطنية وتثير نعرات طائفية معادية للإسلام والمسلمين

وهكذا يرتبط الهم المعاصر فى كتاب الدكتور نعيم مع البحث التاريخى الصرف – إن جاز التعبير – فى سياق موفق من الفائدة للقارئ . إن هذا الكتاب لا يسد فقط ثغرة هامة فى مجال الدراسات التاريخية بل هو أيضاً يطرح مشكلة التنصير وحملاته وغاراته على مصر بشكل موضوعى جيد البحث مرتب العرض متسلسل الأفكار لا يمل منه القارئ أبداً ويتعانق فيه تفصيل المادة التاريخية والوثائقية مع العرض العام والرؤية الشاملة لمسألة التنصير فى مصر خلال حقبة تاريخية معينة .

ولعل هذا الكتاب يكون فاتحة من خلال إقدامه على تغطية مساحة تاريخية بيضاء ومن خلال منهجه العلمى الرصين لكثير

من المحاولات والدراسات فى هذا الصدد وبهذه الرؤية تنقذ كتابة التاريخ المصرى المعاصر من أن تكون حكراً على أقلام تسير فى ركاب المنصرين أو المستشرقين أو المستعمرين الغربيين والشرقيين ، وكفى بالدكتور خالد نعيم فخراً أن يقدم للمكتبة المصرية مثل هذا العمل الرائد الذى أسأل الله أن يهبه القدرة والإلهام والمثابرة على أن يضيف الكثير غيره من الدراسات المطلوبة للكتابة التاريخية .

د. محمد يحيى
١٩٨٨/٦/١٠
القاهرة

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ .

صدق الله العظيم

تمهيـــد

إن آخر محاولات الغرب لحصار الإسلام فى عقر داره – كما اعتقدوا – هو سلسلة الإرساليات (التبشيرية) التى طوقت جزيرة العرب ، والعالم الإسلامى ، فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن . ومن البداية نتفق ، بأن وصف هذه الإرساليات (التبشيرية) ، وصف خاطئ ، فإنه مما يتنافى مع الدقة فى الصياغة اللفظية استخدام كلمة (تبشير) ومشتقاتها ، مثل (مبشر) و (نشاط تبشيرى) ، بمعنى تحويل المسلمين – وهم أتباع دين سماوى – إلى المسيحية . وإذا كانت كلمة (تبشير) ومشتقاتها ، قد تصلح بمعنى تحويل الوثنيين ، على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم ، إلى المسيحية – وهى دين سماوى – فإن كلمة (تبشير) لا يجوز إستخدامها على أى نحو من الأنحاء ، بمعنى تحويل المسلم إلى المسيحية فى جزيرة العرب ومصر ، وذلك لأن النصوص القرآنية هى الفيصل فى هذه المسألة .

قال الله سبحانه وتعالى ، فى كتابه العزيز : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾ (سورة الأحزاب ، الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقروه وتسبحوه بكرة ، وأصيلا ﴾ – (سورة الفتح ، آية ٨) .

وتأسيساً على النص القرآنى ، نقول الإرساليات التنصيرية ، الغربية المسيحية ، التى كانت تهدف – بالدرجة الأولى – تحويل المسلمين إلى المسيحية ، فى جزيرة العرب ومصر والسودان والشام وشمال افريقية ، وحتى فى الهند ، وجنوب شرق آسيا ، وأوربا والأمريكتين (حيث يتواجد المسلمون) . ونقول كذلك ، ان نشاط هذه الإرساليات التنصيرية لم ينته – كما يتصور البعض – وإنما لا يزال خطرها قائماً فى كل البلدان الإسلامية ، ومؤتمرات المُنصرين تنعقد ، والنشاط التنصيرى مايزال مستمراً ، وذلك عن طريق الإرساليات المنتشرة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، والتى تقوم بمحاولات صليبية لإخراج المسلمين عن الإسلام ، عن طريق ما تطبعه وتوزعه من ملايين الكتب والكتيبات والمنشورات ، بما تحمله من تهجم وطعن فى الإسلام ورسول الإسلام ، وبتحريف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، بالإضافة إلى توزيع المنشورات التى تدعو المسلمين إلى استماع الإذاعات الصليبية فى العالم .

ومن المعروف أن أنشط هذه الإرساليات التنصيرية ، فى هذا المجال ، على المستوى الدولى ، هى (منظمة مركز الشبيبة النصرانى) فى مدينة (بال) بسويسرا . و (منظمة نداء الرجاء بشتوتجارت) بألمانيا وهولندا ولبنان وفرنسا والولايات المتحدة . ومن أشهر الكتب التى توزعها إرساليات التنصير ، كتاب (ميزان الحق) ، لمؤلفه المُنصِّر دكتور غاندر ، وكتاب (الصليب فى الإنجيل والقرآن) لمؤلفه (إسكندر جيد) ، وكتاب (شخصية المسيح فى الإنجيل والقرآن) ، وهذه الكتب بما تحملها من أفكار تسلك الخبث والمكر والدهاء فى عقول المسلمين ، لإقناعهم وتحويلهم إلى عقيدتهم ، وبالتالى فإن محورها هو القضاء على الإسلام والمسلمين .

ولا تزال الأحقاد والأطماع النصرانية ، تتربص ، بعض مناطق أفريقيا ، وبصفة خاصة ، (نيجيريا) ، بإعتبارها أكبر دولة إسلامية فى القارة

الأفريقية ، وبدأت الإرساليات التنصيرية ، تهدد الإسلام فيها ، حيث تمتلك هذه الإرساليات الغربية ، أعداداً ضخمة من المدارس والمؤسسات ، إلى جانب المحطات الإذاعية ، التى تذيع برامجها باللغة العربية . وفى تقرير عن (النظام التعليمي فى نيجيريا) ، تبين « أن الكنائس والهيئات التنصيرية تهيمن على قطاعات كبيرة من المدارس التابعة لهذا النظام . وفى المدارس التابعة (للمبشرين) والكنائس ، يُجبر التلاميذ المسلمون على إعتناق المسيحية ، وإلا طردوا من المدرسة » .

كما تقوم جماعات من المُنصرين ، بأعمال لا يقرها عقل ولا دين ؛ فهم يحصلون على الأطفال بشتى الطرق والوسائل ويدخلونهم الكنيسة حيث يلقنونهم النصرانية لمدة أحد عشر عاماً ، وبعدها يتخرج كل منهم برتبة قسيس أو « ابن الكنيسة » – كما يسمونهم – وهذا ان دل على شئ ، فإنما يدل على حقدهم البغيض على الإسلام والمسلمين ، وعلى أن لهم أهدافاً خطيرة ضد الصحوة الإسلامية .

وفى (لبنان) قامت بعض (العصابات) التنصيرية ، ببيع حوالى ألفىّ يتيم من أبناء المسلمين إلى المؤسسات التنصيرية فى أوربا والولايات المتحدة ، مع أن الدول الإسلامية حول لبنان غنية وقادرة على إحتضان هؤلاء الفقراء من أبناء المسلمين .

وفى (بنجلاديش) ، يستخدم (المبشرون) أسلوباً جديداً للوصول إلى جمهورهم المستهدف ، من الفلاحين المسلمين الأميين ، ألا وهو أشرطة الكاسيت . وقد لجأوا إلى نوع جديد من أجهزة تشغيل الأشرطة ، لا يعتمد على الكهرباء أو البطارية ، وذلك ليتمكنوا من الوصول إلى المناطق البعيدة ، وبتكلفة محدودة . ويقوم هذا الجهاز الجديد على التشغيل اليدوى ، مثل أجهزة تشغيل الأسطوانات القديمة ، وعلى الرغم من أن عدد الكاثوليك فى

(بنجلاديش) لا يزيد عن ١٧٠ ألف من بين ٩٥ مليون مسلم ، وهذا عدد قليل جداً ، فإن الكنيسة الكاثوليكية الأجنبية ، هي التي تدير عشرات المدارس ، من مستوى الحضانة إلى التعليم المتوسط ، وعشرات المستشفيات والمستوصفات ، المتنوعة الإختصاص ، والملاجئ . وتقيم الكنيسة - كذلك - معاهد فنية ، وبنوكاً للتسليف . ومع كل ذلك ، كانت الكنيسة تعانى من صعوبات بالغة فى تنصير المسلمين ، إلا أنها لجأت مؤخراً ، فى شهر نوفمبر عام ١٩٨٦ ، إلى برنامج جديد يتمثل فى الاستعانة بقساوسة يعرفون اللغة العربية ، ومعلومات عن الإسلام ، حتى يمكنهم التغلغل فى الأوساط الإسلامية . كما يسعى البرنامج إلى دعم العمل التنصيرى فى أوساط الأ... والنساء ، من خلال تقديم خدمات إجتماعية مختلفة .

وفى (الصومال) قام أحد (المبشرين) البلجيكيين ، بتبنى عدداً من الأطفال أبناء المسلمين ، يبلغ فى مجموعهم ٣٠٩٠٢ طفلاً ؛ كما وصل عدد أبناء المسلمين ، الذين يشرف المنصرون على تعليمهم فى أفريقيا ، نحو خمسة ملايين طالب وطالبة .

وعندما انعقد مؤتمر (مجلس الكنائس العالمى) فى مدينة (فانكوفر) ، بكندا فى عام ١٩٨٣ ، رفض الموافقة على توصية تدعو إلى سحب القوات السوفيتية من أفغانستان ، بل دعى إلى تعاقبها هناك . وفى تحرك مقابل ، قام السوفييت ، بتخفيف بعض القيود على النشاطات التنصيرية فى الاتحاد السوفيتى ، من ذلك السماح للكنيسة المعمدانية هناك ، بعقد مؤتمرها العام فى العاصمة (موسكو) . وقد تحدث بعض الحاضرين ، فى هذا المؤتمر ، « بأنه خلال الفترة (١٩٧٨ - ١٩٨٣) ، أى خلال الخمس سنوات التى انقضت منذ عقد المؤتمر الأخير ، تم تنصير حوالى ٤٠ ألفا من المسلمين . فى أرجاء الاتحاد السوفيتى ، وتم توزيع ١٢٠ ألف نسخة من (الإنجيل) ، وتم إنشاء ٢٦٨ كنيسة معمدانية » !!

أما فى (أندونيسيا) ، وفى مقاطعة (جاوا) الوسطى بالذات ، تبين أن الكتب المقررة على طلاب المدارس الابتدائية الإسلامية ، تحتوى على مواد تروّج للعقيدة المسيحية . ومن العبارات الواردة ببعض هذه الكتب ، ومنها قصص للأطفال ، جاء بها : « كيف نعلم الطفل فى مناهج يسوع المسيح ؟ » ، « يا يسوع ساعدنى » ، وغيرها كثيراً فى مدح القديس بولس . كما جاء بها صور تتحدث عن الصلاة بمعناها المسيحى ، وتبدو فيها الصلبان بوضوح ، وتحت عبارات تقول (فى مدرسة الأحد أغنى أناشيد الحمد والشكر ليسوع المسيح » !!

وفى مدينة (دكا) ، نشرت صحيفة (سنجيا) ، « أن البعثات التبشيرية ، نشطة جداً ، وتتلقى إعانات مالية ضخمة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وإسرائيل » . « وقد خصصت إحدى الهيئات (التبشيرية) فرق عمل خاصة للدعاية ، فى أوساط المسلمين فقط ، الموجودين فى بلدان غير إسلامية ، وفى خططها إستهدفت حوالى ٢٥ ألف مسلم من (البنغال) يعيشون فى مدينة (برمنهام) الإنجليزية . وتتضمن خطة عمل هذه الهيئة ، ثلاثة أهداف رئيسية ، الأول ؛ هو مصادقة العمال المسلمين المتعطلين ، ومحاولة كسبهم إلى المسيح .

والهدف الثانى ؛ هو إستخدام النساء غير المتزوجات ، لمصادقة النساء المسلمات ، وتعليمهم الحياكة ، واللغة الإنجليزية ، ورعاية الطفل ، والعقيدة المسيحية .

أما الهدف الثالث ؛ فهو إنشاء مقاهى حيث يجلسون مع المسلمين للمحادثة ، وعرض أفلام الفيديو المسيحية » .

« والآن إحتشد (جيش المبشرين) فى انتظار إشارة البدء فى أكبر عملية إستهدفت تحويل القارة الافريقية كلها ، إلى قارة مسيحية قبل عام ٢٠٠٠ ،

وتم رصد مبلغ ثلاثة مليار دولار ، من أجل تحقيق هذا الغرض سنوياً . جيش المُنصرين قوامه ١١٢ ألف منُصِّر ، والجميع ينتظرون إشارة البدء ، لكى تُصبح العملية التى أطلق عليها إسماً حركياً خاصا هو « عملية المسيح الكبرى » ، والتى أعلن أنها إستهدفت عملية تنصير جميع أبناء القارة الافريقية بدءاً من الآن وحتى عام ٢٠٠٠ م » . والحقيقة أنه منذ أن عرفت أفريقية الإسلام ، مع بدايات القرن الأول الهجرى ، وحتى اليوم ، وهى بالنسبة للعالم الإسلامى ، لاتزال ، ذلك (العالم المجهول) ، وليس أمامنا سوى الإعتراف ، ونحن آسفون ، بجهلنا التام بحاضرها وإحتمالات مستقبلها !!

وعلى الرغم من النداءات الكثيرة ، والمتكررة بضرورة إجراء دراسات عربية حول هذه القارة ، لما تربطنا بها من صلات كثيرة ، ثقافية وفكرية ، إلا أن معرفتنا تبقى مُنحصرة فى إطار المصادر الأجنبية الغربية ، ذات الخلفية والمنهج والتوجه الخاص . وحتى تتهيأ لنا سُبل المعرفة الحقيقية ، الخاصة . سوف نظل ننهل ثقافتنا عن ذلك (العالم المجهول) ، من خلال المصادر الغربية المسيحية .

على أية حال .. أكد (مجلس الكنائس الإنجيلية)، العاملة فى أفريقيا ، « بأنه يجب مضاعفة الجهود لمواجهة الإسلام فى أفريقيا » ، والطريف أن المجلس المذكور « إشتكى من أن أموال البترول تستخدم لنشر الإسلام فى أفريقيا » ، وأضاف « بأن الإسلام كان ينتشر فى الماضى بالقسر ، أما الآن فإنه ينتشر بقهر أموال البترول » .

ملحوظة :

« إشتركت كنائس أوغندا ، وكينيا ، تنزانيا ، نيجيريا ، وغرب أفريقيا ، وزائير ، وجنوب أفريقيا ، ومصر ، مع غيرها فى مؤتمر عقد فى (القاهرة) فى أواسط سبتمبر عام ١٩٨٦ ، بما يسمى (بمجلس الكنائس العالمى) ، ولقيت الترحيب والتشجيع رسمياً من الحكومة المصرية !!

وفى اكتوبر عام ١٩٨٦ ، أعلن (إتحاد جمعيات الإنجيل) ؛ وهو هيئة تنصيرية تضم جمعيات نشر الأناجيل ، ولها نشاط يمتد إلى ١٥٠ دولة ؛ « انه سيعمل على تغطية أفريقيا كلها بالأناجيل ، سواء المطبوعة أو المسجلة على أشرطة كاست . وقد تمت ترجمة الإنجيل إلى ٤٩٨ لغة أفريقية ومن المخطط له - قبل عام ٢٠٠٠ م - ترجمته إلى ٢٠٠ لغة أخرى » !!

وكان (مجلس الكنائس العالمى) قد قدم فى عام ١٩٨٥ ، مبلغ مليون دولار ، لما وصف بأنه (برنامج الخدمات التابع للكنيسة القبطية الأرثوذكسية . وهذا المجلس يعمد إلى ضخ الأموال إلى منطقة الشرق الإسلامى ، من خلال لجنة المعونة بين الكنائس واللاجئين والخدمة الدولية ، بالتعاون مع (مجلس كنائس الشرق الأوسط) . ومن بين هذه المشروعات ، التى يتبناها (مجلس الكنائس العالمى) ، بالتعاون مع (الكنيسة القبطية) ، منها ما هو ضخم ، كإعداد القيادات ، والرعاية الصحية ، والشباب ، والتنمية لسكان المناطق الريفية ، والمرأة . ومنها مشاريع صغيرة ، ذكر « أن أحدها كان يتضمن شراء سيارة لنقل التلاميذ ، فى إحدى مدارس الحضانة بمدينة (بورسعيد) » !!

تقوم إحدى الجماعات التنصيرية ، العاملة فى العالم الإسلامى ، ويُطلق عليها (الدعوة المسيحية فى الشرق الأوسط) ، بإعداد شرائط فيديو ، وشرائح مصورة ، للعرض على الذين تريد الوصول إليهم من المسلمين . وتتكون بعض هذه البرامج ، من أغانى وأناشيد دينية ، والبعض الآخر منها ، لمناظر طبيعية ، لبعض بلدان المنطقة ، ومنها (مصر) ، مُقترنة بمادة (تبشيرية) !!

ودليل المطبوعات المسيحية ، فى الشرق الإسلامى ، لعام ١٩٨٦ ، والذى ينشره (مجلس كنائس الشرق الأوسط) ، يقول : « أنه تنتشر فى منطقة (الشرق الأوسط) - وهى منطقة إسلامية - ١١٥ مجلة مسيحية ، و٦٩ دار

نشر مسيحية ، منها فى لبنان وحدها عشرون دارا ؛ كما توجد فى لبنان - أيضاً - وحده ، ثمانى محطات إذاعة مسيحية ، يمتلك الأرمن الأرثوذكس ثلاثة منها » .

كما ذكر ذات الدليل ، « أن مجلس كنائس الشرق الأوسط ، قد إفتتح فى قلب (القاهرة) معرضاً دائماً لبيع الكتب المسيحية المنشورة فى كافة أنحاء الشرق الأوسط ، ويقوم المعرض ، بتصدير تلك الكتب إلى محلات مماثلة ، فى لبنان وسوريا ودول الخليج » .

وأخيراً قد تم إلتقاط برقية صادرة من محطة (سيفرن الغربية) ، وتحمل هذه البرقية توجيهات محددة (للمبشرين) تقول ما معناه : « يمكنكم الآن التحرك بالرغم من وجود بعض المدافع والعقبات فى بعض الدول الإسلامية » ؛ وبالرغم من أن الحركة الإسلامية متصاعدة فى مصر ، إلا أن مؤشرات التنصير تدلل على خطورة الوضع هناك . فقد أصدر (الإتحاد القبطى الأمريكى) بياناً (حول الأوضاع فى مصر) ، نقلته مجلة (أخبار التبشير) ، جاء فيه ؛ « تحذير شديد مما وصف بذبح أو إستبعاد المسيحيين فى مصر ، إذا ما طبقت الشريعة الإسلامية » . ومضى البيان « يعدد خلو المناصب الهامة فى البلاد من المسيحيين » . فذكر « أنه لا يوجد مأمور شرطة أو وكيل نيابة أو عميد كلية أو رئيس جامعة أو رئيس مجلس مدينة أو سفير ، من المسيحيين » وأعاد البيان ، إتهامات سبق أن أوردها ضد الحكومة المصرية ، بأنها لا تسمح ببناء الكنائس . ومضى البيان أخيراً ، إلى أسلوب التحريض والإثارة والتخويف ، فذكر : « أن (المتطرفين) المسلمين قد تغلغلوا فى الجيش والشرطة والنظام القضائى » .

ولك أيها المسلم أن تتصور ، هذه المحاولات الغبيّة للضغط على الحكومة المصرية ، أو أن هذا ما يسمى (بالاتحاد القبطى الأمريكى) ، يريد أن يعود

بالبلاد ، إلى أيام الإمتيازات الأجنبية ، والاحتلال البريطانى ، وبالتحديد عند بدايات القرن العشرين ، عندما كانت السلطات البريطانية ، وعلى رأسها (اللورد كرومر) - تسعى جاهدة من أجل تعميق الكراهية الدينية فى نفوس المسيحيين ، وتستثير أحقادهم التاريخية . وقد نجحت السلطات البريطانية - فعلاً - فى عام ١٩٠٨ عندما أوصلت الشقاق بين المسلمين والمسيحيين إلى دور خطير . عندما كتب القبطى المدعو (فريد كامل) ، فى جريدة (الوطن) - التى كانت موالية للإحتلال البريطانى - مقالاً فى ١٥ يونية ، ضد الإسلام ، قال فيه : « ان الاعتزاز بالقوة والاستهتار بالضعف هما الحجران اللذان بنى عليها مجد الإسلام »..

وعلى الرغم من أن المقال قد شبه عمل الإسلام ، بما تفعله دول أوربا المسيحية ، من سطوها على الأمم الضعيفة ، إلا أن تشبيه الإسلام بهذا ، كان هجوماً على الدين نفسه . ولا عبرة بما جاء من دول أوربا المسيحية . إذ أن المقال لم يذكر أن مجد المسيحية قد قام على القتل ، وإنما قال ذلك عن الإسلام - وبعد ذلك بيومين ، قام (عبدالعزيز جاويش) ، وفى ١٧ يونية ، بجريدة (اللواء) ، وتحت عنوان (الإسلام غريب فى داره) ، وردّ على (فريد كامل) .

وجاء ردّ (جاويش) مستفزاً الأقباط ، بقوله : « إن فريد كامل .. جاهل وكافر ، بنعمة الإسلام عليه وعلى أسلافه » ؛ وتلقفت الدوائر البريطانية ، وصحافتها هذا التصعيد ، وإثارة الأقباط ، وكادت تحدث فتنة طائفية خطيرة ، فى مصر بسبب سلطات الإحتلال الامبريالية ؛ تماماً مثلما تنويه اليوم الإمبريالية الأمريكية ، تحت عباءة (الإتحاد القبطى الأمريكى) ، ومعه كافة الهيئات والمنظمات التنصيرية العالمية (الأمريكية والروسية والفرنسية والإنجليزية ، الخ) ، إثارة الأحقاد التاريخية لدى الأقباط المصريين ، وتعميق الكراهية الدينية فى نفوسهم ، تجاه إخوانهم المسلمين ، بما يسهل دائماً إثارته فى إحداث الفرقة

بينهم ، فى محاولة لضرب « الوحدة الإسلامية ، والتوحيد الربانى ، والإجتهاد الإنسانى » ؛ تلك المنظومة المتكاملة ، فى شمولية الإسلام وتسامحه .

من هنا تأتى أهمية دور مصر الريادى فى المنطقة العربية ، وتخوف الإمبريالية العالمية ، من تنامى هذا الدور ، مما يؤثر على مصالحها الإستراتيجية ، ومخططاتها التنصيرية ؛ لذلك دائماً وأبداً ، تحاك المؤمرات الامبريالية ضد مصر . وسنعرض لذلك الدور ، من خلال هذه الدراسة .

إن دراسة الجذور التاريخية للإرساليات التنصيرية الأجنبية ، ونشاطها فى مصر الحديثة والمعاصرة ، لمسؤلية ضخمة ، أرجو أن أكون قد حملت جزءاً منها على عاتقى ؛ بهذه المحاولة المتواضعة .

لقد كان هجوم الإرساليات التنصيرية الغربية ، التى نظمتها القوى المسيحية الأوربية ، وغيرها . فى بداية القرن التاسع عشر ، إمتداداً لحلقات الحروب الصليبية ، وحتى اليوم . ولكن بطرق سلمية !! والواقع أنه بعد أن فشلت الحملات الصليبية فى مهمتها ، أخذت القوى المسيحية الغربية ، تعمل على تحويل العالم الإسلامى إلى المسيحية ، أو القضاء على الإسلام فيه ، بإعتباره قوة أساسية ، ومصدر للإنتصارات والمقاومة ، وذلك عن طريق الإرساليات التنصيرية ، والتى تقوم بمحاولات صليبية لإخراج المسلمين عن الإسلام ، وإخضاع العالم الإسلامى كله ، لتطويعه للغرب أو إخضاعه للثقافة الغربية ، والنفوذ المسيحى .

وبدأت عملية الغزو التنصيرى ، المُنظم لمصر وغيرها من دول المشرق الإسلامى ، مع بدايات القرن التاسع عشر ؛ نتيجة للعوامل التى أعدتها القوى المسيحية الغربية ، وغيرها . كالإمتيازات الأجنبية ، وتميز نفوذ القناصل الأجانب ، وسيطرت حكومات المسيحية الغربية ، وغيرها ، على كثير من الأمراء والحكام المسلمين ، كالخديوى إسماعيل — فى مصر — على سبيل المثال .

ولما كانت (الدولة العثمانية) ، دولة الخلافة الإسلامية -، والتى كانت تضم وقتها (٣٥ مليون مسلم) ، وتشغل مساحة ضخمة ، تمتد عبر قارات ثلاث، وتحتل مكانة مُتميزة لتزعمها العالم الإسلامى ، هى الهدف المباشر ، للقوى المسيحية الغربية ، وغيرها . وكمقدمة لتمزيقها وتقسيمها ؛ فقد ركزت القوى المسيحية جهودها ، بتوجيه إرسالياتها التنصيرية ؛ إلى ولايات دولة الخلافة ، بصورة مُكثفة . وانطلقت هذه الإرساليات من مختلف دول أوربا المسيحية ، والولايات المتحدة ، وروسيا . بعد أن إتخذت من جزيرة (مالطة) - فى أواخر القرن السادس عشر - قاعدة ، ونقطة إنطلاق للهجوم على المشرق الإسلامى كله ؛ فبدأت ببلاد الشام ، ومنها وصلت إلى مصر .

وكانت حركة التنصير ، قد بدأت تُظهر أفعالها فى مصر ، عقب الحملة الفرنسية مباشرة ، عندما إمتد نطاق نشاطها ، من جزيرة (مالطة) عام ١٨١٥ ، وإلى الحبشة وفلسطين وولايات دولة الخلافة الإسلامية (الدولة العثمانية) .

ولما كانت (مصر) - عندئذ ذلك الوقت - إحدى الباشويات العثمانية ، وكانت تمثل رمزاً للقيادة الفكرية ، باعتبارها مصدراً للعالم العربى كله ، وذلك على أساس التركيز فى مجالات التعليم والثقافة والصحافة ، فإنها غدت مواجهة لخطط القوى المسيحية الغربية . وكان المخطط الصليبى التنصيرى ، قد وضع أساساً للسيطرة ، ولذلك عمدت - ومنذ البداية - للقضاء على القوى الوليدة الجديدة ، فى المشرق الإسلامى ، وفى مقدمتها ، حركة النهضة المصرية ، التى قادها (محمد على) ، والحركة الوهابية ، فى الجزيرة العربية ، والتى قادها (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) . وكان أن حرضت القوى المسيحية الغربية ، على دفع إحدى القوتين للقضاء على الأخرى ، ثم تفرغت للقوة الأخرى ، فكانت عملية التدخل العسكرى فى سوريا عام ١٨٤٠ ، التى مزقت الوحدة التى كونها (إبراهيم ابن محمد على)

وبدأ نشاط الإرساليات التنصيرية ، فى مصر مع (عهد محمد على ١٨٠٥ - ١٨٤٨) ، حيث يرجع أول إنشاء المؤسسات التعليمية التنصيرية الأجنبية فى مصر ، إلى عام ١٨٤٠ ، وأول ما ظهر منها (مدرسة الآباء لارنست) بالأسكندرية ، وأطلقوا عليها (الكلية الفرنسية) ، وفى ذات العام ، أسست الجمعية الانجليكانية البروتستانتية بالقاهرة .

وفى عهد الخديوى إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) ، إتسع نشاط هذه الإرساليات ، فقد عمل الخديوى نفسه ، على تشجيعها إرضاءً للدول الأوربية المسيحية ، التى كانت تمده بالقروض التى طلبها . وكان عمل الإرساليات التنصيرية ، فى مصر ، قد أخذ طريقه إلى مجالين أساسيين فى البداية ، إنشاء المدارس والمعاهد البروتستانتية والكاثوليكية ، وتأليف كتائب طبية للتنصير ، تحت شعار ، تقديم الخدمات الطبية .

وبعد أن وطدت الإرساليات ، وجودها فى مصر ، أخذت الحركة التنصيرية تمارس نشاطها ، من خلال بعض المراكز العلمية الأجنبية ، تحت سمع وبصر الحكومة ، وفى حماية الإحتلال البريطانى ، الذى سيطرت قواته على مقاليد الأمور فى مصر كلها منذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٥٢ . وقد ظهر بوضوح نشاط هذه الإرساليات ، فى ثلاثينيات القرن العشرين ، مما دفع بالقوى الشعبية الإسلامية ، أن تتصدى لهذه الممارسات ، التى كانت تستهدف الإسلام والمسلمين ؛ فتألفت الجمعيات والروابط الشعبية الإسلامية ، وأخذت تحارب وتقاوم محاولات المتنصرين الأجانب ، تحويل الصبية والفتيات إلى المسيحية ، وكانت الإرساليات قد استخدمت وسائل كثيرة ، من الضغط وحتى التنويم المغناطيسى ، لتنصير هؤلاء المسلمين فى مصر .

وأخذت حركة الجهاد الشعبى ، ضد الإرساليات الأجنبية ، صوراً مختلفة ، تنوعت بين جمع الأموال لبناء المدارس والمشاق والملاجئ ، وبين شن الحملات

(شبه العسكرية) ضد أوكار المُنصرين ، فى كل أقليم وكل قرية . واستمرت هذه الحركة الشعبية ، فى تصديها للمنُصرين حتى عام ١٩٣٧ ، عندما تم إلغاء الإمتيازات الأجنبية فى مصر . لتأخذ الحكومات المصرية ، المتعاقبة ، منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم ، زمام القيادة للتصدى للنشاطات التنصيرية الأجنبية – والتى ما يزال صداها يعمل حتى اليوم فى كل بلاد المشرق الإسلامى ، لكن فى ثوب آخر ، هادئ وتحت شعارات أخرى ، معظمها له بريقه الخادع – .

إن هذه الدراسة ، هى تأريخ لفلول الحملات الصليبية ، التى وفدت إلى المشرق الإسلامى ، وجاءت إلى مصر الإسلامية ، فى محاولة فاشلة ، لتحويل المشرق الإسلامى ومصر الإسلامية ، إلى المسيحية الغربية ؛ وهى – أيضاً – تحمل بين سطورها ، صرخة مدّوية ، لكل دول الإسلام فى المشرق والمغرب ، تقول ؛ وكلها أمل فى الله عز وجل ؛ « إن هذه امتكم أمة واحدة » ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ فإن ما حدث ، ويحدث ... جانب القوى المسيحية الغربية ، لشديد المرارة فى حلوق ، بما إ ... رتكبه من جرائم ضد الإسلام والمسلمين ، يندى لها الجبين ، لدرجة « سن القوانين لتنصير المسلمين » . « فقد أصدرت حكومة السويد ، فى يناير عام ١٩٨٧ ، قانوناً يُجيز ، تنصير الأطفال المسلمين »[١] . فماذا يحدث غداً ، من جانب هذه القوى الخطيرة ضد الإسلام والمسلمين ، فى بلادنا الإسلامية ؟!

يا أخوة الإسلام ، أفيقوا .. ثم أفيقوا .. ثم أخيراً أفيقوا !

ويا أهل الفكر .. أين أنتم ؟ ويا رجال الدعوة الإسلامية ، ويا علماء الدين الإسلامى .. أين أنتم ؟ هبوا من سباتكم ، وإنصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين. ؛ فأنتم خير من يُسمع له .

(١) صحيفة الرأى العام ، القاهرة ، العدد ٧٢ فى ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٧ هـ (١٥ فبراير ١٩٨٧ م) .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ : صدق الله العظيم

دكتور /خالد محمد نعيم

المنيا فى ١٥ يناير عام ١٩٨٨

الفصــل الأول
بداية وفود الإرساليات الأجنبية إلى مصر

- تغلغل النفوذ الأجنبى والقنصلى
- القناصل الأجانب .
- بداية النشاط التنصيرى الألمانى فى مصر .
- وصول الإرسالية الإنجليزية إلى مصر (١٨١٩) .
- الإرسالية الفرنسية .
- موقف الخديوى سعيد من النشاط التنصيرى .
- جهود الإرسالية الأمريكية (بداية النشاط التنصيرى الأمريكى فى الدولة العثمانية) .
- الإرسالية الهولندية

ظهر نشاط حركة التنصير الأجنبية فى مصر ، بوضوح عند أواسط القرن التاسع عشر ، وبصفة خاصة ، على عهد الخديوى محمد سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣) ، وقد جاءت هذه الحركة التنصيرية ، فى ركاب عملية غزو (رأس المال) الأجنبى الغربى لمصر ، والذى أخذ يتدفق ، بعد كسر معاهدة ١٨٤٠ لنظام (رأسمالية الدولة) ، الذى كان محمد على قد أنشأه فى مصر . فكيف حدث ذلك ؟

تغلغل النفوذ الأجنبى والقنصل

تعود الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية ، إلى الوقت الذى كانت فيه مصر (باشوية عثمانية) ، وعلى إثر تولية (محمد على) ؛ ١٨٠٥ - ١٨٤٨ ؛ الحكم وتثبيته فى الباشوية المصرية فى نوفمبر ١٨٠٦ ، بدأت مرحلة الإمتيازات الأجنبية ، التى تأثرت بها مصر بدرجة خطيرة للغاية . فقد كان (محمد على) له سياسة تتسم بالتسامح الدينى ، لدرجة « أنه أباح الحرية الدينية للأجانب فى البلاد ، عندما سمح لهم بدق أجراس كنائسهم ، وألغى القاعدة التى كانت تحتم عليهم ، الحصول على تصريح من الحكومة لبناء كنيسة أو ترميمها أو إعادة بنائها »(١) . كما سمح (محمد على) بمرور مواكب جنازات الموتى الأجانب فى الشوارع العامة ، دون قيد أو شرط ، على أن القيد الوحيد كان يتمثل فى حتمية إقامة الطقوس الدينية الخاصة بهم ، داخل كنائسهم لا خارجها(٢) .

والحقيقة أن ظهور الإمتيازات الأجنبية فى مصر ، يرجع إلى ما قبل الفتح العثمانى ، حوالى أواسط القرن الثالث عشر ، عندما منحت الدولة العثمانية ، الأوربيين المقيمين بسائر الولايات العثمانية ، بعض الإمتيازات ، تميزهم عن سكان هذه الولايات . وكانت البداية حينما عقد (لويس) ملك فرنسا معاهدة

إمتيازات مع سلطان مصر عام ١٢٥١ ، والتى أصبح بمقتضاها لفرنسا الحق فى تعيين قنصل ثابت بالاسكندرية ، لينظر فى مصالح الرعايا الفرنسيين ، ويطبق عليهم القوانين الفرنسية ، فى حالة نشوب نزاع بينهم ، ثم عقدت معاهدة أخرى بين الطرفين ، صدّق عليها جميعها السلطان (سليم الأول) عام ١٥١٧ ، والسلطان (سليمان المُشرع) عام ١٥٢٨ . ثم تمت إتفاقات نهائية بين السلطان العثمانى ، وملك فرنسا (فرنسوا الأول) فى عام ١٥٣٥.، شملت جميع الإمتيازات السابقة ، ووضعت لها نظاماً خاصاً ، وأصبحت – منذ ذلك الوقت – سارية المفعول .

وبطبيعة الحال ، حددت هذه الإمتيازات أوضاع الأجانب الإجتماعية فى البلاد ، « كالتعهد بحرية المجئ والإقامة والانتقال ، ومنح المسكن الملائم ، وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر والطقوس الدينية ، وحمايتهم من الإضطهاد والعسف فى جباية الضرائب والرسوم »[٣] .

وقد شجع الأجانب على الوفود إلى مصر إنقضاء فوضى العهد المملوكى ، وتأسيس الحكومة القوية التى إستطاعت ، منذ إستتباب الأمر لمحمد على ، تأمين الأجانب على أرواحهم وأموالهم ، فقد بلغ عدد الأجانب فى مصر عام ١٨٣٣ حوالى خمسة آلاف أجنبى[٤] . وبعد كسر معاهدة لندن (١٨٤٠) لنظام (رأسمالية الدولة) ، الذى أنشأه (محمد على) فى مصر ، شهدت البلاد تدفق الأجانب ، ورؤوس الأموال الأجنبية إليها . حيث كانت الظروف – بصفة عامة – ملائمة لوفود الإرساليات التنصيرية على اختلاف أنواعها من كاثوليكية إلى بروتستانتية ، وتغلغلها فى مدن مصر الجنوبية والساحلية .

وقد رسخت أقدام هذه الإرساليات الأجنبية ، فى الوقت الذى بدأت تضعف فيه الدولة العثمانية . ولاشك أن الدولة العثمانية ، عندما منحت تلك الإمتيازات للأجانب ، كانت قد بدأت فى الضعف فعلاً . كما وأن (الإسلام)

بعظمته ، كان السبب الأول فى ظهور تلك الامتيازات الأجنبية فى ولايات دولة الخلافة (الدولة العثمانية) ؛ فذكر الحروب الصليبية كانت لا تزال مطبوعة فى الأذهان ، مما كان من شأنه ، عدم توافر الثقة بين المسلمين وغير المسلمين ، لذلك كان على الدولة العثمانية أن تغلق أبواب ولاياتها فى وجه الأجانب ، ولكن الذى حدث ، أن الدولة العثمانية ، كانت مضطرة إلى منح هؤلاء الأجانب ، بعض الإمتيازات والحقوق ، بدعوى الإفادة من نشاطهم التجارى والثقافى !!

وكانت أولى هذه المعاهدات هى تلك ، التى عقدها (فرنسو الأول) - ملك فرنسا - مع السلطان (سُليمان المُشرّع) - سلطان الدولة العثمانية - فى عام ١٥٣٥ م[٥] . وعندما حاول السلطان (عبدالمجيد الأول) بن محمود (١٨٠٨ - ١٨٦١) ، السلطان العثمانى ، التخلص من الإمتيازات الأجنبية فى عام ١٨٥٦ ؛ بمؤتمر باريس ، كانت الدول الأوربية قد تكاتفت ضد الدولة العثمانية ، ولم تمكن سلطانها من ذلك . من هنا كانت الإمتيازات الأجنبية ، هى (جواز المرور) الشرعى ، لوفود الإرساليات التنصيرية ، وهى أيضاً (المظلة الشرعية) ، التى مارست تحتها الإرساليات نشاطها التنصيرى ضد الإسلام والمسلمين ، ليس فى مصر وحدها ، وإنما فى كافة أقطار العالم الإسلامى !!

وإن كانت (تركيا) قد نجحت - فيما بعد - فى إلغاء الإمتيازات الأجنبية ، بعد أن ظلت سارية حوالى خمسة قرون (تقريباً) ؛ بالنسبة لها فى (معاهدة لوزان ؛ ٢٤ يوليو ١٩٢٣)[٦] ؛ فإنها ظلت - هذه الإمتيازات - قائمة وسارية فى مصر ، حتى عام ١٩٣٧ ، عندما تم إلغائها نهائياً ، بعد أن عانت من جرائها كثيراً ، وكانت الإرساليات التنصيرية ، واحدة من هذه المعاناة التى عايشها الشعب الإسلامى فى مصر .

القناصل الأجانب

لقد أساء الأجانب إستعمال هذه الإمتيازات ، فأخذ القناصل يقومون بدور خطير فى مساعدة الإرساليات التنصيرية فى مصر . وكان قناصل الدول الأوربية والولايات المتحدة ، فى مصر قد أثاروا الكثير من المشكلات ، وذلك ضمن مُخطط شامل على مستوى الأقاليم المصرية ، بسبب إنحيازهم للمُنصرين الأجانب ، وتسهيلهم مهمة الإرساليات التنصيرية ، وحمايتهم لأعوان وأذناب المنصرون ، من الأقباط المصريين ، وبشكل فاضح .

بداية النشاط التنصيرى الألمانى فى مصر

ولقد جاء أول إتصال بين هذه الإرساليات التنصيرية الأجنبية – عامة – وبين مصر ، فى عام ١٦٣٣ م ، عندما جاء أول مُنصر (لوثوى) ، إلى مصر ، وهو (بيتر هيلنج P.Heyling) ، وكان عمره ٢٦ عاماً ، فى محاولة من جانب الكنائس الألمانية لدراسة أوضاع مصر الدينية ، ومعرفة الوقوف على مدى نجاح (التبشير) بين المسلمين ، ومكث هذا المُنصر فى مصر حتى اكتوبر عام ١٦٣٤[١]

وعندما قررت (الكنيسة المورافية) أو (كنيسة الأخوة المتحدين) وهى كنيسة ألمانية ، تأسست فى عام ١٤٥٧ م فى (بوهيميا) – بدأ نشاطها (التبشيرى) فى عام ١٧٥٠ ، أثناء زيارة كونت (زنزندورف Zinzendorf) لها ، بعثت بأول مُنصر لها إلى مصر فى عام ١٧٥٢ ، وكان هذا الرجل هو الدكتور (فريدريك وليم هوكر F.W. Hocker) ، والذى أسس أول إرسالية ألمانية فى القاهرة . وقد كان من أهداف هذه الإرسالية ،

دراسة اللغة العربية ، بإعتبارها الأساس الجوهرى ، لممارسة النشاط التنصيرى بين المسلمين فى مصر . وكان (هوكر) عند وصوله إلى القاهرة ، قد استأجر منزلاً صغيراً ، جعله مركزاً لممارسة نشاطه ، وفتح فيه خدمة طبية ، بإعتبار التطبيب من الوسائل الضرورية والهامة للعمل التنصيرى فى مصر . وبعد عام قضاه (هوكر) فى مصر ، كان الرجل قد أجاد اللغة العربية عن جدارة[٢] . وكان عليه أن يبدأ نشاطه التنصيرى بين المسلمين .

وبالفعل بدأ (هوكر) فى عام ١٧٥٦ ؛ بعد أن إنضم إليه مُنصر (موراڤ) آخر ، جاء من ألمانيا ، هو (جورج بيلدر G. Pilder) ؛ وأخذ يعرض عقيدته على المترددين على داره ، التى جعلها مركزاً طبياً وتنصيرياً . وفى عام ١٧٥٧ إنضم إليهما ، مُنصر (موراڤ) ثالث ، وفد من ألمانيا ، هو (هنرى كوسارت H. Cossort) . وأخذت الإرسالية الألمانية ، تمارس نشاطها التنصيرى ، تحت ستار التطبيب ، فى القاهرة و (بنى سويف) . غير أن (بيلدر) قرر فجأة ، فى عام ١٧٥٩ ، العودة إلى بلاده[٣] . بعد أن تعرضت حياته للخطر ، فى حادثة كان أحد طرفيها ، بعض المسلمين من أعيان منطقة (البهنسا) ، القريبة من (بنى سويف) !!

أما (هوكر وكوسارت) ؛ فبقيا وحدهما فى القاهرة ، وأخذا يعملان فى مهنة التطبيب ، ومن خلالها كانا (يوعظان) المترددين عليهما ، لكن كانا على حذر ويقظة ، ومع ذلك فقد إنفضح أمرهما ، وتعرضا لمتاعب كثيرة ، من جانب الشبان المسلمين ، فقررا الرحيل عن مصر فى عام ١٧٦١ ، وسافرا معاً إلى أوربا ، بلا عودة . ومنذ ذلك التاريخ ، توقف نشاط الإرسالية الألمانية اللوثرية الموراڤية ، فى مصر ، لمدة سبع سنوات[٤] . حتى كان عام ١٧٦٨ ، عندما جاء المنصِّر (جون هنرى دانك J.H. Danke) ، وتوجه على الفور ، إلى منطقة (البهنسا) ، لمواصلة نشاط زميله السابق المنصِّر (بيلدر) ، والذى كاد يلقى حتفه هناك .

وفى عام ١٧٧٠ وصل إلى القاهرة ، المنصِّر (جون آنتس J.Antes) ، ولكنه مكث فى القاهرة ، يمارس نشاطه ، بمعاونة بعض الأقباط المصريين ، الذين كانوا على صلات وثيقة بالمنصِّر الألمانى (هوكر) ، وفى نفس الوقت ، كان (دانك) هو الآخر ، قد أخذ يتردد إلى الناس فى (البهنسا) ، ونجح فى جذب لفيف من أقباط المنطقة ، بذكائه البالغ ، وشخصيته الرقيقة المهذبة . وبدأ يمارس نشاطه التنصيرى هناك ، وكادت إرساليته تلقى رواجاً بين المسلمين فى (البهنسا) ، لكن المرض الذى لحق به هناك ، جعله يترك (البهنسا) إلى القاهرة ، فى يوليو عام ١٧٧٢ ، وبعد شهور قليلة ، عاد – هو الآخر – إلى بلاده ، بلا عودة(٥) .

وفى عام ١٧٧٤ ، وصل إلى القاهرة ، المنصِّر (جورج هنرى وينجر J.H. Wieniger) ، لينضم إلى (جون آنتس) ، ويؤسسا معاً (خدمة طبية) ، بالقاهرة . ولكن نشاطهما التنصيرى كان محدوداً للغاية ، لعدم إقبال الكافة على خدمتهم الطبية . لذلك قرر (السنودس العام للكنيسة المشيخية « المصُلحة » فى الشمال الأمريكى) ، وقف النشاط التنصيرى الألمانى المورافى ، فى مصر عام ١٧٧٢(٦) . لتتولى هى بمعرفتها – أى الكنيسة المشيخية الأمريكية – العمل التنصيرى فى مصر . والذى سيتقرر أمره فى إجتماع (السنودس العام) هذا ، يوم ٢١ مايو عام ١٨٥٣ ، عندما يتقرر ذهاب بعض المنصرين الأمريكيون من سوريا إلى مصر(٧) .

وصول الإرسالية الإنجليزية إلى مصر (١٨١٩)

كان أول إتصال بين الإرساليات الإنجليزية ، وبين مصر فى أعقاب هزيمة (نابليون بونابرت) فى المعركة الشهيرة (ووترلو) ، بأوربا . يقول تقرير أول إرسالية انجليزية ،: « انه بعد سقوط نابليون أصبح البحر المتوسط مفتوحاً للنشاط (التبشيرى) . وخلال أقل من ثلاثة شهور ، بعد معركة ووترلو ، كان القس (جويت) فى طريقه إلى مالطة ، ليزور قادة الكنائس اليونانية ، والأرمنية والقبطية والمارونية ، بقصد نشر التعليم وتداول الكتاب المقدس »(٨) . وبالفعل وصل المنصر (وليم جويت .W. Jowett) ، إلى مصر فى عام ١٨١٩ ، موفداً من جانب (جمعية إرساليات الكنيسة) الإنجليزية .

وقد قضى (جويت) فى مصر ، بضعة شهور فى سنوات ١٨١٩ و١٨٢٠ ثم فى عام ١٨٢٣ ؛ وخلال هذه الفترة ، تعلم اللغة العربية ، وأجادها . وأخذ يتصل ببعض الأقباط المصريين ، الذين سهلوا له مهمته التنصيرية . فأخذ يمارس نشاطه التنصيرى ، بتوزيع منشوراته ، باللغة العربية ، والتى كانت تدعو إلى الدخول فى المسيحية ، والتى كانت تحت عنوان (البشائر الأربع)(٩) . وهذا المنصر الانجليزى الخطير ، سيكون له دور فعال جداً ، فى نجاح الحركة التنصيرية عامة فى مصر . فقد أسس هذا المنصر ، وأنشأ مجلة (الشرق والغرب) – لسان حال كافة الإرساليات التنصيرية فى مصر والشرق الإسلامى – ومستشفى (هرمل) فى منطقة (مصر القديمة) ، هذا المستشفى ، الذى سيتحول إلى مركز تنصيرى خطير فى مصر أيضاً !!

ويقول ذات التقرير السابق ،: « وفى عام ١٨٢٥ وصل إلى مصر خمسة (مرسلين) »(١٠) . وقد مكنت الإمتيازات الأجنبية ، الإرسالية الإنجليز.

من الانتشار بسرعة ، وممارسة نشاطها التنصيرى ، تحت ستار « إنها من الكنائس ، وإجراء التعديلات الداخلية فيها ، وإعادة تعليم الأكليروس »[11] . لقد كان هؤلاء الخمسة ، هم النواة الأولى ، لتأسيس الإرسالية الإنجليزية فى مصر .

ويروى (توفيق حبيب) – فى هذا الصدد – « فى أوائل القرن الماضى ، حضر إلى مصر خمسة من رجال الكنيسة الإنكليزية ، للوعظ و (التبشير) »[12] . بينما يذكر البعض : « أن هؤلاء الخمسة ، كانوا (ألمان من معهد (بازل) ، وهم (صموئيل جوبات S. Gobat) ، وهو من أصل سويسرى ، وعمل لمدة ٢٣ سنة فى مصر والحبشة ومالطة ، وخلال هذه الفترة أجاد اللغة العربية . لكنه توفى فى عام ١٨٧٩ .[13] و (ج.ر.ت ليدر J. Leider) ، حيث يقول عنه (توفيق حبيب) ، « انه الوحيد الذى بقي من الخمسة الإنكليز ، الذين غادروا البلاد عائدين إلى بلادهم ، الواحد بعد الآخر ، وقد سكن (ليدر) بمنطقة (الدرب الواسع) – فى القاهرة »[14] ، (ثيودور مولر The. Muller) ، و (وليم كراوس W. Kurse) ، و (كريستيان كوجلر Ch. Kugler »[15] .

وكان لأعضاء هذه الإرسالية ، مقراً دائماً بالقاهرة . ويروى (توفيق حبيب) ، « أن (الأسقف جوبت) ذكر ، أنه كانت لهم دار فى ميدان الأزهار (الفلكى) للمساجلات الأدبية والبحث فى العقائد ، لم تلبث أن عُطلت نتيجة لما كان يقع فى بعض إجتماعاتهم من مشاغبات »[16] . وبطبيعة الحال ، لم يكن هذا المقر ، كما ذكر (توفيق حبيب) على لسان ، (جوبت) ، يقوم بهذه المهمة فقط . وإنما كان مركزاً تنصيرياً على درجة عالية من الخطورة . وسوف تظهر آثاره فيما بعد . فى عام ١٩٣٢ – ١٩٣٣ !!

على أية حال ، لقد أجمعت المصادر على أن مراكز التنصير الأجنبية ، بدأت

عملها فى جزيرة مالطه ، فى أواخر القرن السادس عشر . وأعتبرت الجزيرة قاعدة هجوم على مصر والشرق الإسلامى كله .

لقد أخذ نشاط المنصرون الإنجليز ، يظهر بشكل مُلفت فى مصر ، منذ أن لجأوا إلى فتح المدارس ، بإعتبارها من أفضل الوسائل الإيجابية فى العمل التنصيرى ، لجعلها مراكز لعملهم إذ ينجذب إليها الكافة . وإن كانوا قد بدأوا بعملهم الجاد ، بين الأقليات الدينية ، وراحوا يركزون نشاطهم فى البداية بين اليهود[١٧] ، فإن ذلك الأمر ، لا يعدو أن يكون من جانب المنصرون الإنجليز ، محاولة لجس النبض ، ثم التحول إلى الهدف المنشود ، وهو العمل بين المسلمين لتنصيرهم . وهذا هو الذى حدث بالفعل فيما بعد !!

وقد قامت (جمعية إرساليات الكنائس) الإنجليزية ، بإنشاء ثلاث مدارس فى مصر ، خلال الفترة من عام ١٨٣٩ – ١٨٤٠ ، كما قام المنصّر الإنجليزى (آل ويسليان) ، بفتح مدرسة ، أخرى فى القاهرة[١٨] . وأمام هذه الموجة من إنشاء المدارس التابعة للإرساليات الإنجليزية ، توهم البعض ، بأن التعليم فى مصر ، كان يسير بُخطى إيجابية ، غير أنه بعد قبول إتفاقية لندن ١٨٤٠ ، كان التعليم الحكومى الوطنى ، ينهار بصورة ملحوظة . وقد إستمر هذا التدهور حتى أوائل الستينات من القرن الماضى .

ومع إنكماش التعليم الحكومى الوطنى ، إنفتحت مصر على مصرعيها للمؤسسات والهيئات الأجنبية ، لإنشاء مدارسهم ، مما ساعد على نشر الثقافة الغربية المسيحية بين أبناء المسلمين ؛ الأمر الذى كان يُسهّل مهمة الإرساليات التنصيرية . وفى عام (١٨٤٢ – ١٨٤٣) ، أنشأت الإرسالية الإنجليزية فى مصر ، معهداً لاهوتياً ، لتعليم كهنة الأقباط المصريين ، الذين إنساقوا فى ركابهم ، أصول العملية التنصيرية[١٩] وليكون بمثابة المركز العام ، لتخريج الكوادر التنصيرية المحلية فى مصر .

وقد حاولت الإرسالية الإنجليزية ، الحصول على قطعة أرض من الخديوى سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣) ، غير أنها لم توفق فى ذلك ، وكانت الإرسالية تنوى تشييد كنيسة ومدرسة عليها . وإن كان هذا الحلم سيتحقق للرعايا الإنجليز فيما بعد ، عندما أصدر الخديوى إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) أوامره ، فى عام ١٨٦٤ ، لمحافظ القاهرة ، بوهب (قطعة أرض) مساحتها ثمانمائة وثلاثة أذرع وثلث ذراع مربع ، لإنشاء كنيسة بروتستانتية ، لرعايا انجلترا[٢٠] . ومع ذلك فإن نشاط الإرسالية الإنجليزية ، قد واجهته عقبات فى طريقه .

فلم يلبث صراع النفوذ بين فرنسا وانجلترا ، أن ظهر فى ميدان الإرساليات التنصيرية ، فى مصر . فحاولت المدارس (البروتستانية) الإنجليزية ، أن تنافس المدارس (الكاثوليكية) الفرنسية ، فى نشاطها التنصيرى فى مصر[٢١] . لكن ، كان (محمد على) فى عام ١٨٤٠ قد أعطى تسهيلات وإمتيازات خاصة ، للمدارس (الكاثوليكية) الفرنسية ؛ فانتشرت فى طول البلاد وعرضها ، من (قنا) إلى (بور سعيد) ، وبجانب المدارس ، ظهرت المستوصفات الفرنسية ، التى تقوم ، وتحت ستار التطبيب ، بالتنصير بين أوساط المسلمين ، وأمام تنامى النشاط التنصيرى الفرنسى ؛ الذى أخذ يستشرى بصعيد مصر ، فى شكل عشرات المدارس الفرنسيسكان ، ومئات المستوصفات للراهبات ، ومثلها بالوجه البحرى ، قررت الإرسالية الإنجليزية ، إغلاق (المعهد اللاهوتى) فى عام ١٨٤٧ .

ومع ذلك إستمر نشاط الإرسالية الإنجليزية ، ولكن لم يتواصل أمام تنامى النشاط التنصيرى الفرنسى . وبدأ حجم نشاط الإرسالية الإنجليزية ، يتراجع ، ويتناقص إلى أن صدرت التعليمات من (لندن) ، بوقف نشاط الإرسالية الإنجليزية فى مصر ، موقفاً !! وبالفعل أغلقت الإرسالية الإنجليزية ، أبوابها رسمياً فى عام ١٨٦٢ . مع أن المنصِّر (جاردنر) ، والذى كان من أبرز

عناصرها ، وأعرفهم باللغة العربية ، والذى كانت له اليد الطولى فى تأسيس فرع مصر لجمعية إتحاد الكنائس ، وإنشاء أقسام مصرية لجمعية إتحاد الشباب المسيحية[٢٢] ، كان لا يوافق على هذا الإنسحاب ، أمام النفوذ الفرنسى ، والإنحسار عن مصر .

وهكذا ، بإغلاق الأبواب الإرسالية التنصيرية الإنجليزية ، ستظل المحاولات التنصيرية الإنجليزية ، بعيداً عن عملها فى مصر ، إلى أن تعود – مرة أخرى – فى عام ١٨٨٢ ، تحت رايات جيش الاحتلال البريطانى ، وفى أعقاب جنوده[٢٣] . لتعمل بحرية تامة ، ودون قيود ، وبلا منافسة فرنسية !!

الإرسالية الفرنسية

تعود جهود الإرساليات التنصيرية الفرنسية ، للعمل فى مصر – إلى بداية العمل الإستشراق . حيث كانت إهتمامات فرنسا ، بدراسة اللغة العربية ، « بوصفها لغة عالمية تفيد فى التعامل مع المصريين ، (...) ، والمغاربة والسوريين والأتراك ، ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس[٢٣] .

والذى لا جدال فيه أن التنصير يتفق تماماً مع الإستشراق ؛ ولذلك يحتم معرفة لغات من يراد تنصيرهم . وقد كان هناك إقتناع تام لدى دعاة التنصير الفرنسيين ، منذ القرن الثالث عشر ؛ بضرورة تعلم لغات المسلمين ، إذا أريد لمحاولات تنصير المسلمين أن تؤتى ثمارها بنجاح . ولم يكن من السهل – فى أى وقت من الأوقات – فصل الإستشراق عن التنصير ، فهما وجهان لعملة واحدة !!

وقد كان من بين الدعاة الفرنسيين ، المتحمسين ، الذين طالبوا بضرورة

تعلم لغات المسلمين لغرض التنصير ، (روجر بيكون ١٢١٤ م - ١٢٩٤ م) ، حيث كان يرى هذا الرجل ، « ان التنصير هو الطريقة الوحيدة التى يمكن بها توسيع رقعة العالم المسيحى »(٢٤) . كما كان يرى ، ضرورة معرفة اللغات الضرورية لبلوغ هذه الغاية . وقد شارك (بيكون) فى أفكاره (رايموند لول ١٢٣٥ م - ١٣١٦ م) ، الذى كان هدفه التنصير ، عن طريق إقناع المسلمين بلغتهم ، ببطلان الإسلام وإجتذابهم إلى الدين النصرانى(٢٥) .

ولقد صادق مجمع (فينا) الكنسى فى عام ١٣١٢ م ، على أفكار (بيكون ولول) ، بشأن تعلم اللغات الإسلامية ، وتمت الموافقة على تعليم اللغة العربية ، فى خمس جامعات أوربية مسيحية ، هى جامعات باريس ، واكسفورد ، وبولونيا ، وسلمنكا ، وجامعة المدينة البابوية (روما) . وبطبيعة الحال ، كلها مراكز تنصيرية خطيرة فى العالم - فى ذلك الوقت - وعند هذا الأمر ، كان (رايموند لول) ، « يعتقد أن الوقت قد حان لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير ، وبذلك تزول العقبة الكبرى التى تقف فى سبيل تحويل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية »(٢٦) .

وبدأت فرنسا تستعد لبدء عملها التنصيرى فى مصر ، عندما أنشأت فى عام ١٥٣٩ م ، أول كرسى للغة العربية فى (الكوليج دى فرانس) بباريس . وقد شغل هذا الكرسى (جيوم بوستل) ، الذى زار مصر والشرق الإسلامى ، فى عام ١٥٨١ م ؛ حيث قام بجمع مجموعة هامة من المخطوطات الإسلامية . وبذلك يعتبر (جيوم بوستل) أول المنصرين الفرنسيين الذين وفدوا إلى مصر والشرق الإسلامى ، حيث له جهود ملحوظة فى هذا المجال(٢٧) .

وعند منتصف القرن الثامن عشر ، قامت الحكومة الفرنسية ؛ بإنشاء (مدرسة اللغات الشرقية الحيّة) ، فى مارس ١٧٩٥ ، فى محاولة جادة من جانب فرنسا ، التى كانت تعتبر نفسها كبرى بنات الكنيسة الكاثوليكية ،

لإعداد الكوادر اللازمة لحركة التنصير الفرنسية . وفى نفس الوقت - تقريباً - كانت مصر قد لفتت أنظار فرنسا والعالم الأوربى المسيحى ، خاصة بعد أن خرجت من عزلتها السياسية والفكرية ، وأخذت توفد بعثاتها التعليمية للخارج ، وبصفة خاصة إلى باريس . وبطبيعة الحال ، أخذ العالم الغربى المسيحى ، يضاعف من عدد بعثاته الدينية والثقافية والاقتصادية إلى مصر ، التى كانت ترحب بكل هؤلاء الوافدين - تحت ضغط الإمتيازات الأجنبية - ومع هؤلاء الوافدين ، والذين كان فى مقدمتهم الفرنسيين ، جاء إلى مصر لفيف من رجال الإرساليات التنصيرية ، « فى حقل جديد ، ويعتبر خصباً لنشاطهم »(٢٨) .

ولما كانت فرنسا تعتبر نفسها كبرى بنات الكنيسة الكاثوليكية ، فإنها حملت على عاتقها مهمة نشر المسيحية فى الشرق الإسلامى ؛ وكانت البداية فى مصر . فعندما وصلت (الحملة الفرنسية) إلى الاسكندرية ، فى ٢٨ يونية عام ١٧٩٨ ، كانت برفقتها مجموعة من العلماء ، بلغوا (١٧٥ عالماً) ، كان من بينهم أعضاء بعض الهيئات المهتمة بالدراسات الخاصة ، بما وراء البحار ، وعدد من المستشرقين(٢٩) ، الذين درسوا اللغة العربية ، فى مدرسة اللغات الشرقية الحيّة ، بباريس ؛ لوضع أسس أول إرسالية تنصيرية فرنسية فى مصر .

وكان بابوات روما ، قد حاولوا إخضاع الكنيسة القبطية فى مصر ، وإجبارها على الاعتراف برياستهم ، وذلك بما أرسلوا من رهبان فرنسيسكان إلى مصر - حتى قبيل الحملة الفرنسية - وتوغلوا فى الصعيد حيث يكثر الأقباط . وبلغ بهم الأمر أن كان الفرنسيكان يمسكون بالأطفال المسلمين ، ويرسلونهم إلى (روما) لتعلم المسيحية الكاثوليكية(٣٠) .

على كل حال .. كان بين هؤلاء المستشرقين الفرنسيين ، الذين وفدوا مع الحملة إلى مصر ، (مارسيل) الذى قام بالإشراف على إحدى المطبعتين ، وقام

هذا الرجل بدراسة الشعر العربى ، فى القاهرة . وقد ضُبط هذا المستعرب ، أثناء ثورة القاهرة فى اكتوبر ١٧٩٨ ، ضد الوجود العسكرى الفرنسى ؛ بسرقة مخطوطاً رائعاً للقرآن الكريم ، يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر ، من خزائن الجامع الأزهر الشريف[٣١] .. هكذا كان نشاط أول مجموعة فرنسية تنصيرية ، جاءت تحت ستار الإستشراق .

المهم ، أنه منذ ذلك التاريخ ، غدت فرنسا فى مصر ، أفضل تمثيلاً قنصلياً ودبلوماسياً ، من غيرها من الدول الأجنبية الأخرى . فكان لها قنصل عام يسكن (القاهرة) ، وقنصليتان فى ثغرى (الاسكندرية) و (رشيد) ؛ بينما كان لانجلترا قنصلية واحدة فقط فى القاهرة) .

وكان أول إتصال حكومى بين إرساليات التنصير الفرنسية ، وبين مصر ، فى عهد محمد على (١٨٠٥ - ١٨٤٨) ؛ فعندما زار (الأب إتين Pere Etienne) ، الرئيس العام للعازرين فى سوريا ، مصر على رأس بعثة (تبشيرية) فى عام ١٨٤٠[٣٢] . عرض عليه (محمد على) ، إنشاء بعض المدارس ، فى محاولة لتطوير التعليم فى عهده . وبطبيعة الحال ، وجدها المُنصر (إتين) فرصة ذهبية ، فاستجاب على الفور لطلب (محمد على) ، من ناحية ، ولرغبات الإرسالية الفرنسية ، من ناحية أخرى ، التى كانت ترى ضرورة إقامة مراكز (تبشيرية) فى الأقاليم المصرية . وأخذ المُنصر الفرنسى يتوسع فى إقامة المدارس (الكاثوليكية) الفرنسية ، كمدخل طبيعى ومنطقى ، للعمل التنصيرى فى مصر .

وقد أنشأت الإرسالية الفرنسية ، أول ثلاث مدارس (كاثوليكية) فرسية فى عهد محمد على ، هى (مدرسة الراعى الصالح (بون باستور) للبنات فى القاهرة عام ١٨٤٥ ، ومدرسة فتيان الإحسان ، فى ذات العام ، ثم مدرسة (اللعازريين) فى عام ١٨٤٦)[٣٣] . ومع هذه المدارس ، أخذت عملية

التعاون ، تأخذ طريقها إلى مدن وقرى الصعيد ، بين الرهبان والراهبات الفرنسيسكان ، الذين مارسوا نشاطاً تنصيرياً خطيراً ، تحت ستار التطبيب ، وحتى وقت قريب جداً ، كانت مدن الصعيد الكبرى ، لا تخلو من (مركز طبي) يعمل فيه الرهبان والراهبات الفرنسيسكان ، وإمتد هذا النشاط إلى بقية مدن وقرى الوجه البحرى .

ولم يلبث أن ظهر صراع النفوذ بين فرنسا وانجلترا - كما قلنا - فى ميدان الإرساليات التنصيرية ؛ فحاولت (جمعية إرساليات الكنائس) الإنجليزية ، أن تنافس الانتشار التنصيرى الفرنسى فى مدن وقرى مصر ، بفتح عدد من المدارس ، ولكن كانت الغلبة للفرنسيين الذين كانوا قد انتشروا فى البلاد ، من خلال مدارسهم ومراكزهم الطبية ، يمارسون من خلالها التنصير بين المسلمين .

وعندما تولى عباس الأول ، ولاية مصر (١٨٤٨ - ١٨٥٤) ، كان شديد الكره للأجانب ، وقد يعزى هذا إلى شدة حقده عليهم ؛ وقد شاهد بنفسه ، أنهم قضوا على آمال جده (محمد على) الواسعة ، وحرموه ثمرة انتصاراته وتضحياته . وكان (عباس) يعتقد ، أن معظم أولئك الأجانب ، الذين وفدوا إلى مصر ، لم يكونوا إلّا من أحط الأوساط[٣٤] . ولذلك كان يعمل على طردهم بكافة الطرق ، من البلاد ، ثم جعل نفسه بمعزل عنهم ، لا يقابل إلّا عدداً محدوداً من قناصل الدول الأوربية ، مما جعل الكثيرين ، منهم يذمونه ويرمونه بالتعصب !!

ولذلك لم تمارس الإرساليات الفرنسية الكاثوليكية ، أية نشاطات تنصيرية ملحوظة على عهد (عباس الأول) ، خشية من عداوته للأجانب عموماً . وإنما راحت فى نفس الوقت ، تنشأ المدارس ، متذرعة بالمساهمة فى تنمية الحركة التعليمية فى مصر . وأخذت الإرسالية الفرنسية تتوغل أكثر وأكثر ، فى

صعيد مصر . ونجحت هذه الإرسالية ، بالتعاون مع الرهبان الفرنسيسكان ، فى عام ١٨٥٠ فى إفتتاح مدرسة للآباء الفرنسيسكان فى منطقة (نقادة) ، وبعد ثلاثة أعوام ، واصلت نجاحها ، وأنشأت مدرسة أخرى فى (جرجا) فى عام ١٨٥٣[٣٥] . وبعد هذا التمركز المتعمد فى جنوب البلاد ، توجهت جهود الإرسالية الفرنسية إلى الوجه البحرى .

وأخذت تكثف جهودها فى (بورسعيد) ، فأنشئت بها (مدرسة الراعى الصالح) الداخلية فى عام ١٨٥٣ ، ثم أضافت فى نهاية عهد (عباس الأول) مدرسة (الفرير) عام ١٨٥٤ ، فى القاهرة[٣٦] . وكانت مدرسة كاثوليكية فرنسية خطيرة ، وقعت بها عدة حوادث تنصير لصبيَّة من أبناء المسلمين .

وكانت حكومة فرنسا ، تساند ، وبصفة مباشرة ، جهود الإرسالية التنصيرية فى مصر ، وكانت حكومة (جيزو) الفرنسية ، تُسبغ عطفها ، المعنوى والمادى على كل العاملين فى هذه المدارس الفرنسية بمصر .

عهد محمد سعيد (١٨٥٤ – ١٨٦٣) وموقفه من النشاط التنصيرى

وعندما اغتيل (عباس الأول) فى قصره بمدينة (بنها) ، وخلفه عمه (محمد سعيد) ، الذى حكم من (١٨٥٤ – ١٨٦٣) ، قيل أن الأجانب (الفرنسيين) ، كانت لهم يداً طولا فى مقتله . على أية حال .. عندما تولى (محمد سعيد) الحكم فى ١٢ يوليو ١٨٥٤ ، انتهج سياسة مع الأجانب ، كانت على عكس سياسة (عباس الأول) ؛ فكان (سعيد) يميل إلى عشرة الأجانب ، ويكرم مثواهم ، ويُحسن وفادتهم . وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن سعيد تربى تربية فرنسية . لذلك زاد عدد توافدهم إلى البلاد فى عهده ،

وكثر إختلاطهم بأفراد الشعب . وبطبيعة الحال ، تزايد نشاط المُنصرين عامة ، والفرنسيين منهم ، بصفة خاصة . لأن سياسة سعيد ، قد فتحت الباب أمام مجئ مزيد من المنصرين الفرنسيين . وكان قيام مدارس الإرساليات الأجنبية ، يُمثل أكبر ظاهرة سائدة فى السياسة لتعليمية فى مصر ، فى ذلك العهد ، كما لم يحاول (سعيد) — الذى كان منفتحاً على النفوذ الفرنسى ، أن يفعل شيئاً — للحدّ من هذه الظاهرة — بإعادته فتح المدارس الإبتدائية والاعدادية الحكومية ، مُفضلاً ترك هذه المهمة لإرساليات التنصير الأجنبية[٣٧] . وبذلك يكون الخديوى (محمد سعيد) قد أسدى للإرساليات التنصيرية الأجنبية خدمة جليلة ، وهى منحهم حرية فتح مراكز التنصير فى البلاد ، بلا رقابة حكومية .

ويقول أحد المُنصرين عن (سعيد) : « أن الأجانب مدينون بالكثير لحكم سعيد باشا ، حيث وضعت الإرساليات (التبشرية) أثناء عهده ، أسس عملها — تلك الأسس التى لم يكن من المستطاع — بعد ذلك — هدمها بواسطة أشد المقاومات عنفاً من جانب الحكام المدنيين والدينيين مجتمعين »[٣٨] . ويبدو أن هذا المُنصر ، كان يغفل جانب القوى الشعبية الإسلامية ، والتى ستقاوم هذه الإرساليات أشد المقاومة فيما بعد !!

على أية حال .. كان سعيد ، بغباء ، قد أغدق العطف المعنوى والمادى ، على المُنصرين فى مصر . وإن كان البعض يعتقد ، أن هذا العطف جاء من جانبه ، دون قصد ؛ المهم أنه منحهم الكثير من الإمتيازات التى كانوا لا يحلمون بمثلها على الإطلاق . ويتحدث أحد هؤلاء المُنصرين عن « الكرم الذى أظهره (سعيد) حيال المدارس التنصيرية الأوربية ، التى لولا المساعدات الأميرية ، التى كان يقدمها إليها ، ما استمرت »[٣٩] ، فى القيام بمهمتها ضد الإسلام والمسلمين فى مصر .

ويصف آخر (سعيد) : « بأنه القديس الحامى للإرساليات ، وبصفة

خاصة الإرسالية الأمريكية »[٤٠] . ويقدر ثالث : « أنه بغض النظر عن المبانى الحكومية ، التى تنازل عنها (سعيد) ، للإرساليات التنصيرية ، فإن المبالغ المالية التى وهبها لمدارس الفريرُ بالقاهرة ، ومدارس الإيطاليين (الرهبان) بالاسكندرية ، كانت على الأرجح تفوق ما تم صرفه على ميزانية التعليم الحكومى (العمومى) خلال فترة حكمة الطويلة »[٤١] .

والحقيقة ، لم يكن (سعيد) وحده ، هو الذى قدم الخدمات للإرساليات ، وإنما - كذلك - رجال الأعمال وأصحاب المهن ، من الأجانب ، والإرساليات التنصيرية مدينة لكل هؤلاء ، لما كانوا يزودنهم به من المشورات والنصائح . وعلى سبيل المثال - لا الحصر - فقد إقترح أحد هؤلاء ، أصحاب الأعمال الأجانب ، « أن تتقدم الإرساليات الأجنبية بطلبات للخديوى سعيد ليمنحها منزلاً أو قطعة أرض تشيد عليها مقراً دائماً لها فى مصر »[٤٢] . وكان هذا الاقتراح بداية تملك الإرساليات أراضٍ أو عقارات بمعاونة الحكومة أو السلطة فى مصر .

وبالفعل وافق (سعيد) على إهداء مقر دائم ، لبيت (الأخوات الفرنسيسكان) فى القاهرة ، عام ١٨٥٩ . وسمح - كذلك - للإرسالية الفرنسية ، خلال الفترة من ١٨٥٥ - ١٨٦٣ ؛ بإنشاء عشر مدارس للفرنسيسكان بالوجه القبلى والوجه البحرى ، وإمتدت هذه المدارس من (قنا) إلى (بورسعيد)[٤٣] وأغدق عليها بلا حساب !!

وقد تراوح عدد المدارس الأجنبية التنصيرية ، الأولية والإعدادية فى عام ١٨٦٣ - نهاية عهد سعيد - ما بين ٣٢ و٣٧ مدرسة ، منها ثلاث مدارس غير دينية[٤٤] . ويقدم (سعيد) - كذلك - منحاً مالية وعينية سخيّة للكنائس التابعة للإرساليات التنصيرية ، جميعها . وإن كان قد خص الإرسالية الفرنسية ، فإنه كان لا يقبل التنافس بين الإرساليات . الطريف أن البعض ،

راح يدعى « بأن سعيد ، كان يستهجن التعصب والاضطهاد الديني فى كثير من الأحيان »(٤٥) وكيف لا .. وهو ربيب الثقافة الفرنسية !!

لقد كان (سعيد) فرنسياً فى كل سلوكياته ، لقد شجع الفرنسيان ؛ (فانسون بناسون Vincent Penasson) و (أنطوان موريس Antoine Morice) ، بالأموال اللازمة من أجل إنشاء مطابع ، بدعوى إثراء النهضة الفكرية . وإنما كان هدفها الأول والأخير ، خدمة الحركة التنصيرية الفرنسية ، بصفة خاصة ، والإرساليات الأجنبية الأخرى ، بصفة عامة . فأنشأ (فانسون) مطبعته فى عام ١٨٥٨ بالقاهرة ، لخدمة المُنصرين ونشاطهم فى هذه العاصمة ، والوجه القبلى . وأنشأ (أنطوان موريس) مطبعته فى عام ١٨٦٠ بالاسكندرية ، لخدمة نشاط الإرساليات التنصيرية ، فى الوجه البحرى . وإن كانت هاتين المطبعتين تقومان بطبع الكتب المدرسية الفرنسية ، التى كانت تطلبها مدارس الإرسالية الكاثوليكية ، فإنها فى ذات الوقت ، كانت تسمح بطبع ما ترغب فيه الإرساليات عامة ، من مادة علمية ودينية ، بقصد زعزعت التلاميذ فى عقيدتهم الإسلامية . وبطبيعة الحال ، كان كل هذا يحدث بعيداً عن مراقبة الحكومة والسلطات المصرية . إنها ثمار (إنعامات) الخديوى سعيد !!

ولم يقتصر عطاء الخديوى (سعيد) على هذا فقط ، وإنما إمتد إلى مزيد من دعم نشاط الإرساليات الفرنسية ، « بإستعانته بالمسيحيين الفرنسيين ، الذين كانت تشكلهم وتوجههم الإرساليات الكاثوليكية »(٤٦) . فقد استخدمهم كمستشارين له ، فى أدق الأمور .

وفوق كل ذلك ؛ فإن (سعيد) قد اتخذ فى عام ١٨٦٠ كل الإحتياطات اللازمة ، لحماية المُنصرين الفرنسيين والأجانب فى مصر ، بمناسبة المذابح التى حدثت بين (الموارنة) و (الدروز) فى جبل لبنان وسورية ، مما أدى إلى

إلتجاء حوالى خمسة آلاف مسيحى ، من أقاليم الشام إلى الاسكندرية[٤٧] ، معظمهم دخل فى حماية الإرساليات التنصيرية الأجنبية .

هكذا كانت الإرسالية الفرنسية ، تمارس نشاطها التنصيرى ، بحماية والى مصر (سعيد) . لقد كانت تلك الفترة ، تمثل قمة حملات الإرساليات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية على مصر ، كما أن المسيحيين الأجانب ، وبعض المصريين يدينون لسعيد ، بإندماجهم الكامل فى جسد الأمة المصرية الإسلامية ، وليس كما يدعى البعض : « أن هدف البعثات (التبشيرية) كان تحويل الأقباط المصريين إلى الكاثوليكية والبروتستانتية »[٤٨] .

وإذا كان عهد (سعيد) قد وضعت خلاله الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، أسس عملها الهدام ضد الإسلام والمسلمين المصريين ؛ فإن عهد خليفته (إسماعيل باشا) ١٨٦٣ - ١٨٧٩ ، قد تم خلاله تتويج كل هذه الأسس ، وتلك الرعاية التى حظيت بها الإرساليات فى عهد سلفه - وسوف نعرض لذلك عند الحديث عن (الإرساليات الأمريكية) . ويتوج كل هذه الرعاية للإرساليات التنصيرية ، تنصيب إسماعيل أكبر أبنائه ، وولى عهده (محمد توفيق) راعياً للمدارس الحرَّة المجانية ، التى كانت تدار بواسطة الإرساليات ، بطبيعة الحال ، وإيفاده فى كثير من الأوقات لحضور احتفالات توزيع الجوائز فى بعض مدارس الإرساليات الأجنبية بالاسكندرية[٤٩] .

لقد كان للإمتيازات الأجنبية ، والمنح والهبات التى أعطاها ولاة وحكام مصر - بلا حدود ، وبغباء - للأجانب وإرسالياتهم التنصيرية ، نتائجها المباشرة على الإسلام والمسلمين فى مصر ، وعلى تكوين الفكر المصرى ، وحتى اليوم . فقد بذل هؤلاء الحكام جهوداً كبيرة ، فى سبيل إرضاء الإرساليات الأجنبية ، وتشجيع رعاياها . وكان من مظاهر هذا التشجيع تلك المدارس الأجنبية ، التى كانت مراكز تنصيرية خطيرة ؛ والمنح والعطايا - كما سنعرض ،

لذلك عند الحديث عن (الإرساليات الأمريكية) . لقد كان إعتقاد هؤلاء الحكام المصريين ، والحكومات المصرية المتعاقبة ، ان عمل (البعثات التبشيرية) هو السعى إلى نشر الحضارة بين أهالى مدن وقرى القطر المصرى ، فى جنوبه وشماله ، أكثر مما هو محاولة تحويل المسلمين فى هذه المناطق – الصعيد بالذات – إلى المسيحية ، ونشرها بينهم » ومن هنا كان الحكام والحكومات – المتعاقبة – يتوقعون أن تهتم الإرساليات الأجنبية التنصيرية ، بالعمل الاجتماعى والتربوى أكثر من إهتمامها بالعمل على تحويل المسلمين إلى المسيحية واعتناقها . غير أن الإرساليات الأجنبية ، جعلت من هذه المهمة الأخيرة ، هدفها الرئيسى ، وذلك دون أن تقلل من إهتمامها بالتعليم ، بإعتباره واجهة تخفى وراءه هدفها الخطير . فقد كان إنشاء الكنائس الجديدة فى مصر ، يسير جنباً إلى جنب المدارس الأجنبية دائماً ، وفى أغلب الأحيان كان يضمهما مبنى واحد .

مما سبق عرضه ، يتضح مدى الرعاية ، التى كانت تتلقاها الإرسالية الفرنسية التنصيرية ، وغيرها من الإرساليات الأخرى ، من جانب ولاة الأمور ، وحجم التشجيع الذى كانت تحاط به ، ومدى الحرص على تجنب كل ما من شأنه أن يؤدى إلى حدوث إضطهاد لأحد رعاياها . وبطبيعة الحال ، كانت نتائج هذه السياسة الليِّنة المتسامحة ، إلى درجة الإفراط ، أن تزايدت أعداد مراكز التنصير الأجنبية فى البلاد ، وأخذ نشاطها الهدام ضد الإسلام والمسلمين ، يستشرى فى المدن الكبرى ، وغالبية القرى والنجوع المصرية فى جنوب القطر ، وشماله .

جهود الإرسالية الأمريكية

بداية النشاط التنصيرى الأمريكى فى الدولة العثمانية :

يعود اهتمام الولايات المتحدة ؛ بممارسة النشاط التنصيرى – تحت ستار التعليم – فى البلاد العربية ، وبلدان الشرق الأقصى ، بصفة عامة ، إلى الوقت الذى نزعت فيه الحركة التعليمية فى الولايات المتحدة إلى عدم الإستقرار داخل حدودها . وأخذت تتجاوزها إلى المناطق التى لم تتهيأ لها الفرصة ، للأخذ بأساليب (الحضارة الحديثة) ، وإنشاء نظم تعليمية خاصة بها ، كالصين واليابان والهند ، وبلدان (الشرق الأدنى) . غير أن هذه الحركة الأمريكية – التعليمية – التى قام بها (المبشرون) ، على اختلاف صورهم من كاثوليك وبروتستانت ، إتخذت « صبغة دينية »[٥٠] . هدفها محاربة الإسلام فى كل هذه المناطق ، التى إنتشر فيها الإسلام سريعاً ، وأصبح حقيقة قائمة فى الحياة اليومية ، فلفت بقوته أنظار رجالات اللاهوت الأمريكيين .

وجاء بدء الإهتمام هذا فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، عندما إستقر رأى (اللجنة الأمريكية للإرساليات الأجنبية للكنيسة المذهبية الموحدة American Board of Commissionaries for foreign missions of the congregatiotal church). على إقامة مركز (تبشيرى) فى الإمبراطورية العثمانية ، التى كانت تضم فى ذلك الوقت ، ٣٥ مليون مسلم ، وتشغل مساحة ضخمة ، تمتد عبر قارات ثلاث ، وتحتل مكانة متميزة لتزعمها العالم الإسلامى . ويحلو للبعض أن يطلق على هذه اللجنة الأمريكية التنصيرية ، اسم (المجلس الأمريكى لمندوبى البعثات التنصيرية الأجنبية) ؛ على كل حال تُجمع المصادر على أن هذه اللجنة الأمريكية التنصيرية ، تأسست فى عام ١٨١٠ بمدينة (بوسطن) ، وبعد تسع سنوات من تأسيسها أرسلت أول منصريها إلى

منطقة (الشرق الأدنى) ، وإتخذوا من جزيرة (مالطة) مركزاً لهم . ثم بدأ التجول فى شاطئ البحر . وذهب بعض المُنصرين الأمريكيين إلى (القدس) ، ثم إنتقل نشاطهم التنصيرى إلى (بيروت) حيث التركيب الطائفى الذى يُميز تلك المنطقة ، والذى كان هو المنطلق الخصيب لحركة التنصير الأمريكية ، وأهم المناطق مُرتكزاً للتدخل الأجنبى ، وفيها ظهرت حركة التنافس الشديد بين الإرساليات الأجنبية التنصيرية .

ففى نهاية عام ١٨١٨ كلفت اللجنة الأمريكية للإرساليات ، كل من ؛ (ليفى برسونز Levi Parsons) و (بلينى فيسك Pliny Fisx) ، بمهمة إقامة أول مركز تنصيرى أمريكى فى (الشرق الأدنى) . وأبحر الرجلان ، فى ٣ نوفمبر ١٨١٨ ، من بوسطن ، على ظهر المركب الأمريكى (سالى آن Sally Ann) ، قاصدين جزيرة (مالطة) فى البحر المتوسط ، حيث أُقيم بها أول مركز (تبشيرى) عرف باسم (الإرسالية الفلسطينية Palestine Mission)[٥١] ، وكانوا قد أسسوا هذه الإرسالية فى ٢٣ ديسمبر عام ١٨١٩ .

ولكن سرعان ما دعت إستراتيجية التنصير الأُمريكى ، إلى مزاولة نشاطها فى (بر الشام) ، فصدرت الأوامر – فى عام ١٨٢٠ – لنفس الرجلان ؛ بالإبحار إلى (أزمير) فى ٩ يناير ١٨٢٠ ، فوصلاها فى ١٥ يناير من ذات العام[٥٢] . وتوجها بعد ذلك إلى (بيروت) ، بإعتبارها كانت مدينة على درجة عالية من الأهمية ، لنشاطهم ، حيث التعدد الطائفى بها ، ولوقوعها فى وسط (العالم العربى) ، ويُمكن نشر النشاط (التبشيرى) منها إلى كل أنحاء الأقاليم الناطقة بالضاد[٥٣] . وقد إستقر الرجلان بها .

ولما كانت (فلسطين) هى الهدف الأول ، لإستراتيجية التنصير الأمريكى ؛ فإنه قد تم فتح أول مقر للإرسالية الأمريكية فى (بيت المقدس) عام ١٨٢٣ . غير أن هذه الإرسالية ، واجهت العديد من المصاعب ، والعقبات

فى أثناء ممارسة نشاطها التنصيرى هناك ؛ فإضطرت إلى إغلاق أبوابها فى عام ١٨٢٧[٥٤] . ولكن الإستراتيجية الأمريكية للتنصير لم تتقاعس ، وأخذت تسعى جاهدة لإنشاء مراكز تنصيرية جديدة ، فى سوريا عام ١٨٢٥ ، وفى (أزمير) عام ١٨٢٨ . غير أن إضطراب الأحوال الداخلية فى الدولة العثمانية – بسبب ثورة اليونان ضد السلطان العثمانى ، وإثارة النزاع بين والى مصر (محمد على) ، وبين السلطان العثمانى بشأن الإستقلال – أدى إلى غلق كل هذه المراكز التنصيرية الأمريكية فى عام ١٨٣٠ .

ولكن بعد أن توصلت حكومة الولايات المتحدة إلى عقد (إتفاق ودى وتجارى) ، مع الدولة العثمانية فى عام ١٨٣٠ ، أعيد فتح المركز الأمريكى التنصيرى فى (بيروت) عام ١٨٣١ . وهو العام الذى تميز ببدء مرحلة جديدة ، فى إستراتيجية التنصير الأمريكى ، تجاه الدولة العثمانية ، حيث أعيد فتح المركز (التبشيرى) فى أزمير – بعد ذلك – فى عام ١٨٣٣ . ونشطت بعد ذلك أعمال الإرسالية الأمريكية ، فأنشئت مراكز (تبشيرية) أخرى ، فى (طرابزون) وفى (بروسه Bursa) ، عام ١٨٣٤ ، وفى (كلية روبرت Robert college) ، عام ١٨٦٣ .

وأخذت الإرسالية الأمريكية تزاول نشاطها التنصيرى ، بين أوساط المسلمين ، بشكل ملحوظ ، عندما إستقر الحكم المصرى فى الشام على عهد (والى مصر) ، وبيد إبنه (إبراهيم) ، الذى كان ينتهج سياسة التسامح الدينى[٥٦] . وأخذ عمل هذه الإرسالية الأمريكية طريقه إلى مجالين أساسيين : إنشاء المدارس والمعاهد البروتستانتية والكاثوليكية ، وتأليف الجمعيات[٥٧] . وقد إستعانت الإرسالية الأمريكية ، فى أعمالها ببيروت بتلاميذها وأصدقائها من المسيحيين ، ونقلت مطبعتها من مالطة إلى بيروت فى عام ١٨٣٤ ، لطبع الإنجيل ، وترجمته إلى العربية .

وعندما أخذ نشاط الإرسالية الأمريكية فى (بر الشام) يتزايد ، كان نشاط الإرساليات الأخرى ، فى بيروت والقدس ولبنان ، قد أخذ شكلاً منافساً للإرسالية الأمريكية ؛ فقد إقتفى المنصرون الفرنسيون الكاثوليك ، أثر البروتستانت الأمريكيين فى (بر الشام) ؛ وعندما أنشأت الإرسالية الأمريكية ، فى بيروت ، (الكلية السورية البروتستانتية) فى عام ١٨٦٦ ، والتى عرفت فيما بعد ، باسم (جامعة بيروت الأمريكية) ، لتربى فيها الكوادر التنصيرية من كافة الدول العربية الأخرى ، لحمل رسالة (التبشير) ، شرعت الإرسالية الفرنسية ، فى إنشاء (كلية القديس يوسف) الكاثوليكية فى بيروت . ومن خريجى هذه الإرساليات إنطلقت البعثات التنصيرية التى وفدت إلى مصر .

ولما أخذت مدارس الإرسالية الأمريكية تنتشر فى أقاليم الشام ، شعرت الدولة العثمانية ، أن خريجى تلك المعاهد والمدارس الأمريكية ، عناصر هدامة تعمل فى كيان الدولة ؛ فاضطر السلطان العثمانى إلى الاعتراف بالبروتستانتية كمذهب دينى جديد ، فى دولته ، بمقتضى فرمان عام ١٨٥٠[٥٨] .

ويذكر (ليلاند جيمس غوردون) ؛ « ومنذ عام ١٨٦٣ آخذت أعمال (التبشير) فى الانتشار داخل أقاليم وولايات الإمبراطورية العثمانية ، وبحلول عام ١٨٦٩ ، كان يوجد فى أنحاء (تركيا) ٢١ مركزاً (تبشيرياً) ، تضم ٤٥ من رجال الإرساليات ، يعاونهم عدد كبير من الأرمن ، وإلى جانب هذه المراكز ، كان يوجد مالا يقل عن ١٨٥ مدرسة ، إلى جانب الكنائس الكثيرة التى شيدت فى كافة أنحاء (تركيا) »[٥٩] . وسوف يمتد العمل التنصيرى الأمريكى من الشام إلى مصر .

هكذا بدأت الإستراتيجية الأمريكية التنصيرية ، فى التمركز بالمواقع الحيوية والضرورية ، لضرب الإسلام فى قلب دولة الخلافة الإسلامية ، الدولة

العثمانية . ومن هذه المراكز الحيوية ، إنطلقت جيوش التنصير الأمريكية ، إلى مصر التى كانت تمثل القيادة الفكرية للعالم الإسلامى فى ذلك الوقت . ولأن مصر هى مركز الثقل فى العالم الإسلامى كله ، وكل ما يثار فيها من تيارات إنما يكون عاملاً هاماً للتأثير على مختلف الأجزاء . وسوف نرى كيف بدأ العمل التنصيرى الأمريكى فى مصر .

لقد قدَّمت الإرساليات التنصيرية الأمريكية من لبنان إلى مصر ، شخصيات حملت لواء الفكر الغربى المسيحى ، وقادته حيث سيطرت على وسائل الثقافة والصحافة ، وكان لها أثرها البعيد المدى ، كما سنعرض لذلك .

الإرسالية الهولندية :

كانت أقل إرساليات التنصير أهمية فى القطر المصرى . فقد توطنت فى (قليوب) ، وضمت فى مدارسها المتعددة تلاميذ من كل المذاهب ، والمسلمين . وتقوم هذه الإرسالية ، بنشر (الإنجيل) فى القرى ، بواسطة بائعى الكتب . ومن أعمالها أنها أنشأت (ملجأ) للأيتام ، كان مركزاً خطيراً لتنصير الأطفال والبنات اليتامى ، المسلمين . وكانت عنايتها فائقة للأطفال المسلمين والأقباط على السواء[٦٠] .

وقد بدأ نشاط الإرسالية الهولندية فى عام ١٨٧١[٦١] ، بينما يذكر البعض : « أن بداية وفود الإرسالية الهولندية إلى مصر ، كان عام ١٨٨٦ ، حيث بدأت نشاطها بإنشاء مدرسة إبتدائية للبنين والبنات فى منطقة (القناطر الخيرية) »[٦٢] . ومن داخل هذه المدرسة المشتركة ، إنطلقت قوافل التنصير الهولندية .

وفى عام ١٨٧٤ أسس المُنصر الهولندى (بنجس) ، ملجأً للأيتام فى (قليوب) ، كان له دور خطير فى تنصير عدداً من الأطفال والبنات

المسلمين . وفى عام ١٩٠٢ أنشأت الإرسالية الهولندية ، كنيستها ، أيضاً فى (قليوب) ؛ ومدرسة أخرى . وعيادة طبية . وكان أعضاء الإرسالية الهولندية فى مصر ، (ستة أفراد فقط) ، هم (فلينجر ، سبلينار ، بنجس ، بايل ، وقد توفى فى عام ١٩٤٢ ودُفن فى قليوب ، مس كات (وصلت فى عام ١٩٣٠ وغادرت مصر فى عام ١٩٥٠) ، القس كورسلمان)[٦٣] .

وفى عام ١٩٥٤ أغلقت مدارس الإرسالية الهولندية ، وكذلك (العيادة الطبية) فيما بعد - بسبب عدم معرفة الأطباء الهولنديون للغة العربية .

هوامش الفصل الأول

(١) Meinardus, Otto; Christian Egypt, Ancient and Modern; . Cairo; 1938; P. 18.

(٢) Watson, Charles; Egypt and the Christain Crusade. Philadlphia, 1907; P. 131.

(٣) Ibid; P. 133 - 135

(٤) أديب نجيب سلامة – تاريخ الكنيسة الإنجيلية فى مصر (١٨٥٤ – ١٩٨٠) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٢ . ص/٤٩ .

(٥) Wat,son, Charles; op. cit.; P. 136 - 138.

(٦) Ibid; P; 139.

(٧) Ibid.; P. 140 - 142.

(٨) Wats'on, Andrew; The Amercian Mission in Egypt, 1824 - 1896; P. 31.

(٩) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص ٥٠١ .

(١٠) Wat,s'on, Andrew; O.P. Cit.; P.31.

(١١) وليم سليمان (دكتور) – تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى ، مجلة الطليعة ، ديسمبر ١٩٦٦ .

(١٢) صحيفة (الأهرام) ، ٢٩ أبريل ١٩٣٧ .

(١٣) رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى – العمل الإنجيلى فى الشرق العربى ، بيروت ١٩٦٠ . ص/١٠ – ١٢ .

(١٤) صحيفة (الأهرام) ، ٢٩ أبريل ١٩٣٧ .

(١٥) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص ٥٠١ .

(١٦) صحيفة (الأهرام)، ٢٩ أبريل ١٩٣٧ .

(١٧) Watson, Andrew; OP. Cit.; P. 98.

(١٨) Dunne, J. Heyworth; An introduction to the history of Education in Modern Egypt; London; 1939; P.P 275 - 284.

(١٩) وليم سليمان (دكتور) – المصدر السابق . ص/٨٦ .

(٢٠) صالح رمضان (دكتور) – الحياة الإجتماعية فى مصر فى عصر إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٧ . ص/٣٠٥ .

(٢١) أنور عبدالملك (دكتور) – نهضة مصر، الهيئة العامة، القاهرة، ص/١٦٤ .

(٢٢) أنور الجندى – الإسلام فى وجه التغريب، دار الاعتصام، القاهرة . ص/٢٦ .

(٢٣) ادوارد سعيد – الإستشراق، ترجمة : كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨١، ص/٨١ .

(٢٤) سادرن – نظرة الغرب إلى الإسلام فى القرون الوسطى – ترجمة: الدكتوران، صلاح الدين حسنى، وعلى فهمى خشيم، مكتبة الفكر، طرابلس، ١٩٧٥ . ص/٧٦ .

(٢٥) رودى بارت – الدراسات الإسلامية والعربية فى الجامعات الألمانية، ترجمة : دكتور مصطفى ماهر، القاهرة، ١٩٧٦ . ص/٩ وما بعدها .

(٢٦) محمود حمدى زقزوق (دكتور) – الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، كتاب الأمة، ط ٢، الدوحة، ١٤٠٤ هـ . ص/٢٨ .

(٢٧) محمود حمدى زقزوق (دكتور) – المرجع السابق . ص/٢٩ .

(٢٨) أحمد عزت عبدالكريم (دكتور) – التعليم فى عصر محمد على . ص/٦٧٠ .

(٢٩) جلال يحيى (دكتور) – مصر الحديثة . ص/٥٣٩ .

(٣٠) طارق البشرى – المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية . الهيئة العامة، ١٩٨٠ – ص/٣٥ .

(٣١) ج. كرستوفر هيرولد – بونابرت فى مصر . ترجمة : فؤاد أندراوس، دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٧ . ص/٢٢٨، ٢٤١، ٢٦٩ .

(٣٢) أنور عبدالملك (دكتور) – نهضة مصر . ص/١٦٤ .

(٣٣) جرجس سلامة – تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين ١٩ و٢٠، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٩٦٣ . ص/٤٠ – ٦٨ .

(٣٤) محمد عبدالرحيم مصطفى (بك) - تاريخ مصر الحديث ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٥١ : ص/١٨١ - ١٨٢ .

(٣٥) جرجس سلامة - المرجع السابق . ص/٤٧ .

(٣٦) أنور عبدالملك (دكتور) - المرجع السابق . ص/١٦٤ .

(٣٧) نفس المصدر السابق . ص/١٦٣ .

(٣٨) Wastson, Andrew; O.P. Cit.; P.106 - 107.

(٣٩) Edouard, Dot.;

(٤٠) Watson, Andrew.; O.P. Cit.; P. 333.

(٤١) Heyworth - Dunne; O.P. Cit.; P. 340.

(٤٢) Alder, Earl. E.; Vindicating a vision the story of the American Mission in Egypt, 1854 - 1954; Philadelphia; 1958; P. 28.

(٤٣) جرجس سلامة - المرجع السابق . ص/٦٦ - ٦٧ .

(٤٤) Chauleur, Sylvestre; History des coptes d'Egypte, la Colombe; Paris, 1960.; P.P. 148 - 149.

(٤٥) Ibid., P. 150.

وأنظر كذلك : أنور عبدالملك . المصدر السابق . ص/١٦٤ .

(٤٦) Chauleur, Sylvestre.; OP. Cit.; P. 149.

(٤٧) سوسن سليم إسماعيل (دكتورة) - الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية (فتنة الشام ١٨٦٠ - ١٨٦٤) ؛ نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥ . ص/٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٤٨) جرجس سلامة - المرجع السابق . ص/٤٥ .

وانظر كذلك . وليم سليمان (دكتور) - تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى . ص/٨٦ - ٨٩ .

(٤٩) أحمد عزت عبدالكريم (دكتور) - التعليم فى عصر إسماعيل . ص/٨٢٧ .

(٥٠) James, Gordon Leland; American Relations with Turkey; P. 232.

(٥١) Leonard; D.P.; Missionary Anmals of the Nineteenth Century; P.9.

(٥٢) Annual Reports of the American Board (1819); P. 230.

(٥٣) Leonard; D.P.; OP. Cit.; P.120.

(٥٤) Ibid; P. 127.

وأنظر كذلك : James' Gordon, Leland; OP. Cit.; P. 221

(٥٥) Ibid; P. 222.

(٥٦) سوسن سليم إسماعيل (دكتورة) – المرجع السابق . ص/١٤٣ – ١٤٥ .

(٥٧) المرجع السابق . ص/١٤٨ – ١٤٩ .

وأنظر كذلك : أنور الجندى – المرجع السابق . ص/٢٢ .

(٥٨) سوسن سليم إسماعيل (دكتورة) – المرجع السابق ص/١٤٨ – ١٤٩ .

(٥٩) James Gordon, Leland; OP. Cit.; P. 222.

(٦٠) الغارة على العالم الإسلامى . ص/٥٢ .

(٦١) Meinardus, Otto; Christian Egypt; Ancient and Modern; Cairo; 1920.; P. 52.

(٦٢) Earl; Elder; OP. Cit.; P. 316 - 317.

(٦٣) Ibid;

الفصل الثانى

النشاط التنصيرى للإرسالية الأمريكية فى مصر

- بداية العمل فى مصر .
- وصول أول بعثة تنصيرية أمريكية للقاهرة (١٥ نوفمبر ١٨٥٤) .
- النشاط التنصيرى للإرسالية الأولى فى القاهرة .
- الخديوى سعيد يعاون الإرسالية الأمريكية .
- بداية ظهور نفوذ القناصل الأمريكيين ومندوبيهم فى الأقاليم .
- المخطط التنصيرى الأمريكى فى القاهرة والأقاليم .
- مدارس الإرسالية الأمريكية فى القاهرة .
  - مدرسة الأزبكية .
  - القسم الداخلى بمدرسة الأزبكية .
  - كلية رمسيس للبنات .
  - جامعة القاهرة الأمريكية .

تعتبر باشوية مصر العثمانية ، من أكبر الباشويات التى تأثرت بالإمتيازات الأجنبية ، ويرجع ذلك إلى عصر (محمد على) ، الذى أوغلت فيه البلاد فى إتصالها بالعالم المسيحى الغربى ؛ ومن هنا بدأت تشهد وفود الإرساليات التنصيرية إليها ، فى ظل سياسة (محمد على) ، التى إتسمت بالتسامح الدينى وإستتباب الأمن العام .

وكانت إرساليات الولايات المتحدة ، التنصيرية هى إحدى الإرساليات الأجنبية ، التى حصلت على الإمتيازات الواسعة ، فى باشوية مصر ، بمقتضى معاهدة ١٨٣٠ ، مع السلطان العثمانى . وبعد ذلك ، بدأ التمثيل القنصلى للولايات المتحدة فى مصر ، بإنشاء القنصلية الأمريكية فى مدينة الأسكندرية[١] . وفى البداية لم يكن هذا التمثيل مكتملاً ، بل إعتمد على الدبلوماسيين الأمريكيين فى عاصمة الدولة العثمانية ، والذين أنابوا عن القنصل الأمريكى ، أحد رجال الأعمال الإنجليز فى مصر ، وكان يُدعى (جون جليدون John Glidon) ، حيث عُين فى (الأسكندرية) ، بدرجة وكيل قنصل فى عام ١٨٣١ ، ثم فى عام ١٨٣٢ عُينت إبنة (جورج جليدون) ، بدرجة وكيل قنصل أيضاً ، فى مدينة (القاهرة) . وظلت الأمور على هذا المنوال ، أى أن التمثيل الدبلوماسى للولايات المتحدة فى مصر ، إعتمد على رجال الأعمال الإنجليز ، ممثلين عن الأمريكيين حتى عام ١٨٣٦ ، عندما تولى (لويس مكلان L. Mclane) ، أعمال القنصلية الأمريكية فى مصر ، كأول قنصل أمريكى[٢] .

وقامت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة ومصر ، منذ ذلك التاريخ ، على أساس إرتباطات ومصالح حرصت الولايات المتحدة على إظهارها فى كل مناسبة . وقد عينت الولايات المتحدة فى مصر ، خلال الفترة بين عام ١٨٧٦ وعام ١٩٢٢ ، سبعة عشر قنصلاً عاماً ، إستمر بعضهم بين سنة واحدة ، وأكثر مدة كانت خمس سنوات[٣] . ولم تخن القنصليات الأمريكية

قاصرة على الأسكندرية والقاهرة فقط ، وإنما كانت لها وكالات فى مختلف أقاليم ومدن مصر ، فقد كانت هناك وكالات قنصلية ومندوبين عن القنصل الأمريكى العام فى كل من القاهرة ، وطنطا والمنصورة ، وبنى سويف ، والمنيا ، وأسيوط ، وجرجا ، والأقصر . وكانت هذه الوكالات الفرعية ، تقوم بدور خطير فى مساعدة وحماية أعضاء الإرساليات (التبشيرية) الأمريكية(٤) .

ولم يكن بالضرورة ، أن يكون مندوبى القناصل العامين الأمريكيين ، فى هذه الأقاليم من الرعايا الأمريكيين ، وإنما لجأت القنصلية الأمريكية إلى تعيين مندوبين عنها من جنسيات أخرى ، كالإنجليز والأقباط المصريين . وسوف نرى المشاكل التى ستحدث من جراء هذه التعينات ، التى كان يوافق عليها وكيل الخارجية المصرية .

والواقع أن حجم التمثيل القنصلى للولايات المتحدة ، فى مصر وحتى عام ١٩٠٧ ، كان ضخماً للغاية ، قنصلية فى الأسكندرية ، ووكلاء له فى ثمانى أقاليم مصرية . فى حين أن عدد الرعايا الأمريكيين فى مصر خلال القرن التاسع عشر ، كان قليلاً للغاية . وحتى بدايات القرن الحالى ، كان عددهم لا يزيد عن (**٥٢١ أمريكياً**) ، وفق إحصاء عام ١٩٠٧(٥) ، وهو عدد قليل جداً بالنسبة لحجم التمثيل الدبلوماسى الضخم ، وحتى عام ١٩١٧ لم يتجاوز عدد الرعايا الأمريكيين فى مصر عن (**٥١٤ أمريكياً**)(٦) ، من هنا كانت الإهتمامات الأمريكية التنصيرية بمصر .

بداية العمل فى مصر

ويرجع بدء إهتمام (إتحاد الإرساليات الأمريكية American Missionary Mission) بمصر ، لتحويل المسلمين فيها إلى النصرانية ، إلى عام ١٨٤٦ .

عندما قام الأمريكى دكتور (ثمبسون Jos. P. Thompson) ، أحد أساتذة الدراسات الإنسانية ، بزيارة لها . ووضع كتابه الشهير عنها بعنوان (مصر قديماً وحديثاً) ، حيث أشار فى أحد فصول كتابه هذا ، إلى « جهود المُنصر الألمانى (ليدر Leider) ، أحد أعضاء الإرسالية الألمانية (البروتستانتية) بين الأقباط والمسلمين فى مصر ، وإحجام الشبان الذين قام بتعليمهم ، الدخول فى وظائف القساوسة ، بسبب فساد الكنيسة(٧) . من هنا كانت بدايات الإهتمام بمصر ، بغرض التنصير أولاً وقبل أى شئ آخر !!

وفى شتاء (١٨٥١ – ١٨٥٢) ، زار مصر المُنصر دكتور (بولدنج Paulding) ، عضو (الكنيسة المشيخية الأمريكية) ، وأحد أعضاء الإرسالية التنصيرية الأمريكية بدمشق ، وقد جاء هذا المُنصر للإستشفاء ، لإعتلال صحته . وفى مصر شاهد هذا المُنصر الخطير ، بنفسه الأهمية الإستراتيجية لمصر ، فى المخطط التنصيرى الأمريكى ، كمركز (تبشيرى) هام جداً ، فى الشرق الإسلامى كله ، لموقعها المتميز بين الشرق والغرب ، ولوجود الأزهر الشريف بها ، وما تتمتع به من نفوذ فكرى وثقافى وتأثير كبيرين على الدول المحيطة بها ، وفوق كل ذلك إمكانية إتخاذها ملجأ لرجال الإرسالية التنصيرية الأمريكية ، المنتشرين فى سورية ولبنان وفلسطين ، فى حالة حدوث إضطرابات أو إضطهاد من جانب (الدروز) المسلمين فى (بر الشام) ، حيث يكون بمقدور هؤلاء وتابعيهم ، من الذين تنصروا ، وتحولوا عن الإسلام إلى المسيحية ، وغيرهم من الملل الأخرى ، أن يعيشوا فى أمن وطمأنينة ، نتيجة لما ينتهجه ولاة الأمور فى مصر ، من سياسة تقوم على أساس من التسامح الدينى – المفرط – وإحترام العقيدة(٨)

من هذا المنطلق كانت مصر – وفق إعتقاد المُنصر (بولدنج) – تربة خصبة ومجالاً فسيحاً لمزاولة النشاط التنصيرى ؛ وخاصة بعد أن غدا مجال عمل

الإرسالية الأمريكية فى (دمشق) ضعيفاً بالنسبة لعدد أفراد هذه الإرسالية ؛ وصار من الضرورى البحث عن مناطق نفوذ جديدة ، لمزاولة النشاط التنصيرى الأمريكى – ولقد أصرَّ (بولدنج) فى تقريره ، الذى رفعه إلى (الكنيسة المشيخية الأمريكية) – « وهذا فضلاً عن أن الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا ، كانت على وشك النشوب ، ولا يخفى ما يترتب عن قيام هذه الحرب من إضطهادات وإعتداءات على المسيحيين بتلك البقاع »(٩) . وكأنه بهذه العبارة الأخيرة ، يستصرخ الكنيسة الأمريكية ، سرعة التحرك الفعال ضد مصر !!

ويسوق (أندرو واطسون) – رئيس الإرسالية الأمريكية فى مصر – كذلك – عدة أسباب لمجئ المُنصرين الأوائل الأمريكيين إلى مصر ، فى عام ١٨٥٤ من (دمشق) ، من بينها « الإضطرابات السياسية التى كثرت فى أقاليم الشام ، الأمر الذى يجعل من مصر نوعاً من الملجأ ، أثناء إشتداد هذه الأزمات المتلاحقة »(١٠) . ومن المعروف أن الأحوال السياسية فى (بر الشام) كانت مضطربة أشد الإضطراب خلال الأعوام التالية لعام ١٨٤٠ ، حتى انتهى الأمر فى عام ١٨٦٠ ، بنشوب (فتنة) ، (حرب أهلية ذات طابع دينى) ، بين (الموارنة) وبين (الدروز) ، والتى أدت إلى تمكين السيادة الغربية المسيحية فى أقاليم الشام(١١) . والذى لا شك فيه ، ان الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، على اختلاف مصادرها ، كانت لها جميعاً يداً طولاً ، فى تصاعد التوترات بين المسلمين والمسيحيين فى الشام خلال العقد الثانى من القرن التاسع عشر .

وهكذا يثور سؤال هام – هل أريد لمصر أن تكون ميداناً جديداً ، لأحداث مشابهة لتلك التى حدثت فى الشام !!؟

وصول أول بعثة تنصيرية أمريكية للقاهرة (١٥ نوفمبر ١٨٥٤)

على أية حال ، لم يكد يمضى عدة شهور على صدور (فرمان ١٨٥٠ السلطانى) ، حتى أخذت الإرساليات التنصيرية الأمريكية ، طريقها إلى قلب (القاهرة) . وقد بدأت تفد بالفعل مع بداية عام ١٨٥١ ، عندما وصل المُنصر الأمريكى (ليفى تافسونز .Levi Tavsons) ، أحد أعضاء الإرسالية الأمريكية ، البارزين فى (دمشق) ، إلى القاهرة .

وكان هذا المُنصر الأمريكى ، مزوداً بتعليمات خاصة ، منها السياحة فى المدن المصرية الكبرى ، وبعض القرى والنجوع ، وإعداد تقارير وافية ، عن كافة الأحوال الإجتماعية والدينية للسكان . وبعد أن أقام (ليفى) فى مصر عدة شهور ، تنقل خلالها بين بعض المدن الساحلية ، فى الوجه البحرى ، والجنوبية فى (الصعيد) ، وشاهد بنفسه الظروف « التى كانت ملائمة للغاية – الهدوء والإستقرار العام – والتى تتوافق مع مهمة النشاط (التبشيرى) » ، كتب تقريراً مفصلاً عن رحلته هذه ، لبعض المدن والقرى المصرية ، « طالب فيه الإرسالية الأمريكية فى دمشق ، ضرورة إبلاغ الكنيسة الأمريكية ، الأهمية الإستراتيجية لمصر كموقع حيوى وضرورى ، لجعل القاهرة مركزاً لنشاط الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشرق ، إلى جانب المركز الآخر فى دمشق »(١٣) . من هنا إستقر رأى الكنيسة الأمريكية على ضرورة ، بل حتمية ممارسة التنصير بين المسلمين فى مصر ، « وعلى وجه السرعة ، وبكثافة لكسب الوقت ، وكسب أنصار جدد للرب يسوع » .

وفى نوفمبر ١٨٥٤ ، قرر (إتحاد الإرساليات الأمريكية) ، إيفاد أول إرسالية تنصيرية إلى مصر . وكانت هذه الإرسالية تتألف من ؛ « توماس ماكيج T.Mccague ، وجيمس بارنيت G. Barnett ، وسيدة » ، هى فى الأصل ، زوجة الأول ، وشقيقة الثانى . وكان (جيمس بارنيت) ، قد تلقى

تعليمه فى جامعة أكسفورد ، حيث درس اللاهوت على يد (كلايبوت Claybougt)[١٤]، أحد المستعربين ، الإنجليز الذين زاروا مصر فى عام ١٨٤٥ للوقوف على أحوال التعليم فى الأزهر الشريف .

وفى ١٥ نوفمبر ١٨٥٤ ، وصل (ماكيج) وزوجته إلى القاهرة ، عن طريق (ميناء بولاق) ، ثم لحق بهما (جيمس بارنيت) ، فى ٢٤ نوفمبر ، « وكان يخدم فى سوريا قرابة عشر سنوات ، مما أعطاه خبرة لغوية »[١٥] . وأسسوا بذلك أول إرسالية تنصيرية أمريكية فى القاهرة ، وبدءوا نشاطهم التنصيرى . وعلى حد قول (واطسون) : « لقد ألقى على عاتق مستر بارنيت مهمة ، وضع حجر الأساس فى (البناء الروحى) ، وبذر البذرة الأولى (للحق الإلهى) ، فيما يتعلق بالإرسالية الأمريكية »[١٦] وهكذا بدأ العمل التنصيرى الأمريكي فى مصر .

وفى عام ١٨٥٤ ، أسست (جمعية إتحاد (مبشرى) أمريكا الشمالية) ، أهم معاهد (التبشير) فى مصر . فقد وضعوا نصب أعينهم ، تنصير المسْلم واليهودى والمسيحى إسماً[١٧] . وأخذت العناصر التنصيرية الأمريكية النشطة ، تتوافد على مصر .

ففى عام ١٨٥٦ جاء المُنصر (جوليان لانسنج) وزوجته ، وجاءت (مس ديلز) عام ١٨٥٨ ، والمُنصر الخطير (يوحنا هوج) وزوجته ، والمُنصر (يونج) وزوجته ، و(مس مكاون) فى عام ١٨٦٠ والدكتور (أندرو واطسن) وزوجته . وفى عام ١٨٦١ وصلت المُنصرة (سارة هارث)[١٨] . وهذه الأخيرة سيكون لها دور خطير فى مجال (التنصير) من خلال التطبيب !!

وأمام هذا الحشد الهائل ، من المُنصرين الأمريكيين ، كان على الكنيسة الأمريكية ، أن تحدد البرامج والأدوار بدقة . وبالفعل أنشأ الأمريكيون أول

(مجمع مشيخى) لهم فى القاهرة ، فى ١٣ أبريل عام ١٨٦٠ . وكان برئاسة (جيمس بارنيت) ، وسكرتارية (توماس ماكيج) ، وعضوية كل من ؛ (جوليان لانسنج) ، والقس الاسكتلندى (يوحنا هوج) ، الذى إنضم إليهم فى مايو من ذات العام .(١٩)

وقد أعطى المُنصرون الأمريكيون الأوائل ، الإعتبار الأول فى برنامج عملهم لدراسة اللغة العربية ، بالإضافة إلى الإلتحام مع مظاهر الحياة المصرية ، كما قاموا بزيارة لبعض المدارس التابعة للكنيسة القبطية المصرية ، وتعرفوا على بعض العناصر القبطية المؤثرة فى الحياة المصرية !

النشاط التنصيرى للإرسالية الأمريكية الأولى فى القاهرة

منذ البداية ، حصل المنصرون الأمريكيون الأوائل ، مع بداية عام ١٨٥٤ ، على مقر دائم لهم ، فى منزل صغير يقبع ، فى أحد الشوارع الضيقة (بدرب الجنينة) بالموسكى(٢٠) . وقد كان يقطن بهذا المنزل ، كل من (بارنيت وماكيج وزوجته) ؛ وقبل نهاية عام ١٨٥٤ ، جاء من الشام ، المُنصر الأمريكى (فارمن مارتين) وزوجته ، وبرفقتهما شاب يدعى (مراد) ، ونزلوا جميعاً بمقر الإرسالية الأمريكية ، بدرب الجنينة .

وبدأ النشاط الفورى للإرسالية الأمريكية ، من داخل (دار الموسكى) ، هذه . ويذكر البعض ، أن أول مؤتمر للإرسالية ، كان فى يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٨٥٤ ، بإحدى حجرات المنزل القابع فى (درب الجنينة) . وحضر هذا المؤتمر حوالى خمسة وثلاثين شخصاً . وكان الحديث من جانب المُتصرين ، عن مهمتهم (المقدسة) ، فى هذا المؤتمر ، باللغة الانجليزية . لكن فى ٢١ يناير ١٨٥٥ بدأت حملة التنصير الأمريكية ، باللغة العربية(٢١) . وبعد ذلك أخذ نشاطهم يمتد إلى بقية الأقاليم والمدن والقرى ، فى سرعة مُذهلة .

وكان المُنصر (أندرو واطسون) ، قد إختار عام ١٨٦٠ ؛ وهو العام الخامس لبدء النشاط التنصيرى للإرسالية الأمريكية فى مصر ؛ ليكون (عام نشر الكتاب المقدس) . وفى هذا العام طُرح منه كميات ضخمة ، فى كافة أنحاء القُطر المصرى ، وخصوصاً فى مناسبات (الموالد الشعبية ، والصوفية) ، التى كانت منتشرة فى الأقاليم المصرية فى ذلك الوقت .

الخديوى سعيد يعاون الإرسالية الأمريكية

وكان عهد سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣) قد شهد توافد المُنصرين الأمريكيين إلى البلاد ، ذلك الحاكم الذى كان يميل إلى الأجانب ، كما ذكرنا من قبل ، ويُعاب على هذا الحاكم ، تساهله فى معاملة أولئك الأجانب . فيقول عنه ، أحد المُنصرين الأمريكيين ؛ « أنه كان أميراً طيباً مستنيراً .. ولم يأت وقت ، منذ ١٢٠٠ سنة ، أكثر مناسبة لبدء العمل (التبشيرى) فى مصر ، كالوقت الراهن ، ومع هذا الحاكم »[٢٢] . ويصفه - كذلك - (أندرو واطسون) ، بأنه : « القديس الحامى للإرسالية الأمريكية . The Patron saint of the American Mission »[٢٣] . « إن الأجانب مدينون بالكثير لعهد (سعيد باشا) ، فلقد وضعت الإرساليات ، أسس عملها ، أثناء حكمه » . لقد بذل (سعيد) جهوداً كبيرة ، فى سبيل إرضاء الأمريكيين المُنصرين ، وأخذ يشجع أعوانهم وأذنابهم ، وكان من مظاهر هذا التشجيع رعايته للمدارس الأمريكية ، التى كانت مراكز خطيرة للتنصير . .

ويقرر (إيرل إلدر) ، واضع تاريخ الإرسالية الأمريكية فى مصر ، خلال مائة عام -؛ « أنه منذ البداية ، كانت الإرسالية مدينة بالكثير لرجال الأعمال وأصحاب المهن الأجانب ، بسبب ما كانوا يزودونها به من مشورات ونصائح . وقد إقترح واحد منهم أن تتقدم الإرسالية بطلب للخديوى (سعيد) ليمنحها منزلاً أو قطعة أرض تشيد عليه مكاناً دائماً لها »[٢٤] .

وبالفعل منح (سعيد) للإرسالية الأمريكية ، مبنى كبيراً ، فى أول شارع (الموسكى) ، الذى كان - وقتئذ - الشارع الرئيسى بالقاهرة ، بلغت قيمته فى ذلك الوقت ، عام ١٨٦٢ ، حوالى ٢٥ ألف دولار ، بناء على تدخل من القنصل الأمريكى[٢٥] ، (وليم تايير W. Thayer) ، الذى خدم الإرسالية الأمريكية ، بكل حماس ، حتى عام ١٨٦٣ .

وعندما اعتزمت الحكومة المصرية ، فى عام ١٨٧٣ ، الإستيلاء على المبنى لهدمه ، من أجل توسيع الشوارع ، وتجميل المنطقة ، التى يقع بها ، عوضها (الخديوى إسماعيل) عن ذلك ، ومنحها قطعة أرض مساحتها ٢١٢٦ متراً مربعاً ،[٢٦] بالقرب من فندق شبرد (السابق) ، ليقيموا عليها مبنى الإرسالية الجديد ، يسع المدرسة ، ومساكن المعلمين وعائلاتهم ، بدلاً من مكانهم الذى كان بالموسكى ، وعلاوة على ذلك حصلت الإرسالية الأمريكية ، على هبة مالية ضخمة ، قدرها سبعة آلاف جنيه من الذهب ، ليبدءوا بها البناء[٢٧] . ولكن الواقع أن الإرسالية الأمريكية ، باعت المبنى الذى منحه لها (سعيد) ، باعته لـ (إسماعيل)[٢٨] ، بمبلغ سبعة آلاف جنيه ذهب .

وعلى وجه السرعة ، وافقت (الكنيسة المشيخية الأمريكية) ، على بناء كنيسة وعمارة بالموقع الجديد فى (الأزبكية) ، فى ١٨ أبريل ١٨٧٣ ، وإحتفل بالبدء فى حفر الأساسات ، فى ٢٢ فبراير ١٨٧٥ ، ووضع حجر الأساس فى ٢٦ نوفمبر ١٨٧٥ ، بحضور القنصل الأمريكى العام ، (جورج بتلز G. Butter) ، وإنتهت أعمال التشييد والبناء ، فى هذا المقر الدائم ، للإرسالية الأمريكية فى عام ١٨٧٦ ؛ وقد بلغت تكاليف أساسات هذا المقر ، وحدها نحو ١٥ ألف دولار[٢٩] . وقد ظل هذا المقر أحد رموز التنصير ، والعمل ضد الإسلام والمسلمين فى مصر ، حتى عام ١٩٥٨ ، عندما تم تسليمه ، عن طريق الحكومة المصرية ، للكنيسة القبطية المصرية !!

بداية ظهور نفوذ القناصل ومندوبيهم فى الأقاليم

كان عدد من الأقباط المصريين ، يعمدون إلى التجنس بالجنسية الأمريكية ، بدعوى « إكتساب حصانة خاصة تضعهم فى مركز متميز ، ولا تمتد إليهم يد القانون » !!

ولكن أين كان هذا القانون المصرى – فى ذلك الوقت – وأولى الأمر فى البلاد ، يغدقون العطايا والمزايا على كافة الإرساليات التنصيرية ومعاونيهم .. أين هذا القانون الذى يعاقب الأقباط فى مصر ، أثناء وجود نظام الإمتيازات الأجنبية البغيض ، الذى كان فى مصلحة كافة المسيحيين الغربيين والشرقيين – على السواء !!

إن هذه الذريعة التى لجأت إليها الإرسالية الأمريكية ، بمساعدة القناصل الأمريكيين ومندوبيهم ، فى المدن والأقاليم المصرية ، كانت من أجل إكتساب عناصر قبطية مصرية ، لتوظفهم فى أعمال التنصير ، حتى تكون الإرسالية الأمريكية ، بعيدة عن هذا النشاط الخطير ؛ وتبدو فى الصورة أنها وفدت فقط ، للوعظ والدعوة الدينية للمسيح . ومن أمثال هؤلاء الأقباط المصريين ، الذين تجنسوا بالجنسية الأمريكية ، (يوسف ماشاء الله) ، الذى عينه القنصل الأمريكى (شارلز هيل) ، فى وظيفة مترجم بالقنصلية بالأسكندرية ، بدلاً من (ميخائيل طويل)(٣٠) . الذى رفض التعاون مع المتُنصرين الأمريكيين . و (سيداروس) الذى عمل مترجماً ، و (دهان دهان) ، الذى عُين مندوباً للقنصل الأمريكى فى مدينة (طنطا) ، و (نصر الله لوقا) ، بمدينة (بنى سويف) ، و (روفائيل خزام) ، بمدينة (المنيا) ، و (واصف خياط) بمدينة (أسيوط) ، و (مشرق خياط) بمدينة (جرجا) ، (إبراهيم داود) بمدينة (المنصورة) ، و (عز عبدالملك) ، بمدينة (الخرطوم) ، و (على

مراد) المُتنصر ، والذى عُين نائباً للقنصل الأمريكى بمدينة (الأقصر)[٣١] .
وغيرهم كثيرين .

ولقد أثارت هذه الإمتيازات القنصلية الأمريكية ، مشكلات عديدة ، من جانب رجال الإرسالية الأمريكية ؛ فقد كان من واجب القناصل الأمريكيين ووكلائهم أو مندوبيهم بالمدن والأقاليم المصرية ؛ رعاية المصالح التجارية الأمريكية ، ومساعدة السياح الأمريكيين ، الذين يزورون مصر فى الشتاء ، وإسداء النُصح لهم »[٣٢] . فقط ، وكما تُنصّ على ذلك الإتفاقية بين الولايات المتحدة وبين الدولة العثمانية . ولكن الإرسالية الأمريكية لفتت أنظار القناصل الأمريكيين ، « لأهمية رسالتها المقدسة » ؛ فأصبح من واجب القناصل الأمريكيين ومندوبيهم فى مصر ، معاونة أعضاء الإرسالية الأمريكية ، فى مهمتهم التنصيرية ، وحماية تلاميذ المدارس التابعة للمنُصرين ، وحماية من تحوّل من المسلمين إلى المسيحية على أيديهم من الإضطهاد ، وحماية موزعى الكتب التنصيرية المسيحية ، التابعين لهم فى حالة التدخل فى أعمالهم ، من جانب السلطات المحلية أو من جانب المسلمين المصريين (خصومهم الدينيين) ، عند زيارتهم للمدن التى ليست بها مراكز (تبشيرية) ثابتة[٣٣] . مخالفة بذلك ، نصوص الإتفاق الرسمى .

ولقد ظل قناصل الولايات المتحدة ، الذين تعاقبوا فى مصر ، ووكلائهم أو مندوبيهم فى المدن والأقاليم ، يساعدون الإرسالية التنصيرية الأمريكية ، بكل السُبل ، ويقدمون خدمات جليلة وخطيرة للمنُصرين الأمريكيين ، تحت ستار خدمات للسياح الأمريكيين ، الذين يفدون إلى صعيد مصر فى أشهر الشتاء ، والأسكندرية والسويس وبورسعيد . وقد أكدَّ ذلك ، قنصل عام الولايات المتحدة ، (مستر فرمان Farman) ، فى مصر عندما قال : « ليس لأى من قنصليات الولايات المتحدة فى مصر أهمية مباشرة ، لرعاية المصالح التجارية الأمريكية ، سوى القنصليات التى أنشئت فى بورسعيد ، والسويس ، و

(أسيوط) ، و (جرجا) ، وذلك لما تقدمه من خدمات جليلة لرجال الإرسالية الأمريكية »[٣٤] . وهذا إعتراف من أحد أعضاء السلك الدبلوماسى الأمريكى ، المفروض فيهم ، الحرص والحذر ، عند الحديث أو التصريحات !!

ليس فقط ، كان القناصل الأمريكيون ومندوبيهم ، يساعدون الإرسالية التنصيرية ، وإنما كانوا يمنحون حمايتهم لأقباط مصر ، الذين كانوا يعاونوهم فى أعمال الإرسالية التنصيرية ، وظل هذا الإمتياز القنصلى يتمتع به الأقباط المصريين حتى عام ١٨٧١ ، عندما نشبت (مشكلة يوسف خزام)[٣٥] . وكان هذا القبطى المصرى ، يعمل وكيلاً فى دائرة (حليم باشا) ابن (محمد على) . ولما وقع منه بعض الأخطاء أو الإختلاسات المالية ، طلب حماية القنصلية الأمريكية فى القاهرة . وأجاب القنصل الأمريكى طلبه ، وأسبغ حمايته عليه ، وعينه فى وظيفة (مترجم) بالقنصلية فى ١٧ أكتوبر عام ١٨٥٨ . وأخذ (يوسف خزام) يتعاون مع الإرسالية الأمريكية ، فى تنصير بعض الصبّية من أبناء المسلمين ؛ بحجة أنه (مترجم) . لكن الحكومة المصرية إعترضت على هذا الوضع ، مما جعل الخارجية الأمريكية ، تتراجع عن (حماية يوسف خزام) ، وبالفعل رفعت عنه الحماية فى عام ١٨٧١ .

هكذا كان نفوذ القناصل الأمريكيين واضحاً فى مجال التنصير ، وكذلك وكلائهم فى المدن والأقاليم المصرية . وسيظل هذا النفوذ قائماً ، حتى رحيل الإرسالية الأمريكية عن مصر .

المخطط التنصيرى الأمريكى فى القاهرة والأقاليم

منذ البداية ، كان لدى الإرسالية الأمريكية ، برنامج عمل منظم ، أريد به تحويل المسلمين إلى المسيحية . وإن كان البعض إدعي « بأن النشاط (التبشيرى) الأمريكى ، بدأ فى مصر بين الأقليات الدينية ، ولم يبدأ لتحويل

المسلمين عن دينهم ، حيث عهدت الإرسالية الأمريكية إلى القس (هوج) بالعمل بين الأقباط ، عندما إتخذوا من (أسيوط) مركزاً لعملهم (التبشيرى) ، لكثرة الأقباط هناك(٣٦) . و « أن جهود الإرسالية الأمريكية ، إنصرفت إلى تحويل الأقلية القبطية ، وقصرت جهودها على هذه الفئة ، وذلك بعد ان اتضح لها ، بصورة قاطعة ، فشل محاولات جميع الإرساليات التى سبقتها ورسخت أقدامها فى البلاد ، فى تحويل المسلمين إلى مذاهبها النصرانية ، وذلك حينما أعرض المسلمون عن إرسال أبنائهم إلى مدارسها »(٣٧) .

ومن إدعاءات المُنصرين أنفسهم ، نرى (أندرو واطسون) يقول : « إن نشاط إرساليته كان موجهاً فى الأساس إلى الأقباط » ؛ ويرجع ذلك فى رأيه إلى عاملين ؛ « أولهما : أن حاجة الأقباط إلى (التبشير) لم تكن أقل من حاجة المسلمين إن لم تزد ؛ وثانيهما : أن النشاط (التبشيرى) بين الأقباط كان مفتوحاً على مصاريعه.، بينما كان باب المسلمين موصداً ، بسبب عدم إعتراف (الحكومة الإسلامية) بمبدأ الحرية الدينية ، ورفض الجماعة الإسلامية الاعتراف بهذا المبدأ »(٣٨) . فهل من المنطق أن نُصدِّق هذا الكلام .. وهل هذا كلام معقول ؟!!

فإن حقيقة الأمر ، إن ما يدعيه المُنصرون (كينث سكوت) و (أندرو واطسون) ؛ « بأن الإرسالية الأمريكية كان نشاطها قاصراً - فقط - على تحويل الأقلية القبطية فى مصر » ، عار من الحقيقة . خاصة وأن إحدى المُنصرات الأمريكيات تؤكد : « بأن إعراض المسلمين عن الدخول فى المسيحية ، يعود إلى العثرة فى طريق المسلمين ، وهم النصارى أنفسهم ، لذلك وجه (مستر هوج) مساعيه نحو إصلاح المدّعون مسيحيين أولاً ، حتى يجعل أمام المسلمين نموذجاً حقيقياً للمسيحية الحقيقية »(٣٩) . وهذا يعنى أن الإرسالية الأمريكية ، كان هدفها الأول والأخير ، هو تنصير المسلمين ،

وتحويل أبنائهم إلى المسيحية ، ثم لا مانع من إستخدام (المدّعون مسيحيين) ، كأعوان وعناصر فعالة ونشطة ، من أبناء القطر ، كأنموذج ، فى تنصير المسلمين .

ويكفى تصريح المُنصرة الأمريكية (مس سميث) ، حين قالت : « إن معظم أمانينا ستنحصر فى مصر الحديثة »(٤٠) . وهل من المعقول أن أمانى وتطلعات الإرسالية الأمريكية ، كانت مُعلقة على الأقلية القبطية فى مصر ، أم على الأغلبية العظمى من المسلمين ؟!!

لقد كان الهدف الأساسى والمباشر ، للإرسالية الأمريكية ، فى مصر ، ومنذ البداية ، تنصير المسلمين وتحويلهم إلى حظيرة المسيحية الغربية ، ولا يُهم أن تكون بروتستانتية أو كاثوليكية .

على أية حال ، منذ أن بدأ توافد المئات من المُنصرين الأمريكيين إلى مصر ، لفترات بين القصيرة والطويلة ، ونشاطهم آخذ فى الانتشار ، وفقاً لبرامج ولوائح وضعت خصيصاً لتنصير المسلمين فى مختلف الأقاليم والمدن المصرية . وقد قضى رجال الإرسالية الأمريكية ، السنة الأولى فى مصر ، فى تعلم اللغة العربية ، « التى عن طريق معرفتها ، يستطيع المُنصر أن يتعامل مع كافة طبقات الشعب المصرى ، وباعتبار تعلمها من المهام الأساسية ، من أجل التوغل فى قرى ونجوع القطر المصرى ، والتحدث مع الأهالى ، بنفس لغتهم » . « ومن يجيدها يستطيع أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية ، بسيف الكتاب المقدس » . ومع أن المنصرون الأمريكيون صادفوا كثيراً من المشاق والصعاب فى أثناء تعلمها ، إلا أن همتهم لم تثبط ، وأخذوا يواصلون التعلم ، حتى أجادوها .

وكان من بين الوسائل التى إتبعها المُنصرون الأمريكيون فى مصر ، غير طريق « إنشاء المدارس ، التى رأوا فيها أنجح وسائل التنصير ، إذ ينجذب إليها

الكافة يهوداً وقبطاً ومسلمين » ؛ والتى سنشير إليها فيما بعد - ؛ هى (الزيارات الميدانية) . بمعنى قيام أفراد من هذه الإرسالية الأمريكية ، بعمل زيارات إلى المسلمين فى بيوتهم ، ومحال أعمالهم ، متجشمين مصاعب ومشاق كثيرة . فى هذه المرحلة الأولى ، لشرح بسيط عن (التدبير الإلهى فى تخليص البشر)[٤١] لتنصيرهم .

وقد اتبعوا فى البداية ، منهجاً ريداً ، تمثل فى تجنب المجادلات فى الناحية الدينية ، بقدر الإمكان حتى لا يثيروا حفيظة المسلمين . ونجحوا بذلك ، فى أنهم كسبوا إحترام بعض الناس ، وترغيبهم فى الإستماع والإنصات إليهم . وعلى حد قول المُنصرة (رينا هوج) : « إذا كنا نبتدئ لهم بالمجادلة ....،... فمن المؤكد أنهم يتشبثون بوصف شيوخ الإسلام لنا ، بأننا كفار »[٤٢] . هكذا بدأ عمل المخطط التنصيرى لأمريكي الأولى فى مصر .

والحقيقة أن هؤلاء المدبرون ، لم يكتفوا بالإتصال المباشر بالمسلمين فى بيوتهم ، ومحال أعمالهم ، وإنما قاموا بفتح (خدمة طبية) ، فى كل كنيسة شيدوها ، وكل مدرسة كانت تحت إشرافهم ، وكانت هذه (العيادات الطبية) ، لجذب المرضى الملتفين ، من الفقراء ، لتقديم خدمة طبية بجانية ، للبدء فى تنصيرهم ، بدعوى أن الشفاء قد تم على أيدى المسيح » . ويذكر المُنصر الأمريكى (هاربر) : « حكاية طفلة مسلمة عنى (المبشرون) بتمريضها فى (مستشفى مصر القديمة) ثم ألحقت بمدرسة (البنات الأمريكية) فى (باب االوق) ، وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى »[٤٣] . وفى ذات الصدد تقول (أنا واطسون) ، إحدى المُنصرات الأمريكيات ، « ان ٣٠٪ من الذين يعالجون فى مستشفى الإرسالية الأمريكية بمدينة (طنطا) من الفلاحين المسلمين ، وأكثرهم من النساء . أما طريقة (التبشير) فى هذا المستشفى فهى أن يذكر (الإنجيل) للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف فى المناقشة »[٤٤]

وقد أخذت هذه (العيادات الطبية) ، مُسميات جذابة ، كـ (دار الشفاء) ، و (السبع بنات) ، ..الخ ؛ من هنا كان (التطبيب) ، من أحد الوسائل الخطيرة ، التى إستخدمها المنصرون الأمريكيون فى مصر ، لتنصير المسلمين . وبجانب الخدمات الطبية ، كانت (الملاجئ) للأيتام ، وهى إحدى الوسائل التى استخدمها المنصرون الأمريكيون في مصر

وكانت الإرسالية الأمريكية ، قد بدأت نشاطها فى بعض مناطق القاهرة والاسكندرية ، والأقاليم ، بإقامة هذه (الملاجئ) دور الأيتام ، بدعوى تقديم رعاية إجتماعية لهؤلاء النزلاء بها ، فى إطار الخدمة الإنسانية . وبطبيعة الحال ، كانت نهاية النزيل المسلم أو النزيلة المسلمة ، هى التحول عن الإسلام ، إما بالإرغام أو الإرهاب أو التنويم (المغناطيسى) ، ومن هذه المناطق التى بُدء بها النشاط التنصيرى الأمريكى ، عن طريق الملجأ ، منطقة (الملك الصالح) ، « فقد بدأ النشاط التنصيرى للإرسالية الأمريكية ، فى هذا الحى عام ١٨٩٣ حيث إفتتح ملجأ للبنات ، وكان المُتنصر القبطى المصرى ، (صالح حنا الله) ، هو الذى يقوم ، بتلقين النزيلات المسلمات ، التعاليم المسيحية ، يومين فى كل أسبوع هما الأحد والأربعاء »(٤٥) .

وكان أعضاء الإرسالية الأمريكية ، فى مصر . قد كلفوا لفيفاً من أعوانهم ، يطوفون الأقاليم والمدن والقرى ، لتوزيع (الإنجيل) ، بعد أن ترجموه إلى العربية ، وكانوا يضعون النُسخ المراد توزيعها فى صندوق على ظهر حمار ، وينادوا عليه ،... (الكتاب المقدس للبيع)(٤٦) . ويذكر (أندرو واطسون) ؛ « أنه فى أول نشأة الإرسالية الأمريكية بمصر ، كانت تقوم بتوزيع هذا الكتاب بالمجان » . وفى بعض الأحيان ، كان المنصرون الأمريكيون ، يستأجرون القوارب ، ويركبونها فى النيل ، من أجل الوصول إلى المناطق البعيدة – عن القاهرة – للطواف بمدن الوجه القبلى لنشر المسيحية بين مسلمى هذه المناطق .

وكان (أندروو واطسون) – قد إختار عام ١٨٦٠ – وهو العام الخامس لعمل الإرسالية الأمريكية ، ليكون (عام نشر الكتاب المقدس) . ففى سبتمبر ١٨٦٠ ، إشترت الإرسالية الأمريكية ، إحدى العوامات ، والتى كان يُطلق عليها (أيبس) ، من إحدى السيدات ؛ وقد إستخدمت هذه العوامة فى نشر (الإنجيل) ، بواسطة ثلاثة من المُنصرين الأمريكيين هم ، (هوج ولانسنج وماكينج) . وقضى (ماكينج) بهذا العمل خمسة أسابيع ، قضاها بين (القاهرة) و (الأقصر) ، على أحد المراكب . وفى (أسيوط) كان يطوف ممتطياً حماراً محملاً بالكتب منادياً : « الكتاب المقدس للبيع » . وقد رافقه فى هذه المرحلة ، أربعة من الأقباط المصريين ، أحدهم إسمه (إبراهيم يوسف) ، كان يعمل بالتدريس فى (أسيوط)(٤٧) .

وفى (الأقصر) ، التى كانت مركزاً للنشاط التنصيرى الأمريكى ، حتى بداية مارس ١٨٦١ ، وصل المُنصر (لانسنج) على ظهر العوامة (أيبس) ، وأخذ يوزع (الإنجيل) على الأهالى ، بالمجان تارة ، وبالبيع تارة أخرى للموسرين . وفى منطقة (إسنا) ، أقام المُنصر (لانسنج) وأعوانه من الأقباط المصريين ، داخل خيمة لمدة عشرة أيام ، يقدمون الإنجيل مطبوعاً ومسموعاً . وقد ذكر (لانسنج) ، أنه خلال شتاء عام ١٨٦٠ ، ذهب إلى حوالى (٧٠ قرية) بين القاهرة والأقصر ، من أجل نشر الإنجيل . وفى عام ١٨٨٦ عينت الإرسالية الأمريكية ، ١٦ موزعاً للإنجيل ، منهم خمسة فى (القاهرة) وواحد بكل من (الاسكندرية) و (المنصورة) ، وسبعة فى (أسيوط) ، وإثنين فى (الأقصر) – وقد وصل حجم التوزيع فى عام ١٨٩٩ إلى أكثر من ٢٠ ألف نسخة(٤٨) .

وفى تقرير كتبه رئيس الإرسالية الأمريكية فى مصر ، عن نشاط الإرسالية وإتساعه ، ذكر فيه : « ان نشاط الإرسالية يعتمد على أقسام مختلفة ، أحد هذه الأقسام هو قسم (التبشير) بالإنجيل ، وقد قام على رعاية هذا القسم عشرة

من القسس الأمريكيين ، واختص بتوزيع نسخ من الكتاب المقدس ، وقد وصل عدد النسخ ، التى وزعت فى عام واحد ، هو عام ١٨٦٠ ، إلى ٣٠ ألف نسخة ، وقسم آخر يتبع الإرسالية ، هو القسم التعليمى ، وهو الآخر منقسم إلى فروع وأقسام متعددة لخدمة ذات الغرض »(٤٩) ، وهو التنصير .

وكانت مهمة إنشاء الكنائس وتجهيزها من أعمال (القسم التعليمى) ؛ فقد عمدت الإرسالية الأمريكية أيضاً -، إلى بناء هذه الكنائس ، لإتخاذها مراكز للنشاط التنصيرى . وقد غدت هذه المراكز التنصيرية ، تعمل تحت ستار ، أنها وحدات تعليمية ، يُعقد بها الإجتماعات الدورية ، كل يوم أحد ، حتى أطلق عليها اسم (مدارس الأحد) ، حيث كان يدرس بها (الكتاب المقدس) ، ويشرف عليها رجال الكنيسة . وفى معظم الأحوال ، كانت الفصول المدرسية ، ملحقة بالكنيسة ، تستعمل كمدرسة ، حتى إذا زاد عدد الرواد من التلاميذ ، شرعت الإرسالية فى إنشاء مبنى مستقلاً ، ينتقل إليه التلاميذ ، على أن تظل الفصول الملحقة بالكنيسة هى ، لإستخدامها ، أيضاً كفصول تعليمية أو لأية أغراض تنصيرية أخرى - كما سنعرف هذا فيما بعد - كالتطبيب والرعاية الصحية والاجتماعية ، وتقديم الخدمات الإنسانية ، وكان رجال الدين المسيحى ، الأمريكيين ، وبعضاً من الأقباط المصريين ، هم الذين يقومون بالتدريس فى هذه الفصول ، وكانوا هم - أنفسهم - المشرفين على ما أسموه « الرعاية الصحية ، والخدمات الإنسانية » ، وكانوا هم أيضاً ، الموجهين والمهيمنين على هذه المدارس .

ومن بين هذه الكنائس ، التى أنشأتها الإرسالية الأمريكية فى مصر ، ففى القاهرة وحدها ، أنشئت الإرسالية الأمريكية حوالى إثنتا عشرة كنيسة ، منها (كنيسة حارة السقايين ، بحىّ عابدين . وتأسست فى عام ١٨٨٥ ، بالعقار رقم ٨ بعطفة شرف ، كنيسة القللى ، فى ١٥ يوليو ١٩١٠ ، كنيسة الفجالة ، فى عام ١٨٨٩ - وهذه الكنيسة تأسست فى البداية داخل خيمة -، كنيسة

شبرا عام ١٩٢٠ ، كنيسة مصر الجديدة ١٩١٨ ، كنيسة العباسية ١٩٢٩ ، كنيسة حلوان ١٨٦٣ ، وقيل أنها بدأت داخل بيت فى البداية ، وكنيسة الزيتون) - هذا على سبيل المثال - لا الحصر - فى القاهرة . أما فى الاسكندرية ، فقد تأسست كنائس فى ، حىّ العطارين ١٩٠٨ ، وفى كرموز ١٩٠٣ ، وفى السراى ١٩٢١ ، وفى سيدى بشر ١٩٢٧ ، وفى (أسيوط) تأسست أول كنيسة فى عام ١٨٩٦ . وفى (الفيوم) كانت أول كنيسة فى عام ١٨٩٧ . وفى (قوص) كانت أول كنيسة قد تأسست فى عام ١٨٧٨ ، وهى ثانى كنيسة أنشأتها الإرسالية الأمريكية فى مصر . وفى (المنيا) تأسست الكنيسة فى عام ١٨٨٥ ، وغير ذلك مئات الكنائس الأخرى ، فى كافة مدن القطر المصرى[٥٠] .

مدارس الإرسالية الأمريكية فى القاهرة

ولقد أدركت الإرسالية الأمريكية ، المتحمسة لتنصير مسلمى مصر - فى ذلك الوقت - أن خير ميادين العمل (التبشيرى) ، هو ميدان التعليم ، على إعتبار أن حاجة المسلمين إلى التعليم لا تنقطع ، من هنا كانت أهمية التعليم فى العمل التنصيرى ؛ فالعملية التعليمية تضمن تنشأة أجيال يتم صبغهم على أيدى معلميهم ، بالصبغة التى يريدونها لهم . هكذا كان مجال التعليم على درجة عالية من الخطورة ، فى توجيه أفكار التلاميذ (الصبيّة) ، والطلاب ، والدارسين ، وفق تخطيط (التبشير) وبرامجه[٥١]

وعلى هذا الأساس ، أخذت الإرسالية الأمريكية فى تأسيس المدارس التنصيرية ، بمختلف أنحاء مدن القطر المصرى . وكانت القاهرة ، أول ميدان لممارسة هذا النشاط . وكانت أول مدرسة خاصة ، من هذا النوع قد تأسست فى عام ١٨٢٨ م ، فى حىّ (بولاق) ، وهى (مدرسة الأمريكان

الابتدائية) ، حيث أُلحقت بالكنيسة الأرثوذكسية[٥٢] . وإفتتحت الإرسالية الأمريكية ، أول مدرسة للبنين فى القاهرة فى عام ١٨٥٤ ، فى منطقة (درب الجنينة) ، بواسطة المُنصران (بارنيت وماكينج) ، وبمساعدة ثالث قبطى مصرى ، يُدعى (عوض حنا) . ثم نقلت هذه المدرسة - بعد ذلك - إلى (حارة السقايين) . واستمرت تقدم الخدمات التعليمية ، فترة طويلة ، بالمجان . كما إفتتحت مدرسة أخرى للبنات ، فى القاهرة أيضاً ، عام ١٨٥٦ فى (حارة السقايين) ، أشرفت عليها (مسز* ماكيجج) ، زوجة المُنصر (ماكينج)[٥٣] .

مدرسة الأزبكية

وعندما إستقر الرأى على إنشاء مدرسة أخرى للبنين ، فى القاهرة ، ولكن بمصروفات . تم إختيار حىّ (الأزبكية) ليكون المقر الرئيسى لهذه الوحدة التعليمية . وافتتحت المدرسة فى عام ١٨٦١ ؛ وفى اكتوبر من ذات العام ، افتتحت مدرسة أخرى للبنات (بحىّ الأزبكية) .* وقام المُنصر (ابونج) بالإشراف عليها[٥٤] . ويلاحظ أن بداية النشاط التعليمى للإرسالية الأمريكية فى القاهرة ، قد تركز فى الأحياء الشعبية والفقيرة . وإن كان فيما بعد ، سينتقل إلى الأحياء الراقية !!

وبطبيعة الحال ، لم يكن الغرض من هذه المدارس التنصيرية الأمريكية - ومنذ البداية - تعليمى تربوى ، بقدر ما كان هدفها إعداد مُنصرين (وطنيين) ، حتى غدت الإرسالية الأمريكية لها مُنصرين أقباط مصريين - ويؤكد (جرجس سلامة) ، هذا الأمر . عندما يقول : « واستهدفت المدارس الأمريكية ، تحويل الأقباط المصريين إلى البروتستانتية ، وكانوا يعتمدون فى ذلك على أموال المنظمات (التبشيرية) »[٥٥] . وعلى الرغم من أن (جرجس سلامة) ، قد إنساق مع إدعاءات المُنصرين الأمريكيين ؛ « بأن الإرسالية

الأمريكية كانت تستهدف أقباط مصر فقط » . الا أنه يؤكد « بأن الهدف (التبشيرى) ، هو الذى كان يُمثل الإهتمام الأول لمدارس البعثات وخاصة فى صعيد مصر »[٥٦] .

وينساق آخرَ وهو (أنور عبدالملك) ، وراء إدعاءات المُنصرين الأمريكيين ، وينضم إلى جانب (جرجس سلامة) ، قائلاً : « وقد كان جرجس سلامة على حق ، حينما ركز على الهدف (التبشيرى) الذى كان يمثل الإهتمام الأول لمدارس الإرسالية الأمريكية ، فقد كان الهدف هو تحويل الأقباط المصريين فقط ، إلى الكاثوليكية والبروتستانتية » . وأضاف (أنور عبدالملك) ؛ « كما مارست (جمعية الكنيسة (التبشيرية)) – Church Missionary – تأثيراً تربوياً وأيديولوجياً أكيداً حتى عام ١٨٦٥ ، وخاصة عن طريق (المؤسسة القبطية (The coptic institution) ؛ (١٨٤٣ – ١٨٤٨)[٥٧] . ومع ذلك فإنه يؤكد حقيقة أن الإرسالية الأمريكية إتخذت من التعليم وسيلة لتنصير المسلمين فى مصر .

وكان من الطبيعى ، أن يكون التعليم وسيلة للهدف الأكبر (تنصير المصريين) ، ويوضح أحد أشهر المُنصرين الأمريكيين هذه الحقيقة العارية ، فى كتابه (وادى النيل . مسح للحركة التبشيرية) ، قائلاً : « ان هدف البعثة الأمريكية ، الأساس من المجئ إلى مصر ، كان تحويل المسلمين بها إلى المسيحية »[٥٨] .

القسم الداخلى بمدرسة الأزبكية

على أية حال ، بلغ عدد المقيدات بمدرسة البنات بالأزبكية ٢٥٠ طالبة ، ولكن المنتظمات فى الحضور كان عددهن حوالى ٩٠ يومياً . وفى عام ١٨٦٤ تم إفتتاح قسم داخلى بمدرسة البنات بالأزبكية بدأ بتسع تلميذات ، زاد عددهم

فيما بعد إلى ١٦ تلميذة . وفى عام ١٨٧٤ أغلق هذا القسم ، ثم أفتتح فى عام ١٨٧٤ بحىّ (الفجالة) بالقاهرة ، عندما استأجرت الإرسالية الأمريكية بيتاً خاصاً لهذا الغرض . وإلتحقت به خمس طالبات فى بداية إفتتاحه ، وقد زاد عدد طالبات هذا القسم الداخلى إلى احدى عشرة طالبة فى عام ١٨٧٥ ثم إلى ثمانى عشرة طالبة فى العام التالى(٥٩) . وكانت غالبية الملتحقات بهذا القسم من أبناء الأغنياء المسلمين من صعيد مصر .

كلية رمسيس للبنات

وعندما إنتقلت مدرسة الأزبكية إلى حىّ (الموسكى) ، وهو من الأحياء الهامة فى القاهرة ، فى ذلك الوقت ، تزايد عدد الملتحقات والملتحقين بالمدرسة الأمريكية ، التى كانت مشتركة للبنين والبنات . ونظراً لزيادة عدد الطالبات بمدرسة البنات الأمريكية بالأزبكية ، وعدم قدرة القسم الداخلى على إستيعاب المتقدمات له ، حيث كان القسم الداخلى ، يستوعب (٨٠ طالبة) فقط ، أصبحت الحاجة مُلحة إلى إنشاء كلية للبنات ، كما تدعى الإرسالية الأمريكية ؛ ولذلك فكرت الإرسالية فى عام ١٩٠٤ فى إقامة هذه المؤسسة الجديدة للبنات (وهى القابعة حالياً بشارع رمسيس فى قلب القاهرة) — وأعدت الرسومات الهندسية للمشروع ، لكن التنفيذ كان يحتاج إلى مبلغ ضخم من المال . الأمر الذى جعل الإرسالية الأمريكية تقوم بحملة دعاية واسعة النطاق ، حول نُبل وسمو هدف هذه المدرسة التربوية التعليمية . ونجحت بدعايتها فى جمع حوالى ٦ آلاف دولار ، من المسلمين والأقباط المصريين فى عام ١٩٠٦ . كما ساهم مستر (جون روكفلر) ، فى عام ١٩٠٧ بمبلغ ٣٠ ألف دولار ، لإنجاز هذه المؤسسة التنصيرية الخطيرة(٥٩) .

وتم وضع حجر الأساس لمبنى الكلية فى ٢٥ فبراير عام ١٩٠٨ ، وإستطاعت الإرسالية الأمريكية إفتتاحها فى عام ١٩٠٩ ، حيث بدأت الدراسة

بها فى ديسمبر من ذات العام ، وقد وصل عدد الطالبات بها فى الشهر الرابع من السنة الأولى ١٨٠ طالبة . عندما إفتتحت رسمياً فى ٢٨ مارس ١٩١٠ ، وكان محمود (باشا) صدق ، محافظ القاهرة ، على رأس إحتفال الإفتتاح ، بينما كان ضيف الشرف ، الرئيس الأمريكى (تيودور روزفلت)[٦٠] .

وكانت الكلية قد بدأت نشاطها فى مبنى واحد من دور واحد أطلق عليه (إيلاكايل) ، عام ١٩٠٩ ، وهو إسم أول مديرة للكلية حيث ظلت تعمل بها حتى عام ١٩١٢ ، وكان يعاونها فى الإدارة (إميليا بدر) ، وهى فتاة لبنانية جاءت إلى مصر فى عام ١٨٩٧ وعملت فى مدرسة البنات الأمريكية ، فى البداية ، ثم إنتقلت إلى كلية البنات الأمريكية . ولها دور خطير فى تنصير عدد من البنات المسلمات داخل هذه المؤسسة التنصيرية الخطيرة[٦١] . وأخذت الإرسالية الأمريكية من خلال كلية البنات (رمسيس) ، تمارس نشاطها التنصيرى بين الطالبات المسلمات ، فتحول منهن ما تحول إلى المسيحية فى الخفاء ، ومن نجا بدينه ، إنصرف عنه وغدا علمانياً ، وخير دليل على ذلك (سهير القلماوى) ، وهى إحدى خريجات هذه الكلية الأمريكية ، و (عزيزة حسين) ، وغيرهن كثيرات . ولاتزال هذه الكلية تعمل فى قلب القاهرة حتى اليوم !!

جامعة القاهرة الأمريكية

وتوجت الإرسالية الأمريكية جهودها التنصيرية ، بإنشاء الجامعة الأمريكية فى عام ١٩١٩ ، على غرار (كلية روبرت) بالقسطنطينية ، عندما إتضحت لها أهمية (القاهرة) كمركز ثقافى هام يتولى زمام القيادة الفكرية الإسلامية ، فى العالم الإسلامى ، بسبب وجود الأزهر بها ، وعلى حد قول واطسون : « إن شهادة منه بين العرب توازى شهادة الدكتوراة من أكسفورد أو باريس أو

هارفارد فى العالم الغربى »[٦٢] . فضلاً عن أن مصر تسود فيها اللغة العربية الفصحى ، التى تعتبر لغة جميع الدول العربية الإسلامية ، وأن أكثر من مليون نسخة من المجلات العربية والجرائد تصدر سنوياً فى القاهرة . وهذا بلا شك له تأثير كبير على العالم العربى)[٦٣] . وعلى هذا الأساس إستقر الرأى على إنشاء الجامعة الأمريكية بالقاهرة لتكون كبرى المؤسسات التنصيرية الأمريكية ، بل والدولية .

ويرجع الفضل فى تأسيس هذه المؤسسة التنصيرية الأمريكية بالقاهرة ، إلى (تشارلز روجر واطسون) ، ابن المُنصر الخطير (أندرو واطسون) . وكان (تشارلز) فى عام ١٩١٢ قد بدأ فى دراسة نظام التعليم فى مصر ، ووضع فى مُخيلته بعض التصورات بشأن تطوير النشاط التنصيرى ، ونقله من مجال التلاميذ والصبيّة إلى مجال وجدان الشباب . وسافر بعد ذلك إلى أمريكا فى عام ١٩١٤ ، وعندما إجتمعت (الكنيسة المشيخية الأمريكية) ، فى نيويورك ، يوم ٣٠ نوفمبر عام ١٩١٤ ، إجتماعها الدورى ، وكان حاضراً هذا الإجتماع بعض رجال الأعمال الأمريكيين ، الذين يمولون النشاط التنصيرى الأمريكى فى وادى النيل ، برئاسة الدكتور (مكلوركن) . عرض عليهم (تشارلز واطسون) ، فكرة إنشاء مؤسسة تنصيرية شابة فى القاهرة ، تحت اسم (جامعة القاهرة الأمريكية) ، وطلب منهم كذلك (أن يرفعوا صلاة الرب كى يساعده فى تحقيق هذا الحُلم)[٦٤] .

وبعد عودته إلى القاهرة فى عام ١٩١٩ ، وجد أنه قد صدر مرسوم بإنشاء الجامعة المصرية ، (جامعة القاهرة) . فبدأ (تشارلز واطسون) مفاوضاته لشراء مبنى الجامعة الأهلية ، والتى كانت تشغل مبنى كبيراً فى ميدان الإسماعيلية (ميدان التحرير حالياً) ، والتى سوف تكون النواة للجامعة المصرية ، والتى سوف تُنقل إلى (الجيزة)[٦٥] . وكانت (الجامعة الأهلية)

تشغل سراى الخواجة (فستور جناكليس) ؛ وهو المبنى الذى إشتراه (تشارلز واطسون) فى عام ١٩٢٠ فعلاً .

وقد سُميت الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، فى البداية باسم (مدرسة لنكولن للدراسات الشرقية) حيث أُدمج فيها المركز الدراسى لإعداد المُنصرين الجُدد . » وأصبح أعضاء حفل العشاء يشكلون مجلساً يرسم سياسة الجامعة فى مختلف النواحى المالية والإدارية والدراسية ، كما يقوم هذا المجلس بتعيين رئيس الجامعة . ويسمى هذا المجلس – القائم حتى اليوم – بمجلس (الأوصياء) .

وكان (تشارلز واطسون) ، أول رئيس لهذه الجامعة ، وظل كذلك حتى عام ١٩٤٥ . وكان أغلب تمويل الجامعة فى البداية ، عبارة عن تقدمات من الكنائس الأمريكية ، أما الآن فتمويل الجامعة يتم عن طريق المؤسسات التنصيرية الكبرى فى العالم كله ، لتصبح هذه المؤسسة حصناً منيعاً للمسيحية ، ومركزاً خطيراً من مراكز التنصير فى العالم الإسلامى .

وكانت هذه المدارس والكليات والجامعة الأمريكية فى القاهرة ، يغلب عليها الطابع الدينى المسيحى الصرف ، وتكرس جهودها لتخرج نفرا من الناس يدينون بالمسيحية ويشبون على التفانى فى خدمة النشاط التنصيرى ، وتنمية العاملين بهذا الحقل[٦٦] . على أن هذه المؤسسات أخذت تفقد طابعها الدينى ، عندما إضطرت إلى تطويع خطة الدراسة بها حتى تساير المدارس الحكومية ، التى إستحدثت نظام شهادة إتمام الدراسة الثانوية بمدارس الحكومة[٦٧] . وذلك لكى يتسنى لتلاميذها التقدم إلى الإمتحانات العامة ، وحتى لا يهجر هؤلاء التلاميذ المصريون المسلمون مدارسها إلى المدارس الحكومية أو الأهلية التى تعدهم للحصول على تلك الشهادة للإلتحاق بالوظائف الحكومية .

ولم تقتصر تلك المؤسساتِ التنصيرية الأمريكية على مدينة القاهرة وحدها ، بل إنتشرت مدارس الإرسالية الأمريكية فى كل أنحاء مصر تقريباً سواء فى الوجه البحرى أو القبلى .

مدرسة اللاهوت

كان الهدف من إنشاء هذه المدرسة ، هو إعداد كوادر تنصيرية للعمل فى مجال تنصير المسلمين فى مصر . وبدأت المدرسة فى عام ١٨٦٤ بفصول مسائية غير منتظمة . ثم افتتح (صف اللاهوت) بعد ذلك ، فى عوامة المُنصر (هوج) . وكان (الصف) يتنقل تبعاً لتنقلات المنصرين ، الذين كانوا يقومون بالتدريس به . وبعد فترة استقر (الصف) فى موقعين هما : أسيوط والقاهرة .

فقد كان (يوحنا هوج) يقوم بالتدريس للصفين الأول والثانى فى (أسيوط) ، وكان (أندرو واطسون) يقوم بالتدريس للصفين الثالث والرابع فى (القاهرة) . إلى أن كان عام ١٨٨٥ عندما إستقر (الصف) نهائياً بالقاهرة . وأصبحت سنوات الدراسة به ثلاث سنوات بدلاً من أربع ، وتغير إسم الصف إلى (مدرسة اللاهوت) ؛ والتى كان يقوم بالتدريس بها ، طلائع المُنصرين الأمريكيين ، « لانسنج ، يوحنا هوج وأندرو واطسون – وليم هارفى – جون جفن – هنت ، وآخرين »[٦٧] . وغدت هذه المدرسة مركزاً خطيراً لتخريج المُنصرين الوطنيين ، والذين عاونوا المُنصرين الأجانب فى مصر .

هوامش الفصل الثانى

(١) أحمد أحمد الحته (دكتور) - التمثيل القنصلى والدبلوماسى للولايات المتحدة الأمريكية فى مصر فى القرن التاسع عشر ، ص/١ .

(٢) Brinton; J.Y.; The American Effort in Egypt. A. chapter in diplomatic History in the Nineteenth century; P.P. 17-18.

(٣) Ibid; P.134

وانظر كذلك : نبيل عبدالحميد سيد (دكتور) - النشاط التبشيرى الأمريكى فى البلاد العربية حتى عام ١٩٢٣ ، المجلة التاريخية ، القاهرة ، المجلد السابع والعشرون ، ١٩٨١ ص/٢٦٢ .

(٤) أحمد أحمد الحته (دكتور) - المصدر السابق . ص/٦٤ .

(٥) مصلحة عموم الإحصاء الأميرية ، وزارة المالية ، الإحصاء السنوى العام للقطر المصرى لسنة ١٩١٦ ، نشرة حرف (هـ) نمرة (٨) . ص/٢٧ .

(٦) مصلحة عموم الإحصاء الأميرية ، وزارة المالية ، الإحصاء السنوى العام للقطرى المصرى لسنة ١٩١٧ ، (الجزء الثانى) .

(٧) Watson, Andrew; American Mission in Egypt, (1854 - 1896); New York; 1904; P. 442

(٨) Ibid; P.P. 36 - 39

(٩) Ibid; P.P. 63 - 64

(١٠) Ibid; P.P. 61 - 64

(١١) سوسن سليم إسماعيل (دكتورة) - المصدر السابق . ص/٢٠٥ - ٢٩٣ .

حيث تعرض الباحثة ، لأسباب وأحداث فتنة الستين ، فى شكل درامى مؤثر ، وكأنها كانت تقاتل فى صفوف (الموارنة) ، مع أننى على يقين من أن الباحثة مسلمة !!

(١٢) Brinton, J.Y.; OP. cit.; PP.; 51 - 52

(١٣) Ibid; P. 52

(١٤) Watson, Andrew; OP. cit.; P. 64

(١٥) رينا هوج ، « الأستاذ الجليل بين مرسلي وادى النيل » ، تاريخ المرحوم الدكتور القس يوحنا هوج ، ترجمة : مترى صليب الدويرى ، القاهرة ، ١٩١٧ . ص/١٢ .

(١٦) Watson, Andrew; OP. cit.; P. 71

(١٧) ل. شانليه – الغارة على العالم الإسلامى . ص/٥١ .

(١٨) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٥٣ .

(١٩) وليم سليمان (دكتور) – الكنيسة المصرية تواجه الإستعمار والصهيونية – ص/٢٤

وأنظر كذلك : إبراهيم خليل محمد – الإستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية . ص/٥١ . .

(٢٠) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٥٩ .

(٢١) المصدر السابق . ص ١ ٥٩ – ٦٠ .

(٢٢) Watson, Andero; OP. cit.; PP. 36 - 37

(٢٣) Ibid; P. 33

(٢٤) Earl E. Elder; OP. cit; P. 28

(٢٥) Edwin; de leon; Egypt under its Kheduies; P. 12

(٢٦) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٦٢ .

(٢٧) Edwin; de leon; OP. cit.; P. 13

(٢٨) Earl E. Elder; OP. cit.; P. 28

وأنظر كذلك : Watson; A.; OP. cit.; P. 291

وأيضاً فى هذه الرواية ، إلياس الأيوبى – تاريخ مصر فى عهد إسماعيل باشا . ص/٢٢١ .

(٢٩) Earl.e Elder; OP. cit.; P. 36

(٣٠) محمود حلمى مصطفى (دكتور) سياسة الولايات المتحدة نحو الباشوية المصرية (١٨٣٢ – ١٨٨١) ، رسالة دكتوراة (غير منشورة) – جامعة القاهرة ، ١٩٦٢ . ص/٧٤ .

(٣١) نفس المصدر السابق . ص/٧٥ .

(٣٢) أحمد أحمد الحتة (دكتور) – التمثيل القنصلي والدبلوماسي للولايات المتحدة الأمريكية فى مصر ، ص/٨ ، ص/٦٤ .

(٣٣) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٧٧ – ٧٨ .

(٣٤) ألبرت فرمان – مصر وكيف غُدر بها . ترجمت : عبدالفتاح عنايت . ص/٩٤ .

(٣٥) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٨٣ .

(٣٦) Watson, A.; OP. cit.; P.P. 73, 75, 97

(٣٧) Kemmeth, Scott.; Mission To morrow 1936; P.P. 68 - 69

(٣٨) Watson, A.; OP. cit.; P. 360

(٣٩) رينا هوج – المرجع السابق . ص/٨٢ .

(٤٠) الجندى .

(٤١) Watson, A.; OP. cit.; P.P. 118 - 119; 125 - 126

(٤٢) رينا هوج – المرجع السابق . ص/٨١ – ٨٢ .

(٤٣) – الغارة على العالم الإسلامى – ص/٤٠ .

(٤٤) المصدر السابق . ص/٤١ .

(٤٥) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٦٦ .

(٤٦) Watson, A.; OP. cit.; P. 123

(٤٧) The Book of Thousand Tongues, 1938

(٤٨) Ibid;

(٤٩) نبيل عبدالحميد سيد (دكتور) – النشاط التبشيرى الأمريكى فى البلاد العربية حتى عام ١٩٢٣ ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٧ ، القاهرة ، ١٩٨١ . ص/٢١٦ – ٢٧٨

وأنظر كذلك : Brinton, J.Y.; OP. cit.; P. 52

(٥٠) لمزيد من التفاصيل عن الكنائس إرجع إلى :

أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٦٠ – ٦٧ .

(٥١) محمود محمد شاكر – أباطيل وأسحار . جـ١ . ص/١٨٥ .

(٥٢) محمود عبدالرازق شفشق (دكتور) وآخرون – تاريخ ونظام التعليم فى جمهورية مصر العربية . ص/٩٠ .

(٥٣) Watson; A.; OP. cit.; P. 52

(٥٤) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق ١٣٢ .

(٥٥) جرجس سلامة – تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين ١٩ و ٢٠ ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦٣ . ص/٤٠ – ٦٨ .

(٥٦) أنور عبدالملك (دكتور) – نهضة مصر . ص/١٦٤ – ١٦٥ .

(٥٧) المصدر السابق . ص/١٦٥ .

(٥٨) Watson, C. Roger; in the valley of the Nile; A survey of the Missionary Movement in Egypt; New York; 1908.; P.P. 412 - 413.

(٥٩) تقرير الدكتورة سارة مالوى عن مبانى الكلية عام ١٩٥٩ . ص/١ .

نقلاً عن : Amir Boktor; school and Society in the valley of the Nile; P. 133

(٦٠) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/١٧٣ .

(٦١) مجلة الهدى – ٢٨ سبتمبر عام ١٩٥٧ .

(٦٢) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المرجع السابق . ص/٢٨٢ .

(٦٣) نفس المصدر .

(٦٤) أديب نجيب – المرجع السابق . ص/١٩٦ .

(٦٥) عبدالمنعم الدسوقى الجميعى (دكتور) – الجامعة المصرية والمجتمع (١٩٠٨ – ١٩٤٠) ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، القاهرة ، ١٩٨٣ . ص/٢٥ .

(٦٦) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٢٨٠ .

(٦٧) رنيا هوج – المرجع السابق . ص/١٢٦ – ١٢٧ .

وأنظر كذلك : أديب سلامة – المرجع السابق . ص/١٥٢ – ١٥٣ .

الفصل الثالث
مــدارس الأقاليــم التنصــيرية

- الأسكندرية .
- مدارس الوجه البحرى .
- مدارس الأقاليم الجنوبية (الصعيد) .
- مدرسة أسيوط للبنات .
- كلية أسيوط الأمريكية .
- مدارس الفيوم التنصيرية .
- مدارس البدارى ، وطهطا ، والقصير ، وإسنا ، ونقادة !!
- خدمات الخديوى إسماعيل للمدارس التنصيرية .

إنتقل نشاط الإرسالية الأمريكية ، فى مجال التعليم من القاهرة إلى الاسكندرية والأقاليم فى وقت واحد – تقريباً – فى محاولة للتغلغل بين الأوساط المسلمة فى طول البلاد وعرضها ، لتحويل المسلمين المصريين إلى حظيرة المسيحية الغربية .

الأســكندرية

وأسست الإرسالية الأمريكية ، أول مدرسة للبنات فى (الاسكندرية) عام ١٨٥٦ ، فى (حىّ اليهود)[١] . وكانت الدراسة بهذه المدرسة مجانية . ويذكر البعض : « أن هذه المدرسة إفتتحت بجهود الإرسالية الإنجليزية (الأسكتلندية) ، وكان مقر المدرسة ، فى منزل مستأجر ، بشارع سكة الحبالين . وكانت تشرف عليها (جمعية تبشيرية نسائية) فى (بينرلى) بأسكتلندا ، وكانت المُدرسة الوحيدة بالمدرسة هى المُنصرة الأمريكية (مس برنجل) . وبعد سفرها إلى بلادها ، آلت المدرسة إلى الإرسالية الأمريكية ، التى كانت قد بدأت نشاطها بالأسكندرية فى ذلك الحين . وقد قام بالتدريس بها ، بعد رحيل (مس برنجل) ، إلى بلادها (سارة ويلز) ، التى جاءت من سوريا ، منذ ٢٨ مايو ١٨٥٨ »[٢] .

وفى ١٥ ديسمبر عام ١٨٥٦ إفتتح المُنصر الأمريكى (يوحنا هوج) مدرسة للبنين . فى حجرة مُظلمة ورطبة بالدور الأرضى ، بمنزل المُنصر الإنجليزى الدكتور (هرمان فيليب) ، بالاسكندرية . وكان (هوج) مُعيناً من قبل (مجمع أدنبرة) التنصيرى للعمل بمصر ، فوصل إلى الاسكندرية فى ٦ ديسمبر ١٨٥٦ ، حيث إستقبله فى الميناء كاهن مارونى ، من طرف المُنصر (هرمان فيليب) ، الذى إستقبله فى داره . والتحق بهذه المدرسة فى البداية ١٦ تلميذاً ، خلال النصف الأول من عام ١٨٥٧ . وقرب نهاية عام ١٨٥٧ نقلت المدرسة إلى مكان آخر بالمدينة . وظل (هوج) يمارس نشاطه

التنصيرى ، من خلال هذه المؤسسة التعليمية حتى عُين أميناً لصندوق الإرسالية الأمريكية فى مصر[٣] . وكانت الدراسة بهذه المدرسة – هى الأخرى – مجانية .

وبعد تطوير هذه المدرسة ، عندما نقلت إلى قصر قديم فى حىّ (أبو العباس) ، عام ١٨٥٧ ، وصل عدد التلاميذ فيها نحو ١٩٧ تلميذاً ، كان من بينهم نحو تسعون من أبناء المسلمين ؛ مورست ضدهم محاولات لتنصيرهم ، مما دفع السلطات المصرية إلى إغلاقها فى عام ١٨٨٩ ، لكن إغلاقها لم يستمر طويلاً ، بضعة شهور ، لتعود – مرة أخرى – تمارس نشاطها التنصيرى ، تحت ستار تقديم خدمات تربوية وتعليمية لأبناء مدينة الاسكندرية . وقد تولى القس القبطى المصرى (اسكندر حنا) إدارتها حتى عام ١٩١٠[٤] . عندما قررت الإرسالية الأمريكية ، إنشاء مدرسة عليا للتجارة ، أطلق عليها (كلية التجارة الأمريكية) فى ذات العام . وكانت الدراسة بها بمصاريف[٥] . وكانت الدراسة بها باللغة الانجليزية ، ولذلك جذبت الكثير من الشباب الذى كان يرغب فى السفر إلى أمريكا وأوربا للعمل هناك . وكانت إدارة الكلية تقبل سنوياً تسعون طالباً فقط . ولكن فى عام ١٩٤٧ وقفت الحكومة المصرية لهذه المؤسسة التنصيرية بالمرصاد ، وطالبت إدارتها ، بإستخدام اللغة العربية فى التعليم ، وإعادة صياغة المناهج الدراسية ، التى كانت فى غالبيتها عن الغرب المسيحى ، ولما كانت الإمتيازات الأجنبية ، قد رفعت من مصر ، إضطرت الإرسالية الأمريكية ، عن طريق أعوانها فى مصر ، إلى إيقاف الدراسة بهذه الكلية فى يونية ١٩٤٧[٦] .

وفى عام ١٩٢٤ إفتتحت الإرسالية الأمريكية ، فى الاسكندرية ، أخطر مؤسسة تنصيرية ، على مستوى الوجه البحرى كله . وهى مدرسة مشتركة للبنين والبنات ، مدة الدراسة بها ١٢ سنة ، ويلتحق بها الطالب منذ نعومة أظافره ، فى سن حوالى ٦ سنوات . ومقر هذه المؤسسة التنصيرية الأمريكية ،

(٥١ شارع شوتس Schutz ، برمل الاسكندرية) ، بدعوى تقديم نوع من الثقافة الأمريكية لأبناء أعضاء الإرسالية الأمريكية ، وأبناء السفراء والقناصل والخبراء الأجانب المقيمين بمصر والسودان والحبشة والكاميرون ، وغيرها من بلاد الشرق العربى(٧) .

وكان يقوم بالتدريس فى (مدرسة شوتس الأمريكية) هذه ، أعضاء الإرسالية الأمريكية أنفسهم ، وكانت المواد الدراسية التى تقدم فى هذه المدرسة ، هى نفسها المستخدمة فى الولايات المتحدة ، وكان يغلب عليها الطابع الدينى المسيحى الغربى ، وكانت الدراسة بها باللغة الانجليزية . ومبانيها حتى اليوم ملك الإرسالية الأمريكية بمصر . وهى تشتمل على مبنى ضخم من أربعة طوابق ، وبها قسم داخلى ، ومبنى للمكتبة وآخر لسكن هيئة التدريس ، وملاعب رياضية وحمام للسباحة وكنيسة(٨) . وقد بلغ عدد الطلاب بهذه المدرسة الأمريكية ، عام ١٩٧٩ حوالى ١٨٠ طالباً وطالبة ، من بينهم نحو سبعون طالباً وطالبة من أبناء الدبلوماسيين المصريين المسلمين .

مدارس الأقاليم البحرية (الوجه البحرى)

ولم تقتصر جهود الإرسالية الأمريكية فى مصر ، على مدينتى القاهرة والاسكندرية ، وإنما لم تغفل – كذلك – أمر الإهتمام بأقاليم الوجهين البحرى والقبلى . ففى الوجه البحرى ، كانت (المنصورة) ، مركز جذب لنشاط الإرسالية الأمريكية وغيرها . فقد أنشأت بها الإرسالية الأمريكية مدرستان ، فى عام ١٨٦٦ إحداهما للبنات وأخرى للبنين . وفى مدينة (طنطا) أسست مدرسة للبنين ، كانت تحت إشراف المنصر القس (سفين Ciffen) فى عام ١٨٨١(٩) .

وفى عام ١٨٩٠ إهتمت الإرسالية الأمريكية ، بفتح مراكز نشاط جديدة لها فى الدلتا ، تمثلت فى (طنطا والزقازيق وبنها) ، وفى هذه المدن كان أعضاء الإرسالية يقيمون إقامة كاملة ، الأمر الذى جعلهم فى عام ١٨٩٥ ينشئون فى (طنطا) مدرسة للبنات ، كانت تحت إشراف المُنصرة (أديلا ماكميلان Adelle Mcmillan) . وفى عام ١٨٩٤ إفتتحت مدارس للبنين فى كل من (بركة السبع ، وكفر الزيات ، وطوخ ، وكفر الشيخ ، وههيا)[١٠] .

وفى عام ١٨٩٦ إفتتح المُنصر القس (ريد Reed) ، فى مدينة (الزقازيق) مدرسة للبنين ، كان هو المشْرف عليها . وقرب عام ١٩٢٩ أسست الإرسالية الأمريكية ، مدرسة أخرى للبنات فى (الزقازيق)[١١] . وفى مدينة (بنها) أنشأت الإرسالية مدرستان ، واحدة للبنات وأخرى للبنين . تعهدت الأولى بالإشراف ، زوجة المُنصر الأمريكى (بريتون Brutton) ، بينما قام هو بإدارة الثانية[١٢] .

وقد وصل عدد المدارس الإرسالية، بالدلتا فى عام ١٩٠٤ ، نحو ٣٠ مدرسة للبنين فقط . وكما يتضح من تقرير صادر فى عام ١٩٠٤ ، « بأنه كانت أكبر المدارس من حيث عدد التلاميذ (فى الدلتا) حيث بلغ عدد الملتحقين بهذه المدارس فى عام ١٩٠٤ نحو ٣٥٢ تلميذاً بمدرسة البنين (بالزقازيق) . وقد عمل بهذه المدرسة عدد كبير من المُنصرين الأمريكيين ، كان من بينهم المُنصر القس (أ.ل. جودفرى) والمُنصر (و.و. نولين) . وقد إهتمت الإرسالية بهذه المدرسة ، ومدرسة البنين الأخرى فى (طنطا) ، حيث أوفدت إليهما مدرسين أمريكيين ، لتدريس اللغة الانجليزية[١٣] . وفى عام ١٩٢٩ تولت (إرسالية مصر العمومية) البريطانية إدارة مدرسة (الزقازيق) للبنين ، بدلاً من الإرسالية الأمريكية ، حينما عجزت الأخيرة عن تدبير مُنصرين أمريكيين ، من الذين يستطيعون الإقامة فى (الزقازيق) ، لإدارة المدرسة .

وظلت مدرسة (الزقازيق) للبنين ، تحت إشراف وإدارة ، (إرسالية مصر العمومية) البريطانية ، حتى عام ١٩٤٩ عندما غادرت بعثة إرسالية مصر العمومية ، الزقازيق ، وتركت مهمة الإشراف على المدرسة ، للقس القبطى المصرى (حنا مقار)[١٤] . حتى تم إغلاقها فى عام ١٩٥٨ ، وإلى الأبد !!

وقد وصل عدد مدارس البنين فى عام ١٩٢٦ بالدلتا ، ٥٨ مدرسة ؛ بينما فى عام ١٩٢٩ إنخفض هذا العدد إلى نحو ٢٠ مدرسة فقط . وأخذ هذا الرقم يتراجع ، فى عام ١٩٣٢ وصل عدد المدارس بالدلتا إلى ١٤ مدرسة فقط ، بها ١٦٩٢ تلميذاً ، يقوم بالتدريس لهم ٧٧ معلماً . وفى عام ١٩٤٧ كان عدد مدارس البنين التابعة للإرسالية الأمريكية فى الدلتا ، خمس مدارس فقط (فى بركة السبع ، طوخ ، شبلنجة ، ومنيا القمح ، وميت يعيش) ، علاوة على مدرسة صغيرة أولية فى (بسيون)[١٥] .

وشهدت مدن (دمنهور) و (الإسماعيلية) و (السويس) ، عدداً من المدارس الإرسالية ، للبنات والبنين . كما أن (بورسعيد) كانت بها عدداً من مدارس الإرسالية الأمريكية . وهذه الأخيرة سوف تشهد حوادث تنصير طلبة وطالبات مسلمات فيما بعد ، يهتز لها الرأى العام الإسلامى فى مصر ، والعالم العربى ، كما سنعرض لذلك فى ثلاثينيات القرن العشرين !!

مدارس الأقاليم الجنوبية (الصعيد)

ولم يكن (الوجه القبلى) أقل إقبالاً من (الوجه البحرى) ، بالنسبة للنشاط التنصيرى . فقد تركز نشاط الإرسالية الأمريكية ، فى أوقات إزدهارها ، فى الصعيد ، وبمدينة (أسيوط) بالذات حيث أسس هناك عدد كبير من مدارسها[١٦] . ففى عام ١٨٦٦ تأسست أول مدرسة للبنات بأسيوط ، وكان لجهود المُنصرة (مرثا مكاون) ، والمُنصر (يوحنا هوج) ، أكبر الأثر ، فى إزدهار هذه المدرسة[١٧] .

مدرسة أسيوط للبنات

وقد بدأت هذه المدرسة نشاطها فى (بيت الحلاج) فى ٤ مارس عام ١٨٦٥ ، حيث إلتحق بها فى عامها الأول ثلاث طالبات فقط ، وصل عددهن فى نهايته إلى ثلاثين طالبة . كان من بينهم تسعة بنات من أبناء المسلمين بأسيوط . وفى عام ١٨٧٤ رأت (مرثا مكاون) ، ضرورة إقامة قسم داخلى بالمدرسة ، لإقامة الطالبات المغتربات عن مدينة أسيوط ، والوافدات من مدن المنيا وسوهاج وقنا .

وفى عام ١٨٨١ تم شراء أربعة أفدنة (بشارع ثابت) بأسيوط ، أقيمت عليها المبانى الحالية للمدرسة . وكان المتُنصر الأمريكى (و. بُرزلى) قد تبرع فى ذلك الوقت ، بمبلغ عشرة آلاف دولار أمريكى ، لتشييد مبانى هذه المدرسة . لذلك فى عام ١٨٨٤ عندما إكتملت منشآتها سميت المدرسة باسم (مارس وسارة بُرزلى)[١٨] ، كريمتى المتُنصر الأمريكى (و. بُروزلى) ، والذى كان من رجال الأعمال الأمريكيين .

وتحدثت إحدى المدرسات فى (مدرسة السلام للغات) بأسيوط ، عن تجربتها فى (التبشير) . وقالت المدرسة فى حديث لمجلة (مفترق الطرق التبشيرية) : « إن نشاط بث النصرانية من خلال المدرسين بمدارس (أسيوط) هو من الأساليب التى تعتمدها إحدى الجمعيات التبشيرية فى الشرق الأوسط » . وأضافت : « وأن واجبها كمبشرة يفوق دورها كمدرسة ، وأنها تمارسه من خلال زيارة أسر التلاميذ والإتصال بزملائها المدرسين »[١٩] ، أليس هذا إعتراف صريح من القائمين على التنصير فى مصر .

كما تحدث (أندرو واطسون) عن هذه المدرسة قائلاً : « ان هذه المدرسة كان لها أكبر الأثر فى تغيير أفكار وعادات نساء أسيوط ، إلى الحد الذى يمكن

القول معه ، أنهن يرتقين فى الإطار المسيحى بسرعة عن النساء فى أى مكان آخر »[٢٠] .

وفى عام ١٨٧٦ ، أسست أسرة (خياط) القبطية المصرية ، مدرسة للبنات تحمل اسم (مدرسة الخياط الواصفية للبنات) ، تولت الإرسالية الأمريكية إدارتها والاشراف عليها . وكانت (مس رينا هوج) ، أول من تولت مهمة النشاط التنصيرى ، داخل هذه المؤسسة .

كلية أسيوط الأمريكية

وفى نفس الوقت – تقريباً – بدأت الإرسالية الأمريكية عام ١٨٦٥ ، وتحت إشراف المُنصر القس (هوج) ، وبمعاونة (حبيب خياط)[٢١] ، وهو من أسرة خياط القبطية المصرية ، إنشاء الكلية الأمريكية ، التى كان من بين أهداف تأسيسها ، إعداد كوادر تساعد فى العملية التنصيرية ، بين أوساط المسلمين فى قرى ونجوع الصعيد .

وفى ٥ مارس ١٨٦٥ ، بدأت الكلية الأمريكية نشاطها التنصيرى ، داخل حجرة فى (بيت الحلاج) . والتحق فى بداية تأسيسها سبع طلاب ، وبعد تسع شهور وصل عدد الطلاب إلى حوالى سبعون طالباً[٢٢] . وكان خريجو هذه الكلية ، يلتحقون بمدرسة اللاهوت فى القاهرة ، لاستكمال دراستهم اللاهوتية ، حتى يصيروا (قُسس) أو خدام للإرسالية الأمريكية .

وأخذت المدارس الإرسالية الأمريكية ، تنتشر فى أسيوط ، بسرعة مزهلة ، حتى كان عام ١٩٠٤ يذكر تقرير : « أن عدد هذه المدارس للبنين والبنات ، بلغ ٥٨ مدرسة فى دائرة أسيوط وحدها »[٢٣] : وفى عام ١٩٤٠ وصل عدد المدارس التنصيرية إلى ١٣٩ مدرسة للبنين و٦٥ مدرسة للبنات .

وفى مدينة (الفيوم) أنشئت أول مدرسة تنصيرية بها فى عام ١٨٦٥ ، وكانت هذه المدرسة للبنين فقط . وقد أشرف عليها وأدارها رجلان من أساطين التنصير الأمريكى ، هما (لانسنج) والقس (إيونج) . وبعد عام واحد فقط ، أنشأت الإرسالية الأمريكية مدرسة أخرى للبنات ، إدارتها بصرامة المُنصرة الأمريكية (إيلين مارتن E. Martin) فى عام ١٨٦٦[٢٤] . وبدأت هذه المدرسة بـ ٤٥ تلميذة ، وكان لجهود المُنصر (الدكتور وليم هارفى) الفضل فى إستمرار هذه المدرسة ، كما إفتتح مدرسة أخرى فى عام ١٨٧٠ فى منطقة (سنورس) .

وفى (الأقصر) إفتتحت مدرسة للبنين ، كانت لها مكانتها فى أعالى الصعيد . وفى عام ١٩٠٠ إفتتحت مدرسة أخرى للبنات فى (الأقصر) ، وقد بلغ عدد الطالبات المقيدات بها فى عام ١٩٠٤ حوالى ٢٧٨ طالبة ، مُنهن ٥٢ بسجلات القسم الداخلى ، الذى كان يستوعب الفتيات من مدن وقرى أقاصى الصعيد .

وكانت المُنصرة الأمريكية (كارى بوكنان) ، والتى اقيمت المدرسة بجهودها ، قد قامت بدور خطير جداً ، فى تحويل بعض البنات المسلمات ، تحت ضغوط تربوية ، إلى المسيحية !!

كما افتتحت الإرسالية الأمريكية عديداً من المدارس فى مدن وقرى الصعيد ، نذكر منها ؛ [الدوير ، دير الجنادلة ، أبنوب ، جرجا ، أخميم ، المنيا ، الفكرية ، الكوم الأخضر ، بهجورة ، البياضة ، صنبو ، نقادة ، أولاد نُصير ، الزرابى ، نزلة شرموخ ، أسوان) .

وفى سبيل إستمالة التلاميذ الفقراء ، إلى الالتحاق بتلك المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية ، تقرر فتح باب التعليم بالمجان ، أمام هؤلاء الصبيّة الصغار ، وذلك لما ساور القائمين على مهمة التنصير ، بالإرسالية الأمريكية

وقتئذ من إعتقاد راسخ ، بأن هؤلاء التلاميذ الفقراء ، تربة صالحة وخصبة لتنصيرهم بسرعة ، لإمكانية التأثير عليهم فى يُسر وسهولة[٢٥] . هكذا كان الهدف المباشر ، من المدارس الإرسالية الأمريكية فى مصر . التنصير بين أوساط الأطفال المسلمين الفقراء ، المحتاجين . خاصة وأن الإرسالية الأمريكية ، كانت تقوم بتقديم المأكل و (الكسوة) ، صيفاً وشتاءً ، لهؤلاء التلاميذ .

وقد تدرجت الإرسالية الأمريكية فى إزدياد مدارسها فى القطر المصرى ، ففى عام ١٨٧٨ كان عدد مدارسها فى مصر قد وصل إلى ثلاثين مدرسة[٢٦] . بينما يؤكد البعض ، « أن عدد مدارس الإرسالية الأمريكية فى مصر ، فى عام ١٨٧٥ بلغ ٣٦ مدرسة ، منها ١٩ مدرسة إيفا إنجيلكان ، ومدرسة أكليركية لاهوتية فى أسيوط »[٢٧] . ومهما كان الخلاف حول عدد المدارس التنصيرية الأمريكية فى مصر ، فإن الإرسالية هى التى كانت تمد كل هذه المدارس بالكتب والمعلمين . بالكتب والمؤلفات ، التى كانت تُطبع بالمطبعة الأمريكية ، التى تأسست فى الأسكندرية ، كفرع لمطبعة (بيروت) ، بهدف طبع المؤلفات (التبشرية)[٢٨] . وبأعضاء هيئة التدريس ، الذين كانوا جميعاً نفر من رجال التنصير . حيث كان كل مدرس من هذه الهيئة ، عضواً بالكنيسة المشيخية ، يشارك فى إجتماعاتها المسائية ، وأيام الآحاد ، لضمان إستمرارية العملية التنصيرية على ما يرام .

هكذا كان إقبال الإرسالية الأمريكية ، على ميدان التعليم ، بشغف — لا من أجل العملية التربوية والتعليمية ، وإنما كان أساساً لخدمة أغراض الإرسالية التنصيرية —؛ فمولته بالأموال الكثيرة ، وزودته بالمُنصرين المتحمسين ، الذين كانوا يقفون على إتجاهات وأهداف هذه المدارس والمعاهد التنصيرية ، وبإعتقاد راسخ لا يتزعزع ؛ فيقول أحد هؤلاء المُنصرين : « إن أهداف المدارس والكليات ، التى تُشرف عليها هذه الإرساليات ، هى التنصير ، حتى أن الموضوعات الدنيوية ، التى تُعلَّم فيها كالتاريخ والجغرافيا ، كانت تحمل معها

الآراء التنصيرية » . وقال آخر : « ان التعليم أنفع وسيلة يستغلها (المبشرون) لتنصير المسلمين »(٢٩) .

وكانت الإرسالية الأمريكية ، ولكى تشجع أهالى القرى والنجوع النائية ، من المسلمين ، على إلحاق أبنائهم وبناتهم بتلك المدارس ، قامت بإنشاء أقسام داخلية ، توفرت فيها كل أسباب المعيشة ، الأمر الذى ترتب عليه تضاعف عدد التلاميذ والتلميذات المسلمين الملتحقين بمدارس الإرسالية الأمريكية . والذى شجع أولياء الأمور المسلمين على الإقبال ، على إلحاق أبنائهم بتلك المدارس التنصيرية ، هو أن بعضهم كان يضطر إلى ذلك الإجراء ، هرباً من الأعباء الحكومية(٣٠) . وإن كان هذا المنطق مقبولاً لدى البعض ، فإننا كنا نرى بعض أبناء كبار الملاك الزراعيين ، وبعض التجار من المسلمين ، كانوا يلحقون أبنائهم بهذه المدارس تحت وهم ، « تهذيب العقل وتحسين الآداب ، وتعليم المبادئ الأخلاقية » ، وهذا ما كانت تروج له الإرسالية الأمريكية .

وأخذت الإرسالية الأمريكية ، وأمام تزايد التلاميذ الوافدين إلى مدارسها ، من القرى والنجوع ، وخاصة في الصعيد ، فى تأسيس ست مدارس بالوجه القبلى قبل عام ١٨٧٠ ، حتى ان نشاط غدا نشاط مدارس الإرسالية فى أوقات إزدهارها ، متمركزاً فى مدينة أسيوط ، بصورة ملحوظة ،(٣١) حيث أسست الإرسالية الأمريكية ، هناك عدداً كبيراً من مدارسها ، فى (ملوى والبدارى ، وطهطا ، وأبنوب ، وبنى عدىّ ، والقصير ، وإسنا ، ونقاده ، وأرمنت ، والطويلة ، والعزيزية)(٣٢)

وعندما أصاب بعض النجاح نشاط الإرسالية الأمريكية ، فى مجال التعليم ، نراها وقد إنتهجت أسلوباً فريداً ، من حيث إنشائها مدارس اللاهوت ، لتخريج نفر من القسس المحليين (الأقباط المصريين) ، لكى يكونوا أبواقاً بعد تخرجهم فى خدمة النشاط التنصيرى ، بين المسلمين . ولاشك أنه أسلوب

ذكى ، وإيجابى – فى نفس الوقت – إذ أن هؤلاء القسس الخريجيين ، وهم من بين عامة الشعب المصرى ، وغالباً من ذوى النفوذ فى أقاليمهم وقراهم ، وبطبيعة الحال ، لهم علاقات وُدٍّ طيبة مع المسلمين ، وهم العارفين بعادات هؤلاء المسلمين وتقاليدهم ، لذلك كان من السهل التأثير على أبناء أقاليمهم أو قراهم ، وتحويلهم عن دينهم بيسر وسهولة – وهذا ما كانت قد خططت له ودبرت له الكنيسة المشيخية الأمريكية . وربما نجحت فى ذلك ، نجاحاً ملحوظاً . « خاصة وأن عدد القسس الخريجين ، من الأقباط المصريين ، فى الفترة من عام ١٨٧٥ وحتى عام ١٩٠٤ ، والحاصلين على دبلوم الكلية الأمريكية بأسيوط ، كان (١٨٨ خريجاً) ، من بينهم سبعون فقط ، هم الذين أصبحوا قسس وطنيين ، والباقون عمل منهم أربعة وثلاثون ، ضمن أعضاء مجلس الكنيسة ، وستة عشر فقط ، أصبحوا طلبة فى قسم اللاهوت »[٣٣] . وهؤلاء قاموا بدور خطير للغاية ، فيما بعد ، فى خدمة مصالح وأهداف الإرسالية الأمريكية فى مصر ، وبعض المناطق الأخرى ، حول مصر !!

لقد أخذ عدد المدارس التنصيرية الأمريكية ، يتزايد فى المدن والقرى المصرية ، عبر السنوات ، بصورة خطيرة ، لدرجة أنه فى عام ١٩٠٧ ، كان عدد هذه المدارس قد وصل إلى ، مائتان وإحدى وسبعون مدرسة ، منتشرة فى كل أقاليم ومدن وبعض قرى القطر المصرى ، بين مدارس إبتدائية وتحضيرية وثانوية ، للبنين والبنات . وبلغ جملة الطلاب المصريين والأجانب بها (١٢,٦٤٠) طالباً وطالبة ، وبطبيعة الحال ، كانت غالبيتهم من المصريين ، الذين بلغ عددهم (١٢,٣٥٦) مصرياً ، وكان أكثر المصريين من المسلمين[٣٤] .

وهكذا أخذ إنشاء المدارس الأمريكية فى التزايد والإنتشار ، كأهمية ظاهرة ، ميزت نشاط المنصرين الأمريكيين فى مصر ، وذلك لأن القائمين على العملية التنصيرية من الأجانب ، كانوا يعتقدون بأن المدرسة ، هى المدخل

الوحيد والطبيعي ، الذى تستطيع أن تلجأ الإرسالية التنصيرية به إلى الإقليم أو المدينة أو حتى القرية ، لتكون (شعبة) تنصيرية ، دون أن تلفت إليها الأنظار . حتى إذا تكونت هذه (الشعبة) أو الجالية ، يترك رجال الإرسالية التنصيرية ، أمر المدرسة إلى الأهالى الأقباط المحليين ، وهم فى غالب الأمر ، من أعوانهم ، لإدارتها والإشراف عليها ، وفقاً لشروطهم أو تُغلق نهائياً[٣٥] .

وكان (مبشروا) الولايات المتحدة قد استطاعوا فى فترة وجيزة ، « أن يتحكموا بالمسلمين فى مصر ، عن طريق مدارسهم ، ومؤلفاتهم ؛ فنشروا كتاب (شهادة القرآن) ، ووزعوا بعض نسخ من كتاب (الكندى) وكتاب (ميزان الحق) المطبوعين فى إنكلترا ، ووضعوا كتاب (الهداية) وهو فى أربعة أجزاء ، ألف فى الرد على الذين طعنوا فى النصرانية . علاوة على المحاضرات العامة التى كان المنصرون يقيمونها مرتين فى الأسبوع للموازنة والمناظرة بين الإسلام والنصرانية ، وكان يحضرها عدد عظيم من المسلمين ، ويُسمح لهم أن يتكلموا »[٣٦] . ونجحوا فى تنصير قرابة مائة وخمسين مسلماً . كما نجحوا فى عام ١٩٠٣ فى تنصير ١٤ مسلماً ، وفى عام ١٩٠٤ حوالى ١٢ مسلماً[٣٧] .

وهكذا كانت المدارس الإرسالية الأمريكية متحفزة لتنفيذ خطتها فى تكفير أبناء المسلمين ، وتشكيكهم فى دينهم ، وإبعادهم عن كتابهم ، وتدريبهم على العبث ، وتلقينهم الإلحاد ، وتبغيضهم فى الحق ، وبذل شتى المحاولات لإبعادهم عنه ، وتقريبهم من الباطل ، وإقناعهم بالدفاع عنه . وتنشئتهم على الرذيلة ، وعبادة الشهوات ، والإنغماس فى اللذاذات ، عقل لا يفكر إلا فى اللذة ، ونفس أمارة بالسوء تأوى إلى المتعة !!

وقال المنصر الأمريكى (صموئيل زويمر) ، فى (مؤتمر القدس للمبشرين) عام ١٩٣٥ : « إن مهمة التبشير التى ندبتكم دول المسيحية للقيام بها فى البلاد

المحمدية ، ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية ؛ فإن فى هذا هداية لهم وتكريماً . إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة (الفتح) الإستعمارى فى الممالك الإسلامية . لقد هيأتهم جميع العقول فى الممالك الإسلامية لقبول السير فى الطريق ، الذى سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام . إنكم أعددتهم نشئاً فى ديار المسلمين ، لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه فى المسيحية ، وبالتالى جاء النشئ الإسلامى طبقاً لما أراد له الإستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويُحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه فى دُنياه إلّا فى الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوأ أسمى المراكز ، ففى سبيل الشهوات ، إنه يجود بكل شئ للوصول إلى الشهوات »(٣٨) .

ولقد أثبتت المدارس التنصيرية - على مر السنين - أنها تعمل فى دُجى الليل وفى وضح النهار ، ضد القرآن ، ودأبت فى مناهجها على طمس آياته ، وإلغاء أحكامه ، وإبعاد الطلبة عنه ، بشتى الوسائل ، والمحاولات لإقتلاع بذوره من المدارس الحكومية أو الأهلية . والعمل على تخريج أجيال معوجة السلوك ، منطمسة البصيرة .

قال المُنصر (تكلى) : « يجب أن نشجع إنشاء المدارس علىٰ النمط الغربى العلمانى ، لأن كثيراً من المسلمين قد زعزع إعتقادهم بالإسلام والقرآن ، حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية ، وتعلموا اللغات الأجنبية »(٣٩) . « هذه المدارس أفسدت على المصريين دينهم ، وقطعت حبالهم بربهم وجرأتهم على إقتراف المعصية ، وحببتهم فى الفسق وبغضتهم فى المساجد . فما اغتسلوا لله مرة ، ولا أحنوا أصلابهم بركعة ، ولا فرشوا جباههم فى سجدة ولا صاموا لله

يوماً ، وما طافوا له بيتاً . حياتهم للشيطان ، وأموالهم فى شباكه وجهودهم فى سبيله »[٤٠] .

وقال المتُصر (هاملتون جب) : « لقد إستطاع نشاطنا الثقافى والتعليمى عن طريق المدارس والصحافة أن يترك فى المسلمين ، ولو من غير وعى منهم ، أثراً يجعلهم فى مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر لكل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامى على قبول حضارته »[٤١] .

إن الذى لقن هذه المدارس كُره القرآن الكريم ، أئمة الكفر فى الشرق والغرب ، وبعثوا بمدرسيهم إلينا لضرب ، أغلى شئ عندنا وتحقير ذاتيتنا ، وإزدراء تراثنا الإسلامى والعربى ، إن ما فى حناياهم من حقد على الإسلام وكتاب الله العزيز ، طفح عفناً على ألسنتهم الكاذبة . فقد قال (جلادستون) — فى مجلس العموم البريطانى وقد رفع المصحف الشريف ، أمام المجتمعين — « مادام هذا القرآن موجوداً فى أيدى المسلمين ؛ فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون (هى) نفسها فى أمان » .

والخلاصة ؛ فإن برامج مدارس الإرسالية الأمريكية كانت مختلفة ولها وضعها الخاص ، وطابعها التنصيرى . وقد بذلت هذه المؤسسات التربوية التنصيرية ، تهيئ السُبل لإقامة سدود مانعة من هطل الخير من السماء على هذه الأمة ، ... م عراها بالملأ الأعلى ، وتمريغها فى الوحل بعد ذلك ، إذ أنها — بعد ... ك — ليس لها من الله نصير . والله يقول : ﴿ **ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم** ﴾ . صدق الله العظيم .

خدمات الخديوى إسماعيل ، للمدارس التنصيرية

وكان من مظاهر رعاية الإرسالية الأمريكية فى مصر ، أن أصدر إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) ، أوامره إلى الهيئات الإدارية والمحلية ، بمدِّ يد العون والمساعدة للقائمين على المدارس التنصيرية الأجنبية ، وخاصة التابعة للإرسالية الأمريكية ، وعلى حد قوله ، « لأن هذه المدارس من الأمور التى يجب المساعدة فيها »[٤٢] . وكان « إسماعيل » قد تبرع بمصاريف تسجيل مبنى الإرسالية الأمريكية بالأسكندرية[٤٣] .

ومضى إسماعيل إلى أبعد من ذلك ؛ فقد أصدر أوامره إلى مديرى الأقاليم فى الصعيد ، بالقيام رسمياً بمساعدة (البطريرك كيرلس الخامس) – الذى دخل أسيوط فى عام ١٨٦٧ ، كحامل لواء المسيحية الوطنية ، بهدف القضاء على تسرب البعثات (التبشيرية) البرتستانتية[٤٤] . بل أن الإرساليات التنصيرية ، كانت قد ضغطت على (الخديوى إسماعيل) ، وتحت وهم تحديث التعليم ، وفرضت عليه إرسال عدداً مُعيناً من الأقباط المصريين ، الذين تعلموا فى مدارس الإرساليات ، إلى أوربا ، كبعثات تعليمية ، وكان من بين هؤلاء ؛ (جرجس قلدس القاضى ، ومسيحة لبيب ، ونسيم وصفى ، وفرج نصحى) (عام ١٨٦٧) ، ضمن بعثة التاريخ الطبيعى ، و (ميخائيل كحيل) فى بعثة الإدارة والحقوق فى عام (١٨٦٨) ، وقسطندى فهمى ، وغيرهم[٤٥] . وهؤلاء ، عادوا ، إلى مصر بعد أمضوا سنوات عدة فى أوربا ، ليعاونوا فى النشاط التنصيرى الأجنبى فى مصر . والفضل يرجع إلى الحكام المصريين ، الذين إنخدعوا فى نوايا الإرساليات الأجنبية .

وكان إسماعيل قد أصدر أوامره إلى محافظ القاهرة ؛ بوهب قطعة أرض مساحتها ٨٠٣ ١/٤ ذراع مربع ، لإنشاء كنيسة (معبد) بروتستانية ، لرعايا

دولة الإنجليز ، كذلك تبرع لمحل الراهبات الفرنسيات بالأسكندرية ، بـ ٥٠٠ أردب غلال سنوياً ، أو ما يساوى قيمة هذه الكمية ، التى كان يبلغ ثمنها ، فى ذلك الوقت ، حوالى ٥٠٠ جنيه إنجليزى . وقطعة أرض ، فى (الأسكندرية) مساحتها أربعة آلاف ذراع ، لإقامة كنيسة ، ودار للتطبيب . وفى مناسبة أخرى (٥٠ ألف فرنك) . كما تبرع للراهبات المسيحيات (بون باستور) ، بالقاهرة ، بتسعين (٩٠) أردب قمح[٤٦] . وهكذا تمتعت الإرساليات الأجنبية ، بإمتيازات واسعة فى عصر إسماعيل ، تلك الإمتيازات لم تمنحها لهم أية دولة من الدول ، فى أى عصر من العصور !!

هوامش (الفصل الثالث)

(١) Watson, A.; OP. cit.; P. 94

(٢) أديب سلامة – المرجع السابق . ص/١٧١ .

(٣) Elder; E.; OP. cit.; P.P. 34 - 36

وأنظر كذلك : Watson; A.; OP. cit.; P. 99

ورينا هوج – المرجع السابق . ص/١٠٣ – ١٠٤ .

(٤) Elder; E.; OP. cit.; PP. 180 - 181

(٥) Ibid; P. 183

(٦) أديب سلامة – المرجع السابق . ص/١٩٥ .

(٧) Elder, E.; OP. cit.; P.P. 258 - 259

(٨) Schutz, Elxandra; 1979.

نشرة إعلامية عن مدرسة شوتز أو شوتس مطبوعة في الأسكندرية ، عام ١٩٧٩

وأنظر كذلك : أديب سلامة – المرجع السابق . ص/١٩٩ .

(٩) Elder, E.; OP. cit.; P.P. 131 - 133.

(١٠) أديب سلامة – المرجع السابق . ص/١٨٥ .

(١١) Elder, E; OP. cit.; P. 188.

(١٢) Ibid; P. 188.

(١٣) أديب سلامة – المرجع السابق . ص ١٨٤١ .

(١٤) نفس المرجع . ص/١٨٥ .

(١٥) مجلة الهدى – ٥ يونية ١٩٣١ . ص/٢٩٨ (مجلد عام ١٩٣١ م) حيث يذكر ، أنه في عام ١٩٣١ ، كان يوجد بمصر كلها ، ١٣٠ مدرسة إرسالية أجنبية للبنين ، كان ملتحق ١٠,٩٥٣ تلميذاً حتى يونية ١٩٣١ .

(١٦) Brinton; J.Y.; OP. cit.; P. 54.

(١٧) رينا هوج – المرجع السابق . ص/١١٣ .

(١٨) Watson, A.; OP. cit.; P. 443 - 444.

(١٩) المختار الإسلامي ، العدد ٣٥ – السنة السادسة ، شعبان – رمضان ١٤٠٥ هـ (مايو – يونية ١٩٨٥) ص/٣٤ .

(٢٠) Watson; A.; OP. cit.; P. 447.

(٢١) Ibid.; PP. 199 - 200.

(٢٢) أديب سلامة – المرجع السابق ص/١٨٦ – ١٩٣ .
حيث أورد دراسة وافية عن (كلية أسيوط الأمريكية) .

(٢٣) أديب سلامة – المرجع السابق . ص/١٨٤ – ١٨٥ .

(٢٤) Elder,e.; OP. cit.; P. 131.

(٢٥) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٢٦٧ .

(٢٦) نبيل عبدالحميد سيد أحمد (دكتور) – المرجع السابق . ص/٢٦٦ .

(٢٧) Heyworth - Dunne; OP. cit.; P.P. 406 - 407.

(٢٨) خليل صابات (دكتور) – تاريخ الطباعة فى مصر . ص/١٩٠ – ١٩١ .

(٢٩) نبيل عبدالحميد (دكتور) – المرجع السابق . ص/٢٦٧ .

(٣٠) Watson, A.; O.P. cit.; P.P. 199 - 200.

(٣١) Brinton, J.Y.; O.P. cit.; P. 54.

(٣٢) أحمد عزت عبدالكريم (دكتور) – تاريخ التعليم فى مصر ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص/٨٤٩ – ٨٥٠ .

(٣٣) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٢٧٣ .
نقلاً عن : تقرير الكلية الأمريكية بأسيوط ، عن العام الدراسى (١٨٩٥ – ١٨٩٦) .

(٣٤) نبيل عبدالحميد سيد أحمد (دكتور) – المرجع السابق . ص/٢٦٧ .

(٣٥) Watson, A.; OP. cit.; P. 443.

(٣٦) أ. ل. شاتليه – الغارة على العالم الإسلامى . ص/٥١ .

(٣٧) نفس المصدر السابق . ص/٨٠ .

(٣٨) جذور البلاء . ص/٢٧٥ .

(٣٩) صحيفة النور ، القاهرة ، السنة السادسة ، العدد ٣٠٩ ، ١٥ جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ .

(٤٠) صحيفة النور ، العدد ٣٠٩ .

(٤١) صحيفة النور ، العدد ٣٠٩ .

(٤٢) محمود حلمى مصطفى (دكتور - المصدر السابق . ص/٢٦٧ .

(٤٣) برقية من القنصل الأمريكى فى مصر مستر (هيل) ، إلى سكرتير الخارجية لأمريكية ، مستر سيوارد ، فى ٢٢ ديسمبر عام ١٨٦٤ .

D. vol. 3. P. 318.

(٤٤) Watson; A.; OP. cit.; P. 292.

(٤٥) أحمد عزت عبدالكريم (دكتور) - تاريخ التعليم فى مصر (عصر إسماعيل) . ص/٦٩٨ .

(٤٦) صالح رمضان (دكتور) - الحياة الإجتماعية فى عصر إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ . ص/٣٠٥ .

الفصل الرابع

المشكلات التى ترتبت على مزاولة الإرساليات نشاطها التنصيرى فى مصر قبل الاحتلال البريطانى

- مسألة فارس حكيم منصور (١٨٦١) .
- مشكلة بشتلى (١٨٦٧) .
- حادثة قوص (سبتمبر عام ١٨٦٧) .

كانت الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، والأمريكية - بصفة خاصة -، والتى لم يكن معروفاً عدد العاملين بها . لأنها خلال القرن الماضى ، لم يكن هناك إحصائية دقيقة لحصر عدد الأمريكيين فى مصر . وإن كانوا فى غالب الأمر قليلوا العدد ،- كانت تسبب كثيراً من المضايقات والحرج للحكومة المصرية ، فى أثناء ممارسة نشاطها التنصيرى فى مصر . مع الأخذ فى الاعتبار أن الحكومات المصرية المتعاقبة ، والولاه المصريين ، قدموا كثيراً من الخدمات لتلك الإرساليات !!

ومع أن هذه الإرساليات التنصيرية ، كانت تقدم خدمات لا غنى عنها للناس - كما كانوا هم أنفسهم يدعون - إلّا أنها لم تكن دائماً فى مزاولة نشاطها منزهة عن الغرض الذى جاءت من أجله ، وهو تحويل مسلمى مصر إلى المسيحية .

وإذا كانت الخدمات الطبية التى قدمتها الإرساليات الأجنبية ، للناس قد قوبلت بالشكر والثناء ، فإنها كانت واجهة ذات بريق خادع ، تخفى ورائها الأهداف التنصيرية[1] . ففى (أسيوط) بدأ الخدمة الطبية (المنصر الطبيب الأمريكى جوهانستون) حوالى عام ١٨٦٨ ، بعيادة فى أحد الشوارع . وفى عام ١٨٨٤ خلفه فى هذه العيادة (لانسنج) . وفى أواخر عام ١٨٩١ قدم إلى أسيوط الطبيب الأمريكى (ل . م. هنرى) وزوجته وأبناؤه : (فرانك وفريجيل) ، لعلاج المرضى هناك . وجعل (هنري) من العيادة الشاملة ، مركزاً لتنصير مرضاه من المسلمين . وقد بدأ نشاطه من خلال غرفة واحدة بكلية أسيوط الأمريكية . ثم أخذ يزور المرضى فى منازلهم ، وفى نفس الوقت ، يشرح لهم (الكتاب المقدس) ، ويدعى أن : « الربّ هو الذى يُشفيهم ، ولذلك يجب أن يدخلوا فى المسيحية » . وتطورت الخدمة الطبية فى أسيوط ، تحت رعاية المنصرين الأمريكيين . وكانت وسيلة من وسائل العمل التنصيرى الناجح !!

وفى (طنطا) كانت الطبيبة الأمريكية (آنا وطسون) ، و (كارولين لورنس) ، قد جاءتا إلى هذه المدينة فى عام ١٨٩٦ ، حيث بدأت خدمتهما الطبية فى عيادة خارجية ، لعلاج أمراض العيون . داخل شقة مستأجرة . واستمر العمل فيها حتى عام ١٩٠٣ عندما شيدت المستشفى الأمريكية وبها الكنيسة ، وهذه المستشفى تحولت إلى مركز تنصيرى خطير .

وفى القاهرة وكافة أحيائها الشعبية ، كانت هناك خدمات طبية للإرساليات . وفى (بنها) كانت هناك خدمة طبية(٢) . وفى (كفر الزيات) إفتتحت (أنا وطسن) عيادة للعيون فى عام ١٩٠٠ ، كما إفتتحت عيادة أخرى فى (المحلة الكبرى) . وعندما تزايدت مراكز الخدمات الطبية للإرساليات التنصيرية ، فى كافة أنحاء القطر المصرى ، لجأت الإرسالية الأمريكية إلى إنشاء (مدارس التمريض) ، لتدريب الفتيات المصريات على مهنة التمريض ، لإمكان السيطرة وإحكامها ، على تلك المراكز الطبية التى غطت القطر المصرى ، ولتواصل مهمتها من داخل هذه المراكز ، فى هدوء . فقد إفتتحت الإرسالية الأمريكية مدرستين لهذا الغرض فى كل من (أسيوط) و (طنطا) ، أشرفت عليهما كل من مس (فرانسيس جاكسون) ، ومس (ف . بينيت) ، وهما من المنصرات الأمريكيات . وكانت غالبية الملتحقات بتلك المدارس من المصريات الأقباط ؛ اللائى كن عوناً للنشاط التنصيرى الأمريكى ، وغيره خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر(٣) .

وقد تسببت الإرسالية الأمريكية ، فى كثير من الحوادث الخطيرة ، مما كانت سبباً مباشراً ، فى إشعال وتأجج ثورة الرأى العام الإسلامى فى مصر ، ضد نشاط الإرساليات الأجنبية التنصيرية .

وكان من بين بعض ملاحظات ونصائح المنصرين : « يجب إقناع المسلمين فى مصر ، بأن الأقباط ليسوا أعداء لهم ، ويجب أن يكون (تبشير) المسلمين

بواسطة (رسول) من أنفسهم أو من بين صفوفهم . لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها »[٤] . ولما كانت الإرسالية الأمريكية ، قد نجحت فى جذب بعض العائلات القبطية المصرية ، ذات النفوذ ، وخاصة فى الصعيد ، إلى اعتناق المذهب (البروتستانتى) ؛ فكان لذلك أثره بلاشك ، فى تنفيذ مخططات المنصرين الأمريكيين ، وتدعيم النشاط التنصيرى الأمريكى . ومن تلك العائلات ، « عائلة خياط ، وويصا واصف (بأسيوط) ، وعائلة بشارة فام (بقوص) ، وعائلة مكرم جرجس (بقنا) ، وعائلة ميخائيل فلتس (بصنبو) ، وعائلة داود تكلا (بيهجورة) ، وعائلة بسطو روس (بسوهاج) ، وغيرها فى الوجه البحرى[٥] .

وأخذت عناصر من بين هذه الأسر ، تعمل فى خدمة الإرسالية التنصيرية الأمريكية ، وتنفذ توجيهات هؤلاء المنصرون ، وأخذ نشاطهم يتصاعد ضد المسلمين فى الصعيد ، وخاصة أبناء الفقراء واليتامى ، من المسلمين . من هنا كان لابد أن يحدث الصدام بين رجال الإرسالية الأمريكية وأعوانهم من الأقباط المصريين ، وبين المسلمين المصريين والسلطات المحلية . وذلك نتيجة لقيام الإرسالية الأمريكية بهذا النشاط التنصيرى الواسع ؛ بمعاونة أفراد تلك الأسر القبطية ، فى المدن والقرى . وبطبيعة الحال كان لهذا الصدام صداه ، وإنعكاساته على العلاقات المصرية – الأمريكية ، على المستوى الرسمى .

مسألة فارس حكيم منصورى (١٨٦١)

كما أن رجال الإرسالية الأمريكية عندما وفدوا إلى مصر ، كانوا قد أحضروا معهم من سوريا ، طائفة من الشوام ، لخدمتهم فى نشاطهم التنصيرى فى مصر . وأخذت هذه الطائفة تتحكم فى حياة الجماعات القبطية المصرية المحلية ، التى كانت الإرسالية الأمريكية تحاول تكوينها فى مختلف مدن القطر المصرى ، لتعاونها فى مهمتها التنصيرية . وكانت طائفة الشوام هذه ، ترفض أن

يشاركها مركزها فى العمل التنصيرى ، واحداً من الأقباط المصريين »[٦] وظلت كذلك فترة طويلة ؛ منذ بدء النشاط التنصيرى الأمريكى فى مصر .

وكان هؤلاء الشوام ، من أعوان الإرسالية الأمريكية ، محملين بكل الطاقات والمشاعر التى ولدتها فى نفوسهم الفتن المتلاحقة ، التى كانت بلادهم مسرحاً لها[٧] . وحتى بعد مجيئهم إلى مصر ، كانت رحلاتهم متصلة بين مصر و (بر الشام) من حين لآخر . .

وقد أحدث واحد من بين هؤلاء الشوام الوافدين ، وهو (فارس حكيم منصورى) ، فتنة كبيرة فى مدينة (أسيوط) فى عام ١٨٦١ ، لدرجة أنه أثناء نظر هذه المسألة أمام القضاء المصرى ، جاءت الأوامر من السلطات الأمريكية ، فى (واشنطن) إلى الوالى المصرى (محمد سعيد) ؛ بضرورة تعزيز مركز (المبشرين) الأمريكيين وأعوانهم . ويصف (أندو واطسون) ، التأثير الذى أعقب ذلك ، فى وجدان الشعب المصرى المسلم ، فيقول : « ان الشعب المصرى عرف النفوذ المتزايد للإرسالية الأمريكية »[٨]

والمدعو (فارس حكيم) ، شاب سورى الأصل ، من الرعايا العثمانيين (الأتراك) ، كانت الإرسالية الأمريكية قد إستخدمته ، فى مدينة (أسيوط) ، ليقوم بمهمة توزيع المطبوعات التنصيرية ، وبيع (الكتاب المقدس) . ومضمون القضية ، « أن أحد المسلمين المصريين ، ويدعى (رمضان عبدالجواد) ، تقدم بشكوى إلى مدير أسيوط ، فى ١٧ يناير عام ١٨٦١ ؛ بأن زوجته (فاطمة) ، والتى كانت تدين بالمسيحية ثم تحولت عنها فى عام ١٨٥١ ، وهداها الله ودخلت فى دين الإسلام ، وتزوجها وأنجب منها طفلة ، عمرها أربع سنوات ؛ قام (فارس منصورى) هذا بالتأثير عليها ؛ بمغريات كثيرة ، ونجح فى تنصيرها ، وتحويلها إلى المسيحية على المذهب

البرتستانتى »[٩] . هذا هو مضمون الشكوى التى تقدم بها المسلم المصرى إلى السلطات المحلية .

وعندما لم يجد (مدير أسيوط) حلاً منطقياً لهذه المشكلة ، أحال (فارس حكيم) ، والمرأة ، والإبنة إلى المحكمة ، لنظر الموضوع . وبعد أن إستمعت المحكمة لأقوال الزوج (رمضان عبدالجواد) ، وإلى (فارس حكيم) ، وإلى الزوجة . عرضت هيئة المحكمة على الزوجة الإسلام ، فقبلته[١٠] . وإلى هنا كان يجب أن تنتهى المسألة . فقد أخذ (رمضان عبدالجواد) زوجته وإبنته ، وإنصرف سعيداً بهداية زوجته ، وندمها على فعلتها .

ولكن فى شهر مايو ١٨٦١ ، نجح (فارس حكيم) فى غواية المرأة – مرة أخرى – فعادت إلى المسيحية . وتكررت شكوى الرجل (رمضان عبدالجواد) ، ونظرت الهيئة القضائية بأسيوط ، المسألة للمرة الثانية ، وكما فعلت المحكمة فى المرة الأولى ، عرضت على الزوجة الإسلام ، ولكنها فى هذه المرة ، تمسكت بإعتناقها المسيحية . وعندما حاول القاضى إرشادها إلى خطورة وجسامة إرتدادها عن دين الإسلام ، تدخل (فارس حكيم) فى النقاش ، وحدثت مشادة ، ومناقشة حامية ، بين القاضى وبين هذا الرجل (فارس حكيم) ، الذى أخذ يسب الدين ، فأهان الإسلام . مما أثار حفيظة المسلمين الذين كانوا بقاعة المحكمة ، فإنهال عليه بعضهم بالضرب المُبَرح ، وأودعه القاضى بالسجن[١١] . لتطاوله على هيئة المحكمة ، وسبه الدين الإسلامى .

وثارت ثائرة القائمين على الإرسالية الأمريكية ؛ فتقدم لفيف من هؤلاء المُنصرين ، الذين كانوا قاطنين بأسيوط ، إلى (مدير أسيوط) ، بشكوى ضخموا له فيها المسألة ، وأخبروه بأن ما حدث ضد (فارس حكيم) قد سبب كثيراً من المرارة والفزع لرجال الإرسالية ، وان هذا الأمر يُمثل إهانة لكافة المسيحيين من جانب المسلمين[١٢] . وكادت هذه الشكوى الخطيرة ، تُحدث

فتنة دامية ، فى أسيوط بسبب هذا المدعو (فارس حكيم) .

ويبدو أن (مدير أسيوط) – وهو موظف لدى الحكومة المصرية – تخوف من إنفجار الموقف ، فقام بإطلاق سراح (فارس حكيم) من السجن . « وبعد إجراء تحقيق مع هيئة المحكمة قام بتوجيه اللوم لأعضائها ، ووبخ المسلمين الذين إشتركوا فى الاعتداء على (فارس حكيم) »[١٣] . وكان من المفروض – عند هذا الأمر – أن يُغلق ملف هذه القضية ، خاصة وأن السلطات المحلية فى أسيوط إنحازت إلى جانب المُنصرين الأمريكيين ، وأعوانهم وضد الزوج المسلم وإبنته المسلمة .

غير أن (واصف خياط) ، وهو أحد أعيان أسيوط الأقباط ، والذى كانت الإرسالية الأمريكية قد توسطت له وعينته وكيلاً لقنصل الولايات المتحدة فى أسيوط ، كان قد أبرق إلى نائب قنصل عام الولايات المتحدة ، فى القاهرة ، « بما حدث من إعتداء وقع على (فارس حكيم) وإيداعه السجن » . وقد بادر – على الفور – (وليام ثاير W. Thayer) – قنصل عام الولايات المتحدة فى مصر ؛ بمطالبة (ناظر الخارجية المصرية) ؛ فى ذلك الوقت (اسطفان بك) – وهو أحد خريجى الإرساليات التنصيرية[١٤] –؛ بإطلاق سراح (فارس حكيم) ، وبحث قضيته ورفع الغُبن وتعويضه عن الضررٌ الذى أصابه »[١٥] . وكان هذا التدخل السافر ، من جانب القنصل الأمريكى ، لم يكن فى محله على الإطلاق ؛ ففارس حكيم هذا ، رعية عثمانية ، ولم يكن يتمتع بالحماية الأمريكية !!

ويبدو أن القنصل الأمريكى ؛ الذى كان قد أصَّر على موقفه ؛ كانت لديه معلومات مؤكدة ، عن (فارس حكيم) ونشاطه التنصيرى ، فى القرى والنجوع التابعة لأسيوط ، لخدمة الإرسالية الأمريكية . لذلك عندما وجد القنصل تراخياً من (محمد شريف باشا) ، الذى خلف (إسطفان بك) فى

نظارة الخارجية المصرية ، بادر بمخاطبة حكومته ، وبمقابلة الوالى (محمد سعيد) شخصياً . وشرح له الموضوع « وأخبره بأن حكومته ، وملايين من الناس فى العالم سينتظرون قراره باهتمام بالغ . وأن الجمعيات الدينية المسيحية الكثيرة ، ذات النفوذ ، وأصدقاء المدنيّة فى كل مكان ، سيعتبرون هذا القرار ، إختباراً لرقّى الحكومة العادلة ، والحرية الدينية فى مصر » . وإستقر رأى الوالى (سعيد) — وهو المعروف بسياسته الودّية نحو الأجانب عموماً ، وثقته بهم ثقة مطلقة — على تقديم الترضية الكافية واللازمة ، لفارس حكيم(١٦) . وهكذا نجح القنصل الأمريكي ، فى التأثير على (سعيد) ؛ الذى لم يكن يقوى على أن يخالف للأجانب رأياً ، أو يرد لهم طلباً ؛ وجعله يتورط فى هذه المسألة الخطيرة .

وهكذا تم تسوية القضية ، حسبما أراد (ثاير) ؛ فقد قدم — هذا القنصل الخطير — المطالب الأمريكية بخط يده للوالى المصرى (سعيد) . وتلك المطالب تمثلت فى : « أن يُحكم على ثلاثة عشر رجلاً ، من المسلمين ، الذين إعتدوا على (فارس حكيم) بالسجن ، ويتم تغريمهم مجتمعين ، تعويضاً لإهانته ، بخمسة آلاف دولار ؛ والسماح للمرأة بالعودة إلى المسيحية » . « وقد تم للقنصل ما أراد ؛ فتم سجن ثلاثة عشر مسلماً ، ودفعت حكومة محمد سعيد الغرامة المالية ، فى شهر يوليو ١٨٦١ ، وقدرها خمسة آلاف دولار ، وسُمح للمرأة — زوجة رمضان عبدالجواد — بإتباع دينها الأصلى ، حسب رغبتها »(١٧)

ولقد كان لتسوية هذه المسألة ، على هذا النحو ، بالغ الأثر وأعمقه ، من المرارة والحزن فى وجدان مسلمى أسيوط ، بل ومصر كلها ، فى الوقت الذى كان فيه رئيس الولايات المتحدة ، ووزير خارجيتها (إبراهام لنكولين) ، يعبرون عن مدى سعادتهم وغبطتهم ، لتسوية المسألة على الصورة ، التى إرتآها القنصل الأمريكى العام فى مصر ؛ « فقد عبر (إبراهام لنكولين) عن مدى

سرور وارتياح ، رئيس الولايات المتحدة ، وبالغ شكره لسمو الوالى لتسوية المسألة على هذا النحو » ، « كما أكد لسموه ، أن هذه الإجراءات التى إتخذت ضد (المسلمين) المتهمين ، لدليل صادق على مدى أواصر الصداقة ، التى تربط بين مصر والولايات المتحدة ، وعن نزاهة قصد ، وحكمة حكومة سمو الوالى »(١٨) . الذى كان ألعوبة فى أيدى الأجانب . فماذا يحدث اليوم؟ هل لكى تكون أواصر الصداقة متينة مع الولايات المتحدة ، يستدعى هذا الزج بالمسلمين فى السجون ، والتغاضى عن نشاط الإرساليات التنصيرية ؟!!

مشكلة المنصر الأمريكى (بشتلى) ، عام ١٨٦٧

كانت الإرسالية الأمريكية ، قد أوفدت أحد أعضائها النشطين ، لمدينة (أخميم) ، التابعة لسوهاج ، لمزاولة التنصير هناك ، وكان هذا العضو هو (بشتلى Beshetly) . وأخذ هذا المنصر الأمريكى ، يقوم بمهام عمله التنصيرى فى المدينة المذكورة ، تحت ستار التدريس بالمدرسة الإرسالية الأمريكية ، التى أنشأتها الإرسالية الأمريكية هناك . وكان إختيار (بشتلى) ليقوم بهذه المهمة ينطوى على عدة إعتبارات ، منها : أن (بشتلى) كان قد أتقن التحدث باللغة العربية ، وكان شاباً قوى البنية ، فهو يتحمل المشاق الجسمانية ، أثناء التنقل بين النجوع والقرى ، علاوة على ذلك ، أنه كان له نشاط تنصيرى ملحوظ ، فى بعض قرى (أسيوط) ، من قبل !!

وعندما إمتد نشاط (بشتلى) التنصيرى ، خارج أسوار المدرسة الإرسالية ، ونجح فى تحويل بعض الصبية المسلمين ، من بين الفقراء إلى المسيحية ، (تحت تأثير التنويم المغناطيسى) — ثارت ثائرة الأهالى المسلمين ، وشيوخ وأئمة مساجد (أخميم) . فتقدموا بعريضة ، وقع عليها ٨٩ شخصاً ، كان من بينهم شيخى أخميم ، ورفعوها إلى الحكومة المصرية ، « وطالبوا فيها بوقف نشاط هذا المنصر الأمريكى الخطير ، الذى يغوى الصبية ، ويحولهم عن

دينهم » . ولما لم تستجب الحكومة ، لمطالب المسلمين ، تجمع الأهالى أمام المدرسة الإرسالية ، وطردوه بالقوة ، فى مارس ١٨٦٧ ، من أخميم[١٩] . وبطبيعة الحال ، كان للحادث صداه لدى قيادات الإرسالية الأمريكية ، فى القاهرة وأسيوط ؛ فإنزعجوا لإنحسار نشاطهم التنصيرى عن هذه المنطقة الهامة ، من الصعيد .

وأخذت الإرسالية الأمريكية تحاول إستعادة نفوذها إلى (أخميم) ، بشتى الطرق والوسائل وكانت أن تقدمت بطلب رسمى إلى (تشارلز هيل) ، قنصل عام الولايات المتحدة فى مصر ، وطلبت إليه ضرورة التدخل الرسمى ، فى مسألة (بشتلى) ، « ومطالبة الحكومة المصرية ، بالسماح له بالعودة إلى أخميم (محل إقامته) ، إلى أن تثبت عليه التهم الموجهة إليه ، وضرورة محاكمة الذين وقعوا على العريضة المقدمة ضد (بشتلى) ، وتكوين لجنة لتقصى الحقائق ، ودراسة المسألة ، وإصدار الحكم فيها ، ودفع مصروفات الإرسالية الأمريكية فى مصر العليا ، والتى تبلغ ٣٠٠ جنيه إسترلينى شهرياً ، إبتداء من ٤ مايو ١٨٦٧ إلى أن يزول التدخل فى أعمال الإرسالية ، وتعود مدارسها ، فى مصر العليا ، لمزاولة أعمالها ، ونشاطها (التبشيرى) ، بعد أن إضطرت إلى التوقف ، على أن تجمع هذه المبالغ كغرامات ممن تثبت إدانتهم ؛ بعرقلة أعمال الإرسالية »[٢٠] . وكان من المفروض أن تثير هذه المطالب الأمريكية ، المتطرفة حفيظة الحكومة المصرية . ولكن لم يحدث . وإنما أثارت القنصل الأمريكى نفسه !!

والذى حدث بعد ذلك ، قام (القنصل الأمريكى) بعرض المسألة على الحكومة المصرية ، وبعد أن دار نقاش بينه وبين (راغب باشا) – ناظر الخارجية المصرية –، سحب القنصل ، المطالب التى تقدمت بها الإرسالية له . وكان (شارلز هيل) قد أوضح (لراغب باشا) ، ما تحتاج إليه القضية من عناية . وقد بادر (راغب باشا) ، بشجب حكومته لطرد (بشتلى) من

(أخميم) ، « ونفى بشدة مسألة إشتراك أو تحريض الحكومة المصرية ، فى ذلك العمل ، لأنه يتنافى مع سياسة الحرية الدينية ، التى تتبعها حكومة (إسماعيل باشا) » ؛[٢١]

وفى نفس الوقت ، قام (راغب باشا) ، بنفسه بتوجيه مفتش عام الإقليم (أخميم) ، إلى ضرورة جمع كافة المعلومات اللازمة عن مسألة (الأستاذ بشتلى) ، وتحميله مسئولية حدوث أى عمل من شأنه أن يؤدى إلى عرقلة (الحرية الدينية) فى منطقته[٢٢] . وبذلك ضربت الحكومة المصرية ؛ بمطالب الأهالى المسلمين فى (أخميم) - عرض الحائط - وإعتبرت أن ما قام به الأهالى ، من أجل حماية الإسلام والصبيّة المسلمين ، من شرور المُنصر الأمريكى ، عمل ضد القانون ، ويتنافى مع سياسة الدولة !!

وكيف كانت نهاية المسألة ؟.. الإجابة - غير المتوقعة -أعادت الحكومة المصرية ، المُنصر الأمريكى (بشتلى) إلى (أخميم) ، لكى يعاود مزاولة نشاطه التنصيرى الخطير ، ضد أبناء المسلمين[٢٣] . وبطبيعة الحال ، كانت نهاية المسألة ، لطمة قوية للمسلمين فى كل مصر العليا ، ومصر كلها . فقد ثبت للجميع أن المُنصرين الأجانب لهم نفوذ قوى على سلطان الحكومة المصرية ، وضد الإسلام والمسلمين فى مصر ، فى ذلك الوقت .

حادثة قوص (سبتمبر ١٨٦٧)

كانت عائلة (بشارة فام) ، التى تحولت إلى المذهب البروتستانتى ، إحدى الأسر القبطية ، التى كانت تدعم نشاط الإرسالية الأمريكية التنصيرى ، فى مدينة قوص - التى تبعد عن أسيوط بحوالى عشرين كيلو متراً - وكانت تلك العائلة ، قد دخلت - وفى نفس الوقت - فى خلاف شديد ضد بطريرك الأقباط المصريين . وعند نهاية عام ١٨٦٧ أثيرت الحادثة ، عندما قام الأهالى

بمدينة (قوص) المسلمين والمسيحيين – على السواء – بطرد المدعو (فام إسطفانوس) ومعه اثنين من المدينة ، بالقوة . فى ٢٩ سبتمبر ، لتسهيلهم النشاط التنصيرى لأعضاء الإرسالية الأمريكية فى المنطقة المحيطة بقوص[٢٤] . ثم ألقت السلطات المحلية القبض على هؤلاء الثلاثة ، وأودعتهم بالسجن . .

وعندئذ تقدم نفر من أعضاء الإرسالية الأمريكية ، فى مصر بطلب إلى (شارلز هيل) ، القنصل الأمريكى العام فى القاهرة ، للتدخل فى هذه المسألة ، لإطلاق سراح (فام إسطفانوس)[٢٥] . ولما كان (هيل) من أبرز القناصل العامين الأمريكيين ، الذين خدموا فى مصر . وكان له دور خطير فى محادثات تأسيس المحاكم المختلطة ، والتى كان لها دوراً خطيراً فى تاريخ القضاء والعدالة فى مصر ، وكان – كذلك – من أبرز الداعيين للتنصير فى مصر ، فإنه تدخل بالفعل فى المسألة ، وفى صالح أسرة (بشارة فام) .

وبعد أسبوع واحد فقط ، من إلقاء القبض على (فام إسطفانوس) ومن معه ، كان (شارلز هيل) قد إلتقى مع ناظر الخارجية المصرية ، وتوسط لديه ، ونجحت مساعيه ، وأطلق سراح (فام) ومن معه[٢٦] . وعاد (فام إسطفانوس) إلى موطنه ، بالقرب من (قوص) ، ليساهم ومن تبعه ، فى عملية التنصير الخطيرة ، التى شملت عدداً من أبناء قرى مدينة قوص المسلمين ، فى عام ١٨٦٨ .

والذى يُثير الدهشة ، أن (ذو الفقار باشا) ، ناظر الخارجية المصرية – فى عام ١٨٦٨ – ، « راح يؤكد لمستر هيل ، تمسك الحكومة المصرية ، بسياسة التسامح الدينى ، وإحترام حرية العقيدة الدينية ، وترحيبها بأعضاء الإرسالية الأمريكية »[٢٧] . وأمام هذه التصريحات المصرية المتسامحة راحت الإرسالية الأمريكية ، تتمادى فى مزيد من المطالب المتطرفة ؛ فقد أصرَّ بعض أعضائها على ضرورة إبلاغ الحكومة المصرية – رسمياً – « أن من حق القنصلية الأمريكية ،

فى القاهرة ، تعيين مندوبى قناصل لها فى المدن المصرية ، التى من المحتمل أن يزورها رعايا الولايات المتحدة ، أو التى بها مصالح للولايات المتحدة »[٢٨] وكان من المعروف ، أن من واجب القناصل الأمريكيين ومندوبيهم بالمدن المصرية ، معاونة أعضاء الإرسالية التنصيرية الأمريكية ، فى التفرغ لمزاولة نشاطها التنصيرى ضد المسلمين ، وحماية تلاميذ مدارس الإرسالية ، وحماية من تنصّر من المسلمين الفقراء ، وتحول إلى المسيحية على أيديهم من الإضطهاد !! ، وحماية أعضاء الإرسالية ، وموزعى (الكتاب المقدس) ، والكتب والنشرات التنصيرية ، التابعين لهم — فى حالة مناهضة المسلمين ، من العاملين بالسلطات المحلية ، لهم ولأعمالهم فى أثناء زياراتهم للمدن ، التى ليست بها مراكز تنصيرية ثابتة لهم .

والغريبُ فى الأمر ، أن المتُصر القنصل الأمريكى — نفسه — مستر (هيل) ، قد أثارته هذه المطالب ، البالغة فى التطرف ؛ فأوضح لهم : « أن الدستور الأمريكى ، والقوانين الأمريكية لا تُبيح للقنصل العام فى مصر ، قبول مقترحات أعضاء الإرساليات الأجنبية ، ولا حتى الإرسالية الأمريكية فى شأن مسألتى (بشتلى وفايم إسطفانوس) ، أو مطالبة الحكومة المصرية ، بمثل تلك المطالب المتطرفة »[٢٩] . أليس هذا الإعتراف الخطير ، من (هيل) يدعو للأسف والمرارة ، للحكومة المصرية التى كانت « ترحب بأعضاء الإرساليات الأجنبية على أراضيها » ، والتى كانت على أتم إستعداد لقبول إية مطالب تتقدم بها الإرسالية الأمريكية ، وغيرها من البعثات التنصيرية الأجنبية الأخرى !!

على كل حال .. فالمشكلات التى ترتبت على مزاولة المنُصرين الأمريكيين وغيرهم ، لنشاطهم التنصيرى فى مصر قبل الاحتلال البريطانى لها ، كانت كثيرة ، وخطيرة — وما ذكرناه كان على سبيل المثال — لا الحصر — فالمقام هنا لا يتسع لعرض كل هذه المشكلات ، لأن أكثرها يندى له الجبين المسْلم لا فى مصر وحدها ، وإنما فى كافة أنحاء العالم الإسلامى .. كما وأن ذكرها — فى الوقت

الحالى – سوف يترك فى الوجدان الإسلامى ، كثيراً من الأسى والمرارة .

وفى عام ١٨٧٨ – كانت المأساة – إعترف (الخديوى إسماعيل) بالمذهب البرتستانتى ، الذى كانت الإرسالية الأمريكية تستخدمه فى تنصير المسلمين ، وذلك نتيجة لمساعى (البرت فارمان Farman) ، القنصل الأمريكى العام فى مصر – الذى حلّ محل (هيل) – كمذهب جديد . وفى ذات العام ، رشحت الإرسالية الأمريكية ، القبطى المصرى (جرجس برسوم) ، ليكون ممثلاً عن رعايا الجالية الأمريكية البروتستانتية لدى الحكومة المصرية[٣٠] . ومن هنا تميزت نهاية السبعينيات ، بنجاح الإرسالية الأمريكية فى جذب عدداً من الأقباط المصريين ، وبصفة خاصة الفقراء منهم ، ليكونوا فى خدمة نشاطهم التنصيرى فى جنوب القطر المصرى . فقد بلغ عدد الأقباط المصريين ، الذين تحولوا إلى البروتستانتية ، وخدموا الإرسالية الأمريكية فى نشاطها ، حوالى (٩٨٥ قبطى)[٣١] ، فى عام ١٨٧٩ فقط .

وهكذا – كانت بداية خدمة العناصر القبطية المصرية إلى جوار المنصرين الأجانب ، وبصفة خاصة – وحتى ذلك الوقت – الأمريكيين ، قد بدأت تتبلور ، وتظهر على سطح الحياة فى مصر ، بصورة تدعو للأسف والحزن والمرارة !! وسوف يستمر دورهم الخطير فى خدمة النشاط التنصيرى للإرساليات الأجنبية ، فى مصر وحتى اليوم !!

هوامش الفصل الرابع

(١) بدأت الخدمة الطبية للإرسالية الأمريكية حوالى عام ١٨٦٨ بالعيادة والمنازل والقرى المحيطة بمدينة أسيوط . ولمزيد من الإطلاع على حجم هذه الخدمات الطبية إرجع إلى ل.م هنرى – الدكتور هنرى في أسيوط ؛
وهذا الطبيب وفد إلى أسيوط فى أواخر عام ١٨٩١ هو وزوجته وأبناؤه ، ومنذ ذلك الوقت أخذت الخدمة الطبية مكانها الواضح فى برنامج الإرسالية الأمريكية .

(٢) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٢١٢ .

(٣) Watson, A.; OP. cit.; P. 228.

(٤) أ.ل. شاتلين – المرجع السابق ص/٥٠ .

(٥) Watson; A.; OP. cit.; P. 109

وأنظر كذلك : Elder, E.; OP. cit.; P. 109.

(٦) وليم سليمان (دكتور) – تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى . ص/٨٧ .

(٧) سوسن سليم إسماعيل (دكتورة) – الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية (فتنة الشام) . الجزء الأول ؛ ص/٩٨ – ١٢٢ .

(٨) Watson; A.; OP. cit.; P. 127.

(٩) American Archiues From Consul General to sec. stata; vol. 3. P. 38.

From Thayer to Saward; No. s/26.8. 1861.

(١٠) Ibid; vol. 3. P. 65 No; 8.

مذكرة من (ثاير) قنصل عام الولايات المتحدة فى مصر ، إلى (سيوارد) ، سكرتير الخارجية الأمريكية فى ٣٠ سبتمبر عام ١٨٦١ .

(١١) Watson; A.; OP. cit.; P. 128.

(١٢) الأرشيف الأمريكى ، دار الوثائق العومية ، القاهرة . مجموعة وثائق ديوان الخديوى ، سيادية (قناصل) . Vol. 3. P. 38.
تقرير من مستر (ثاير) ، مرفوع إلى وزارة الخارجية الأمريكية ، فى ٢٦ أغسطس ١٨٦١ .

(١٣) Watson; A.; OP. cit.; PP. 129 - 130.

(١٤) عبدالرحمن الرافعى – عصر إسماعيل . ج ١ . ص ١ – ٥ .

(١٥) تقرير مستر (ثاير) ، إلى مستر (سيوارد) ، فى ٢٦ أغسطس ١٨٦١ .

(١٦) الأرشيف الأمريكى . تقرير (ثاير) إلى مستر (سيواد) ، فى ٢٦ أغسطس ١٨٦١ .

(١٧) Watson; A.; OP. cit; PP. 131 - 132.

(١٨) Morton, J. Houel; Egypt,s Past, Present and Future; (1929).; P. 117.

(١٩) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٢٧٥ .

(٢٠) الأرشيف الأمريكى ، بدار الوثائق القومية ، القاهرة .
مجموعة وثائق ديوان الخديوى ، سيادية (قناصل) ؛ الجزء الرابع . ص/٢٨٤ ، رقم (١٠٨) مذكرة من القنصل العام (هيل) إلى سكرتير الخارجية الأمريكية ، (سيوارد) ، فى ٢٥ نوفمبر ١٨٦٧ .

(٢١) المصدر السابق . تقرير من قنصل عام الولايات المتحدة فى القاهرة (شارلز هيل) إلى سكرتير الخارجية الأمريكية فى واشنطن (سيوارد) ، فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٧ . وقد ذكر فيه (هيل) تفاصيل الحادثة ، ومقابلته مع (راغب باشا) ، ناظر الخارجية المصرية .

(٢٢) المصدر السابق . نفس التقرير .

(٢٣) محمود حلمى مصطفى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٢٧٥ .

(٢٤) المصدر السابق . ص/٢٧٦ .

(٢٥) الأرشيف الأمريكى ، بدار الوثائق القومية ، القاهرة – مجموعة وثائق ديوان الخديوى ، سيادية (قناصل) ، الجزء الرابع . ص/٢٨٧ – تقرير (شارلز هيل) إلى (سيوارد) فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٧ .

(٢٦) المصدر السابق .

(٢٧) المصدر السابق .

(٢٨) نفس المصدر السابق .

(٢٩) مجموعة وثائق ديوان الخديوى ، سيادية (قناصل) . الجزء الرابع . ص/١٥٦ .
تقرير من (سيوارد) سكرتير الخارجية الأمريكية ، إلى (شارلز هيل) القنصل الأمريكى العام بالقاهرة ، فى ٢٤ ديسمبر عام ١٨٦٧ .

(٣٠) Elder.; E.; OP. cit.; P. 72.

(٣١) Wright, L.C.; United States Policy Towards Egypt 1830 - 1910; New York; 1929.; P. 144.

الفصل الخامس

الإرساليات التنصيرية تعمل بحريَّة فى حماية الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ - ١٨٩٩)

- عودة الإرسالية الإنجليزية لمزاولة نشاطها فى مصر .
- عودة الإرسالية الأمريكية فى ظل الإحتلال .
- مجئ إرسالية مصر البريطانية العمومية (١٨٩٨) .
- نشاط الجمعية العامة (لتبشير) مصر .
- كرومر ومعاونة الإرساليات التنصيرية الأجنبية .
- ظهور الصحافة التنصيرية .

عندما إشتعلت الثورة العرابية فى مصر ، ١٨٨١ . غادرها المُنصرون – على إختلاف مذاهبهم – بصورة مؤقتة . إذ خافوا على أنفسهم بوصفهم أجانب ، لا بوصفهم مسيحيين . ثم عادوا جميعاً – من جديد – فى ركاب الإحتلال البريطانى ١٨٨٢ ، يحملون معهم تفاؤلاً أكبر لنشاط : ؟ عاه عناية السلطات الإنجليزية .

ومع الاحتلال البريطانى لمصر ، كان من الضرورى على الإرساليات الأجنبية ؛ الكاثوليكية والبروتستانية الفرنسية والأمريكية ، الإنجليزية والألمانية وغيرها ؛ أن تغير أو تطور من إستراتيجيتها التنصيرية ضد المسلمين فى مصر ، تحت هذه الظروف الطارئة . فهل فعلت فى ظل الاحتلال ؟ الذى أسبغ حمايته للنشاط التنصيرى عامة ، والأمريكى بصفة خاصة ؛ ليصل عدد المتحولين من الأقباط المصريين ، إلى خدمة التنصير ، حوالى ١٢ ألف قبطى ؛ حتى قبيل الحرب العالمية الأولى(١) ؛ حيث تحول هؤلاء إلى المذهب البروتستانتى ، الذى كانت الإرساليات الأجنبية الأمريكية ، تمارس عملها التنصيرى ضد المسلمين ، تحت ستاره !!

عودة الإرسالية الإنجليزية إلى مزاولة نشاطها فى مصر

منذ أن أغلقت هذه الإرسالية أبوابها – رسمياً – فى عام ١٨٦٢ فى مصر ، والنشاط التنصيرى الإنجليزى ، لا وجود له ؛ بسبب العزلة التى كان يحياها القائمون على هذه الإرسالية قبل الاحتلال ، إلى جانب الإعراض الذى كان يُحيط بهم . لكن عادت الإرسالية الإنجليزية – مرة ثانية – فى أعقاب جنود الاحتلال لمصر . وفى هذه العودة ، لم تتغيَّر إستراتيجيتها التنصيرية ، فقد لاق نشاطها ، ومنذ بداية العودة ؛ التأييد والمساندة ، على طول الخط ، من جانب السلطات البريطانية فى مصر .

وكان أعضاء الإرسالية الإنجليزية ، « يرون فى إستخدام الكنيسة القبطية المصرية ، مُبرراً كافياً ، للعودة إلى ممارسة نشاطهم التنصيرى فى مصر »[٢] . وهكذا كانت خطة الإنجليز التنصيرية ، تتمثل فى الإبقاء على كنيسة مصر مع التغلغل فيها ، والسيطرة عليها من الداخل ، للإنطلاق إلى المجال التنصيرى . بينما كانت إستراتيجية الأمريكيين التنصيرية ، تقوم على القضاء نهائياً على الكنيسة القبطية المصرية ، وضم أبنائها إلى كنيستهم البروتستانتية ، ليسهل عليهم التغلغل فى قاع التجمعات المسلمة فى الشمال والجنوب .

وهكذا عاد المُنصرون الإنجليز – هذه المرة – وهم فى مركز القوة ؛ بفضل وجود القوات العسكرية البريطانية فى مصر ، ولذلك ستجد هذه الإرسالية ، كل الحماية والرعاية اللازمة ، من السلطات المحلية المصرية ، مديروا المديريات وضباط وجنود البوليس ، وحتى الموظفين الحكوميين ، المسلمين والأقباط .

فقد قام أحد المُنصرين الإنجليز ، وكان يدعى (ثورنتون Thornton) ، فى نهاية شهر أغسطس عام ١٨٨٢ ، بعدة رحلات إلى مدن مصر الجنوبية (الصعيد) ، وكان فى كل (مديرية) ينزل بها ، يقوم بزيارة مديرها والمطران القبطى ، ويتولى أعوانه إرسال الدعوات إلى كبار الأعيان من المسلمين والأقباط – على السواء – بل وصل الأمر بهذا المُنصر ، أنه كان يدخل كل غرفة بديوان المديرية ، ومركز البوليس والمحاكم ، ويدعو – بنفسه – الموظفين لسماع محاضراته عن (التبشير بالمسيحية) . والغريب « أن مدير المديرية ، وشيوخ المسلمين ، والقساوسة الأقباط ، والقضاة ، والمحامون والضباط ، والموظفون ، كانوا يحضرون هذه اللقاءات ، ويسمعون إليه »[٣] . لا حباً فى معرفة رسالته التنصيرية ، وإنما خوفاً من بطش السلطات البريطانية بهم ، وبذويهم . وقد لا يغيب عن الأذهان ، أن شيوخ المسلمين كانوا يتعاملون مع مثل هذا المُنصرّ (الوغد) ، وأمام عيونهم دار المندوب السامى ، وقائد جيش الاحتلال ؛ فلم يكن أحد يرفع رأسه فى مصر وقتئذاك ، من المسلمين !!

وفى عام ١٨٨٢ – تأسس فى مصر (معهد علمى للتبشير) ، تابع لجمعية (تبشير) الكنيسة ، وكان له أربع أقسام : القسم الأول (قسم طبى) ، والثانى (مدرسة للصبيان) ، والثالث (مدرسة للبنات) ، والأخير (قسم لنشر الإنجيل)[٤] . وكان القائمون على هذه المؤسسة التنصيرية ، يملكون إلى جانب ذلك ، مكتبة ضخمة خاصة بهم ، تحوى كل الكتب التى تطعن فى الإسلام ، وأخذوا يصدرون دورّية أسبوعية ، فى شكل (مجلة) تنصيرية صارخة ، إلى جانب توزيعهم النشرات والكتيبات التنصيرية ، علناً على كافة الناس ، تحت حماية أسنة الرماح البريطانية .

وقد بلغ من مساعدة الإحتلال البريطانى لرعاية المُنصرين ، لسيطرتها على الحكومة ، « أن أمر اللورد (كتشنر) – الذى كان قائداً للجيش –، وزير الأوقاف المصرى ؛ بإلغاء المستشفى الذى شيدته الوزارة فى حىّ (مصر القديمة) ؛ بجوار مستشفى هرمن (هرمل) (التبشيرى) ، لأنه يصرف كثير من فقراء المسلمين عنهم ؛ فيحرمون من (التبشير) بالنصرانية »[٥] .

وكما وصل الأمر ، بسياسة الاحتلال فى مصر « أن جعل أغلب الوظائف الحكومية أو كلها – تقريباً – فى أيدى الأقباط »[٦] . لكى يسهل عليه توظيفهم فى خدمة مصالحه التنصيرية . كما وأن أغلب الوظائف الكتابية والحسابية ، كانت – كذلك – فى يدهم قبل أن يدخل الاحتلال البريطانى »[٧] . من هنا غدت أروقة دولاب الوظيفة الحكومية ، حقلاً خصباً لنشاط الإرسالية الإنجليزية .

وإذا كان البعض يدعى بأن الإحتلال البريطانى ، « قد قضى على إحتكار الأقباط لبعض هذه الوظائف الأخيرة ، وأباح للمسلمين ، بل أعدّهم لدخول هذه الوظائف الكتابية والحسابية »[٨] . فإن الحقيقة كانت عكس ذلك ، وما حدث أن الإحتلال لم يُبح هذه الوظائف للمسلمين المصريين ، وإنما أباحها

للشوام ، الذين تهذبوا فى مدارس الإرساليات التنصيرية الأمريكية . وبطبيعة الحال ، كانت هذه السياسة الإستعمارية ، قد ساعدت على طرح جيل من الأقباط ، فى مصر ، كان يميل إلى المنصرين الإنجليز ، بحكم الثقافة التنصيرية التى تشربها ، وبحكم إرتباطه بالكنيسة الإنجيلية ، والتخلى عن مذهب الكنيسة الوطنى . لقد نشطت الإرسالية الإنجليزية ، وبمعاونة السلطات البريطانية ، فى إحتواء الكثيرين من الأقباط المصريين ، وتحويلهم إلى خدمة أغراضها التنصيرية .

وكانت الدول المسيحية الأوربية ، قد أخذت ؛ ومنذ إحتلال بريطانيا لمصر ؛ تنظيم علاقاتها معاً ، من أجل التنسيق للعمل (التبشيرى) . ففى عام ١٨٨٤ ، عقد مؤتمر برلين (نوفمبر ١٨٨٤ - فبراير ١٨٨٥) ، لتنظيم تقسيم قارة أفريقيا بين الدول المسيحية الأوربية . وفى هذا المؤتمر لفت (بسمارك) المستشار الألمانى ، النظر إلى مسئولية هذه الدول ، من نحو تشجيع الإرساليات التنصيرية ، وغيرها من المنظمات والجمعيات المسيحية ، التى تهتم بنشر (المعرفة المفيدة)[٩] . وقد أكدَّ هذا الأمر (ستيفن نيل) مؤرخ الإرساليات التنصيرية ، نفسه .

وكان من نتيجة هذا المؤتمر الإمبريالى الخطير ، أن تأسست (جمعية تبشير شمال أفريقية) فى عام ١٨٨٧ . وأسس المنصر الأمريكى الخطير (جون رالى موط J.R. Mott) ، (الإتحاد المسيحى العالمى للطلبة) عام ١٨٩٥ ، وجعل شعار هذا الإتحاد المسيحى « ضرورة تنصير العالم كله فى هذا الجيل » . وقد حضر هذا المنصر الخطير إلى مصر ، يدعو لشعاره ، كما جال بين مختلف القارات ، لنفس السبب[١٠] . كما ألف (جون موط) كتاباً ، أعطى له عنوان شعاره (تبشير العالم فى هذا الجيل) ، ونشره فى نيويورك ، عام ١٩٠٠ !!

وقد نجحت (جمعية تبشير شمال أفريقية) ، فى تأسيس معهداً تنصيرياً فى

مصر عام ١٨٩٢ ، وكانت أهم وظائفها تنصير المسلمين . فقد كان لهذه الجمعية ثلاث وكلاء مقيمين فى مصر ، واحداً منهم فى (الأسكندرية) ، وإثنان فى (شبين الكوم)[١١] . أما أعمال المعهد المصرى التنصيرى ؛ فكانت تتمثل فى فتح المدارس التنصيرية ، لنشر الإنجيل – بوجه خاص – بين تلاميذها من المسلمين ، وقيام (المبشرات) بعمل زيارات ميدانية ، لمنازل المسلمين ، وعقد الإجتماعات بسيداتهن ، وأن يقمن بتوزيع المؤلفات والكتب (التبشيرية) على المسلمين ، وأن يلقين المحاضرات التنصيرية ، لدرس الإنجيل فى أيام الأسبوع . وقد نجح هذا المعهد المصرى ، فى تحويل خمسة من المسلمين ، إلى المسيحية وتنصيرهم[١٢] .

عودة الإرسالية الأمريكية لمزاولة نشاطها التنصيرى فى ظل الاحتلال

لقد عادت الإرسالية الأمريكية ، إلى مصر – مرة أخرى – لمزاولة نشاطها التنصيرى ، ولكن بإستراتيجية جديدة . فعندما وصل (أندرو واطسون) – رئيس الإرسالية – ومعاونيه إلى القاهرة فى نهاية ديسمبر عام ١٨٨٢ ، أخذ على الفور ، باخرة نيلية ، وإستقلها عبر النيل وجاب بلاد الصعيد حتى وصل إلى أسوان . فى مهمة تفتيشية على المراكز التنصيرية التابعة لإرساليته ، وما تشمله من مدارس ، وكنائس وخلافه[١٣] . وكانت هذه المراكز تدار بقيادات تنصيرية وطنية . كانت الإرسالية الأمريكية قد سلمتهم زمام الأمور قبل رحيلها فى أعقاب الثورة العرابية .

وعندما إطمأن المنصر الخطير ، إلى أن الأمور تسير سيرها الطبيعى . بدأ فى تنفيذ الإستراتيجية الجديدة ، فى ظل الاحتلال البريطانى . وإذا كان بعض كبار المؤرخين المسلمين ، قد إنخدعوا فيما أورده ، هذا المنصر الخطير فى مذكراته ؛

« بانه ما لبث أن أدرك مع غيره ، أن بريطانيا لا تريد التورط فى مؤازرة نشاطهم بين المسلمين ، لأن الأهداف السياسية لبريطانيا ، وهى البلد المسيحى ، كانت أكثر أهمية لها من المسيحية ذاتها ، وان الإدارة البريطانية لم تر مصلحة خاصة لها فى تحويل المسلمين إلى مسيحيين ، وانها إنصاعت لنصح الحكومات المصرية ؛ بعدم التدخل فى هذا الأمر لئلا تثير العصبية الإسلامية ضدها »(١٤) . وانساقوا وراء هذه الإدعاءات الباطلة . .ما جعلهم يتوصلون إلى نتائج خطيرة ، مؤداها ; « أن المسلمين لم يستشعروا خطراً على دينهم من النشاط التبشيرى فى هذه الفترة . لأن إهتمام أوربا والغرب المسيحى ; بمصر كان مُركزاً فى التغلغل الاقتصادى والسياسى ، مُبتعداً عن إثارة الحساسية الدينية الإسلامية فى هذا الوقت »(١٥) .؛ فإن الأحداث وحدها كانت كافية لإماطت اللثام ، عن خداع (واطسون) ، خاصة بعدما ثبت أن الإرسالية الأمريكية كانت تزاول نشاطها التنصيرى الخطير ، ضد المسلمين وأبنائهم ، بعد أن غيَّرت من إستراتيجيتها التى كانت تعمل بها قبل الاحتلال البريطانى لمصر ، وسببت لها الكثير من الحرج مع القوى الإسلامية الشعبية ، ومع الحكومات المصرية المتعاقبة .

لقد ثبت – ومما لا يدع مجالاً للشك – أن سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر ، كانت تساعد بل وتعاون معاونة إيجابية ، الإرسالية الأمريكية فى نشاطها التنصيرى ، وبخاصة فى أقاليم الصعيد . وكانت الإدارة المحلية ، والتى كانت تسيطر عليها العناصر البريطانية ، وكذلك سلطات الاحتلال كانت تتخذ من مختلف المناسبات والفرص ، وسيلة لتسهيل مهمة الإرسالية الأمريكية ، لمواصلة نشاطها التنصيرى . ومن هذه الفرص الدعوة إلى عقد مؤتمر فى القاهرة ، لبحث مسألة التنصير بين المسلمين فى العالم الإسلامى ، ولتجنب الأخطاء الكثيرة التى نتجت عن العمليات السابقة .

ولقد جاءت الإستراتيجية الجديدة ، للإرسالية الأمريكية عام ١٨٩٩ ، فى شكل بعثات علمية لأعمال الحفائر الأثرية فى مصر . عندما جاءت بعثة (جامعة كاليفورنيا) — فى ذات العام — إلى مصر لمزاولة نشاطها التنصيرى ، تحت ستار ، القيام بالتنقيب عن الآثار الفرعونية المصرية فى صعيد مصر ، ومنطقة الأهرامات (الجيزة)(١٦) . وظلت هذه (البعثة العلمية) تواصل نشاطها التنصيرى ، " جانب البحث والحفر عن المقابر الفرعونية حتى عام ١٩٠٣ .

ولما كانت (البعثات العلمية) الأمريكية التنصيرية ، قد حظيت برعاية الحكومة المصرية ، توافد غيرها فى عام ١٩٠٥ حيث وفدت بعثتان أمريكيتان للتنصير ، تحت نفس الستار السابق ، وهو القيام بعمل حفائر أثرية فى منطقة الصعيد . وكانتا من (جامعة هارفارد) و (متحف بوسطن) . وقد إستمر عمل هاتان البعثتان لفترة طويلة . وفى عام ١٩٠٦ جاءت (بعثة علمية) أخرى ، من (متحف متروبوليتان) بنيويورك ، للمشاركة فى أعمال البحث والتنقيب عن الآثار الفرعونية ، وبطبيعة الحال ، وأعمال التنصير الأمريكية(١٧) . هذه هى ملامح الاستراتيجية الأمريكية الجديدة ، والتى عملت من خلالها الإرسالية الأمريكية التنصيرية فى مصر .

وإذا كان لهذه (البعثات الأثرية) الأمريكية — ظاهراً — بعض النتائج العلمية التى بهرت علماء الآثار المصريين ، كإكتشاف مقبرة الملكة الفرعونية (تى) فى (طيبة) ، وما تحويه من تحف وحُلىّ ذات قيمة تاريخية كبرى ، وبعض الخدمات التى أفادت هذا المجال(١٨) . فإنها فى نفس الوقت ، قد خدعت العديد من مؤرخيها المسلمين لتلك الفترة ، الخاصة بتزايد نشاط الإرساليات الأجنبية التنصيرية ، والأمريكية ، بصفة خاصة .

مجئ إرسالية مصر العمومية ١٨٩٨

وفى عام ١٨٩٨ تأسست (الجمعية العامة لتبشير مصر) ، مع بداية نشاط (إرسالية مصر العمومية البريطانية) ، وكانت بداية النشاط التنصيرى لإرسالية مصر العمومية ، حدثت فى شهر مارس ١٨٩٨ ، عندما وصل إلى القاهرة ، سبعة من المُنصرين الإنجليز ، إتخذوا من منطقة (الزيتون) بالقاهرة ، مقراً لإرساليتهم[١٩] .

وأخذت هذه الإرسالية ، على مدى ثلاثين عاماً ، تحتل المرتبة الثانية ، بين الإرساليات التنصيرية ، التى تعمل فى مصر ، حيث كان عدد العاملين بها قليلاً ، ومع ذلك أنشأت لها فى منطقة (شبين القناطر) ، مستشفى جذبت إليها كثيراً من فقراء المسلمين ، الذين وقعوا تحت تأثير القائمين على إدارتها ، من المُنصرين الإنجليز . كما أقامت هذه الإرسالية لها مراكز تنصيرية فى كل من (دمنهور) و (الاسكندرية) و (الإسماعيلية) و (السويس)[٢٠] .

وأخذ نشاط هذه الإرسالية ، يعمل فى صمت خطير ، حتى تحول على أيدى مُنصريها ، عدداً من الصبيّة المسلمين إلى النصرانية ، فى أعوام ١٩٠٠ و١٩٠٣ ، وظل نشاط هذه الإرسالية قائماً حتى وقت قريب جداً ، تدير مدارس الإرساليات الأجنبية الأخرى فى مصر . ففى عام ١٩٥٣ ، تعاونت هذه الإرسالية ، مع الكنيسة القبطية المصرية ، فى إقامة (مستوصف) علاجى ، فى قرية (نزلة حرز) ، التابعة لمركز (ملوى) محافظة المنيا .

أما (**الجمعية العامة لتبشير مصر**) ، والتى كانت غايتها تحويل المسلمين المصريين ، إلى النصرانية ، بدأت ومنذ عام ١٨٩٩ ، بإنشاء معاهد لها فى الدلتا ، و (السويس) ، وأخذت تدير عدداً من المدارس التنصيرية ، للصبيان

والبنات ، وتبث فيهم مبادئ النصرانية ، وكان لهذه الجمعية ، خزائن كتب تحوى كُتباً عربية ، ذات علاقة بالإسلام ، وكان لها مجلة شهرية ، منتشرة جداً ، وخاصة بين المسلمين(٢١) . وكان لفيف من المُنصرين ، فى كل يوم سبت ، يقومون بعملية تفتيش على تلك المعاهد والمدارس ، التابعة للجمعية العامة لتنصير مصر . وقد تحول على أيدى القائمين على نشاط هذه الجمعية ، عشرات من الصبيّة والبنات ، من أبناء المسلمين الفقراء ، فى مناطق (السويس) ، و (دمنهور) و (طنطا) ، خلال الفترة من ١٩٠٠ وحتى عام ١٩٠٩ .

وقد اتسع نطاق المؤسسات التعليمية التنصيرية بعد الاحتلال البريطانى لمصر . فقد جاء فى الإحصاء : « أن مدارس الإرساليات التبشيرية ، والمدارس الأجنبية ، بلغت ١٥٢ مدرسة ، تضم بين جدرانها ٢٢٤٧ طالباً » ، غالبيتهم كانوا من المسلمين الفقراء . وقد جاء هذا التوسع فى المؤسسات التنصيرية ، بناء على توصيات (دوفرين) - الوزير البريطانى الذى زار مصر بعد الإحتلال - والذى وضع مخطط العمل التنصيرى المتطور ، للإرساليات الإنجليزية فى مصر . وهو القائل « ان الأمل فى نجاح تهذيب العامة فى مصر مازال ضعيفاً ؛ مادام الصبيان لا يتعلمون اللغة العامية ، بدلاً من تعلم لغة القرآن الشريف ، كما يفعلون الآن ؛ لذلك فإن نسبة العامية إلى الفصحى فى اللغة العربية ، كنسبة اللغة الإيطالية الحديثة إلى اللغة اللاتينية القديمة »(٢٢) . وقد أشار كثير من الباحثين ، إلى الدور الذى قامت به إرساليات التنصير فى مصر - منذ الاحتلال البريطانى - فقد قال البعض : « أنها إعتمدت أساساً على قول اللورد سالسبورى : [ان مدارس (المبشرين) أول خطوات الإستعمار ، حيث أن أول عمل لها ، هو إحداث الشقاق فى الأمة التى (تبشر) فيها] .

لورد كرومر ، ومعاونة الإرساليات التنصيرية

ولقد لجأت السياسة البريطانية فى مصر ، إلى إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط ، كستار للتمويه بها ، على فاعلية نشاط الإرساليات التنصيرية . ولقد أكد كرومر هذه السياسة ، بما أخذ يرمى به الإسلام من أنه (يحول دون المشاركة فى حياة الحضارة الإنسانية)(٢٣) . كما شارك (كرومر) فى هجومه على الإسلام ، كثير من الكُتاب الإنجليز ، الذين حرصوا حرص (كرومر) على تعميق الشقاق بين المسلمين والأقباط ، والعمل على إيجاد كتلة قبطية ، تعلمت وتثقفت فى مدارس الإرساليات الإنجليزية ، معادية للإسلام . وكان من بين هؤلاء الكُتاب ، (ديسى (Dicey) ، الكاتب الإنجليزى النصرانى ، و (ستانلى لين بول) ، ذلك الكاتب الذى هاجم الإسلام ، وكان « يعتبره عاجزاً عن ملائمة تطور العصر » .

ولكى تكتمل الصورة ، نضع أمام القارئ المسلم ، الإستراتيجية التى رسمها (كرومر) لحركة التنصير الأجنبية ، والتى ضمنها إلى تقريره السنوى عام ١٩٠٤ . وهذا التقرير يلقى الضوء على تلك الإستراتيجية التنصيرية ، التى إتبعت خلال إقامته فى مصر خلال الفترة من ١٨٨٣ وحتى عام ١٩٠٧ ، وهو المخطط الذى سار عليه العمل التنصيرى - فيما بعد - لسنوات طويلة(٢٤) ويقول (كرومر) فى تقريره :

« من البين الجلى أنه ليس من أغراض الحكومة البريطانية ، دعوة الناس للإنتقال من مذهب إلى مذهب ، لا فى ممالكها ولا فى البلدان التى لها فيها شئ من السلطة . ففى (القطر المصرى) - وهذا أكثر سكانه مسلمين ، وجانب كبير منهم متعلم مهذب ، وقد طال إختلاطه بالأوربيين فعرف كثيراً من آرائهم ، وأساليب حكوماتهم - ويجب أن نطبق الحرية ليدعو المسلمين إلى

دينهم ، وليدعو المسيحيين إلى دينهم على السواء ؛ بشرط ألا تستعمل إلا وسائل الإقناع المحلية ، وكل ما تطلبه الحكومة من هذا القبيل ، إنما هو ألا يحدث شئ مُخل بالأمن العام ، وألا يستعمل أهل الديانة الواحدة ما ينتهك به حُرمة الديانة الأخرى ، وقد جرى العمل بموجب هذا الأمر ، فجاءت النتائج مُرضية بوجه العموم .

وقد إتسع نطاق التنصير فى عهد (كرومر) ، الذى راح يُشجع المُنصرين فى طول البلاد وعرضها ، وحمى المؤسسات التنصيرية الأجنبية ؛ مما جعل الصحف البريطانية ، وعلى رأسها جريدة (التايمز) اللندنية ، تردد ، « إن مصر قد أصبحت تحت سلطة إنجليزية مسيحية » . وبطبيعة الحال ، غدت الحركة التعليمية خاضعة للسلطة المسيحية .

وكانت السلطات البريطانية ، قد إستقدمت (المُنصر الخطير) ، (القس دوجلاس دنلوب) ، الذى كان يعمل فى مدرسة (الإرسالية الإنجليزية) — الاسكوتلاندية — بالاسكندرية ، معلماً ، ثم نقل إلى نظارة المعارف مفتشاً ، ثم أصبح مُسيطراً على الوزارة تماماً ، يعاونه (يعقوب أرتين) الأرمنى . وقد وجه المُنصر (دنلوب) السياسة التعليمية فى مصر ، وفى الإتجاه الذى توافق مع الإستراتيجية التنصيرية البريطانية ، والتى وضعت من أجل تحويل المسلمين إلى النصرانية .

ظهور الصحافة التنصيرية

وقد إستعان المنصرون الأجانب ، بعديد من الوسائل ، فى إبلاغ دعوتهم الهدامة إلى المسلمين . فكانت الصحافة واحدة من أخطر هذه الوسائل التى إستعان بها القائمون على نشاط الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى مصر . وقد إستعانت الإرساليات بنوعين من الصحافة ؛

أولاً : الصحافة (التبشيرية) الصريحة ، والتى كانت معروفة ، وكانت موضع الإمتهان والتحفظ .

ثانياً : بعض الصحف المصرية ، والتى كانت ذات ولاء للإرساليات ، والإحتلال البريطانى .

ولما كانت مصر ، من أبرز الدول العربية فى إستراتيجية الحركة التنصيرية الغربية ؛ فقد حرصت الإرساليات الأجنبية ، وبمعاونة سلطات الإحتلال البريطانى ، على إنشاء صحافة مسيحية تنصيرية فى مصر ، تدعو إلى الإحتلال وتمجده ، وتدعو إلى التنصير ، وترغبه . وكانت أولى الصحف التى أوجدتها السلطات البريطانية ، هى صحيفة (التايمز السياسية) الأسبوعية ، والتى كانت تصدر باللغة العربية ، لصاحبها (مستر بيمن Bemen)[٢٥] . وفى نفس الوقت ، حرصت الإرساليات الأجنبية ، بمعاونة سلطات الاحتلال ، على إحتواء عدداً من الصحف والدوريات الوطنية ، لتكون لها بوقاً لترويج الدعاوى المسمومة ، ونجحت فى جعل صحيفة (المقطم) ، التى صدرت فى ١٨ أبريل عام ١٨٨٨ ، لأصحابها (الشوام) الثلاثة ، (فارس نمر ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريوس) ، وهؤلاء الثلاثة نشأوا وتربوا فى أكبر مدرسة تنصيرية تأسست فى الشرق الإسلامى ، وهى (الكلية الأمريكية) فى بيروت ،– كما وأن أحدهم وهو (فارس نمر) كان قد تزوج فى عام ١٨٨٨ من إبنة قنصل بريطانيا السابق ، فى الاسكندرية – وصحيفة (الإجيشيان جازيت) الصادرة باللغة الإنجليزية ، وصحيفة (الأهرام) ، وصحيفة (الوطن) ، التى قامت بدور خطير فى إشعال نار الأحقاد الدينية ، بل والعمل على إيجاد فتنة طائفية فى البلاد[٢٦] .، والجهاد ، وكوكب الشرق ، والسياسة الأسبوعية . وبشكل عام كان القائمون على هذه الصحافة التنصيرية ، فئة معينة ، من الشوام ، كانت ترتبط ، بإرساليات التنصير الأجنبية .

ودوريات أخرى ، مثل مجلات (المقتطف والهلال ، والمجلة الجديدة) ، وأخذت هذه الدوريات تعمل فى خدمة النشاط التنصيرى فى البلاد ، بعد أن إحتضنتهم سلطات الإحتلال ؛ فالقائمون على هذه الصحافة التنصيرية ، كانوا يفهمون لغة الإرساليات والاحتلال ، ويقبلون التعاون معهم . فقد وصفهم (كرومر) فى مذكراته ؛ بأنهم « منحة من السماء » ، وأنهم « خميرة البلاد » . وإلى جانب هؤلاء ، كان هناك لفيف آخر ، من الأغنياء الأقباط المصريين ، الذين تعلموا فى مدارس الإرساليات التنصيرية ، كانوا من كُتاب هذه الصحافة التنصيرية . فأخذت كتابات هؤلاء وأولئك ، تقطر سُماً زعافاً ، وراحوا فى كل مناسبة ، يروجون لنشاط الإرساليات الأجنبية ، ويتهجمون على الإسلام ، وتراث المسلمين .

ولم يقتصر نشاط الصحافة التنصيرية ، لسان حال الإرساليات والاحتلال ، على القاهرة ، والاسكندرية ، بل إمتد إلى بعض عواصم الأقاليم المصرية . وبدأت (أسيوط) تهتم بإصدار الصحف التنصيرية . ففى فبراير عام ١٨٨٦ ، صدرت (مجلة النزهة) ، لصاحبها (جورجى خياط)[٢٧] ، وهو أحد الذين كانوا فى خدمة الإرسالية الأمريكية ، ونشاطها التنصيرى ، منذ وصول أعضائها إلى الصعيد . كذلك صدرت (الراوى) بأسيوط ، فى مارس عام ١٨٨٨ لصاحبها (خليل زينيه)[٢٨] . غير أن (الراوى) إحتجبت فى عام ١٨٩٠ .

وكانت سلطات الاحتلال ، والإرساليات الأجنبية ، تهدف من وراء إنتشار هذه الصحافة ، فى الأقاليم ، والتى كانت شبه متخصصة فى الأدب ، الذى يروج للدعاوى التنصيرية ، أن تصرف المسلمين عن الإهتمام بنشاط الإرساليات التنصيرية ، وتحويل إهتماماتهم عن وجود الإحتلال من أساسه ، هذا الإحتلال الذى يرعى وَيحمى الوجود التنصيرى فى طول البلاد وعرضها .

وقد كان (داود بركات) أحد الكتاب الصحفيين المصريين ، الذين عملوا على الطعن فى الإسلام ، بتوجيه من القائمين على الإرساليات التنصيرية ، لخدمة مخططات (التبشير)[٢٩] .

وحملت صحيفة (الجهاد) ، وصاحبها (توفيق دياب) ، حملة شرسة على الصحف العربية الإسلامية ، التى فضحت حوادث المُنصرين (١٩٣٢ - ١٩٣٣) ، والتى راح ضحيتها عشرات من الصبيان والبنات ، من أبناء وبنات المسلمين ، وتم تنصيرهم . كما فعلت - نفس الشئ - صحيفة (كوكب الشرق) ، ورئيس تحريرها (طه حسين) ، بأن كتب يقول فى عبارة ساخرة : « ان الإسلام لا يُضيره أن تخرج منه واحدة أو أكثر » . كما نشرت (السياسة الأسبوعية) ، تصريحات وعبارات ، أيضاً لطه حسين ، وعلى عبدالرازق ، وسلامة موسى ، فى مهاجمة الإسلام ، والتشكيك فى الأديان ؛ بالقول : « بأن (التبشير) شئ هين ، أمام حركات الإلحاد والمُلحدين » . وقال : « ان هذه (الجمعيات) الإرساليات تعنى أكبر عناية ، بمصر ، وتعتقد أنها قلب الشرق ومعقل الإسلام ، فإذا تمكنت من تضليل عدد كبير من أبناء مصر ، ونزعت من نفوسهم مبادئ الإسلام ، سهل عليها تحقيق غرضها » .

وقد كشف المنصرون أنفسهم ، فى تقاريرهم وكتبهم ، عن « أنهم إستغلوا الصحافة المصرية للتعبير عن آرائهم ، أكثر مما إستطاعوا فى أى بلد إسلامى آخر » . وقد ظهرت مقالات كثيرة ، فى عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة - فى كثير من الأحيان - أو بلا أجرة - فى أحوال نادرة - « وان بعض هذه الصحف المصرية ، كانت تحصل على مبالغ مالية ضخمة ، من جهات متُعددة فى سبيل نشر مقالات معينة »[٣٠] .

وهكذا أخذ النشاط التنصيرى ، يعمل بفاعلية ، فى عهد الاحتلال ، ومن خلال الصحافة والمدارس الإرسالية التنصيرية . ويصف (محمد على علوبة) -

فى مذكراته – هذه المؤسسات التنصيرية ، قائلاً : « إن المدارس الأجنبية فى مصر ، كانت تعمد إلى تنفير التلاميذ والتلميذات ، من اللغة العربية وترغيبهم فى اللغة الأجنبية حتى أصبح المصريون فيها ، أقوى فى اللغة الأجنبية منهم فى اللغة العربية ...، ومما يوجب الحسرة ان المدارس الأجنبية ، كانت تُلزم المسلمين ، من تلاميذها ، ما يسمونه (بالتاريخ المقدس) ، وهو تاريخ الأنبياء من سيدنا إبراهيم إلى (عيسى) ، ولا يُذكر فيه النبى محمد (ﷺ) ، والذين يتربون فى هذه المدارس ، يضعف إحساسهم القومى ، ويبعدهم عن دينهم (الإسلامى الحنيف) ..، إن هؤلاء برعوا فى الرقص ، ولعب الميسر »[٣١] .

لقد تزايد نشاط الإرساليات التنصيرية ، الإنجليزية والأمريكية والفرنسية ، فى ظل الاحتلال مما أزعج العلماء والمثقفين المصريين ، المسلمين ، فجاء ردُّ فعلهم عنيفاً على صفحات دورياتهم اليومية والأسبوعية ، وفى المنتديات الفكرية وحلقات الدرس الدينية . وهذا ما سنعرض له فى الفصل السادس .

هوامش الفصل الخامس

(١) عبدالعزيز عبدالغنى إبراهيم (دكتور). - بداية التنصير الأمريكى فى وادى النيل ، مجلة الدارة ، المملكة العربية السعودية ، العدد الرابع ، السنة التاسعة ، أبريل ١٩٨٤ ص/٧٦ .

(٢) Gairdner, W.H.; Thornton, D.M.; A study in Missiomary Ideals and Methods; london; 1909; P. 272.

(٣) Ibid; P.P. 255 - 272.

(٤) أ.ل. شاتليه - الغارة على العالم الإسلامى . ص/٥١ - ٥٢ .

(٥) أنور الجندى - الإسلام فى وجه التغريب . ص/٢٨ .

(٦) محمد شفيق غربال (دكتور) - تاريخ المفاوضات المصرية - البريطانية . جـ١. القاهرة ١٩٥٣ . ص/٢٧ .

(٧) جاك تاجر - أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى ، القاهرة ، ١٩٥١ . ص/٢٤٧ .

(٨) المرجع السابق . تقرير (جاك تاجر) المقدم إلى المؤتمر القبطى بأسيوط عام ١٩١١ .

(٩) Neill, stephen; A History of christion Missions; Pelican Book; 1964; P. 426.

(١٠) Mott, R.J.; The Evangelization of the world in this Generation; New York; 1900; P.P. 18 - 22.

(١١) أ.ل. شاتليه - المصدر السابق. ص/٥٢ .

(١٢) أ.ل. شاتليه - المصدر السابق .

(١٣) Watson, A.; OP. cit.; PP. 351 - 352.

(١٤) Ibid; P. 361.

(١٥) طارق البشرى - المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية . ص/٤٧٢ .

(١٦) Brinton, J.Y.; The American effort in Egypt; Achapter in Diplomatic History in the 19 century; P. 31.

(١٧) Ibid, P. 32.

(١٨) تقرير السير ألدن جورست ، عن المالية والإدارة والحالة العمومية فى مصر والسودان لعام ١٩٠٧ . ص/٤١ .

(١٩) Elder, E.; OP. cit.; P. 163.

(٢٠) Ibid.;

(٢١) أديب نجيب سلامة - المرجع السابق . ص/١٢٢ .

(٢٢) أ.ل. شاتليه - المرجع السابق . ص/٥٢ .

(٢٣) أنور الجندى - المرجع السابق . ص/٢٨ .

(٢٤) محمد شفيق غربال (دكتور) - المرجع السابق . ص/٣٢ .

(٢٥) أنور الجندى - المرجع السابق . ص/٣٠ .

(٢٦) سامى عزيز (دكتور) - الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ . ص/٩٤ .

(٢٧) سامى عزيز (دكتور) - المرجع السابق . ص/٩٦ - ٩٧ .

(٢٨) سامى عزيز (دكتور) - الصحابة الأدبية بمصر والاتجاهات القومية (١٩١٤ - ١٩٤٠) ، الجهاز المركزى للكتب ، القاهرة ، ١٩٧٦ . ص/٢٦ .

(٣٠) أنور الجندى - المرجع السابق . ص/١١٧ .

(٣١) مذكرات محمد على علوبة . ص/١١ - ١٥ ، نقلاً عن : لطيفة سالم (دكتورة) - مصر فى الحرب العالمية الأولى ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ . ص/٢١٢ .

الفصل السادس
موقف العلماء والمثقفين من
النشاط التنصيري في عهد الاحتلال

- موقف عبدالله الإدريسي الشهير (بالنديم) .
- جهود جمال الدين الأفغاني .
- محمد عبده .
- الشيخ عبدالوهاب النجار .
- الشيخ محمد زكي السندي .
- رشيد رضا .
- الشيخ منصور الشريف .
- شخصيات أخرى (مصطفى كامل - محمود خطاب السُبكي - حسين برادة ، السيد محمد طلعت ، السيد أمين الدمياطي الخ) .
- الصحافة الإسلامية والجمعيات الدينية .

كان من أهم نتائج « الثورة العرابية » فى مصر ، إحتلال بريطانيا لها .. وقد أعقب ذلك سريان روح الخضوع واليأس فى النفوس ؛ مع عودة بعثات التنصير الأجنبية إلى مزاولة نشاطها فى مصر ، بصورة مكثفة ؛ إلى أن ظهرت زعامات جديدة من بين العلماء والمثقفين ، تصدت للنشاط التنصيرى الأجنبى فى مصر ، كان على رأسها ، جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده ، اللذان بعثا فى الأمة المصرية الإسلامية ، روحاً جديدة ، كانت ضد الوجود التنصيرى الأجنبى ، فى فترة شعر فيها المصريون بالظلم والظالمين ، الذين كانوا يحمون النشاط التنصيرى فى البلاد .

والغريب فى الأمر أن السلطات البريطانية ، إتهمت تلك الزعامات الفكرية بالتعصب ، كما هى العادة عند إشتداد حركات التصدى والمقاومة للنشاط التنصيرى ، فى تلك البلاد المصرية ، التى تمثل الرأس من الجسد ، فهى الطريق للحرمين الشريفين ، وملاذ المسلمين المضطهدين ، والتى إحتفظت بطابعها الإسلامى ، الذى ظل يسود مسرح الحياة الفكرية والسياسية منذ الفتح الإسلامى لها ، ومن ثم فإن ثورات الشعب المصرى ضد الأجنبى منذ (نابليون) ، وحتى (توفيق) فى عام ١٨٨٢ ، كانت كلها ثورات مصرية الطابع ، إسلامية المشاعر[١] .

ولم تنطفئ حركة المقاومة والتصدى للنشاط التنصيرى فى مصر ، ولم تهدأ وإنما بدأت تلك المقاومة ضعيفة ، بدأها (جمال الدين الأفغانى) يعاونه (محمد عبده) لفضح الإرساليات الأجنبية ، وتصرفاتها ضد الإسلام والمسلمين فى مصر ، فدعا (محمد عبده) إلى قيام حركة إسلامية عامة ضد الوجود البريطانى ، الذى يحمى النشاط التنصيرى للإرساليات الأجنبية فى مصر ، فنجده يقول : « إذا حصل التساهل فى أمر مصر ، إنفتح باب المطامع لكل دولة صغيرة أو كبيرة . وان ترك الإنجليز فى مصر ، سيغرى المستعمرين بالتوسع فى بلاد جديدة إسلامية »[٢] .

وحين وجد (محمد عبده) ان تلك الأهداف لا تجد أرضية قادرة على الوقوف عليها والتحرك منها ، أدرك أن تحرير مصر الإسلامية ، من (المبشرين) ونشاطهم التنصيرى ، لن يكون إلا بالإصلاح فى الأمور الدينية والتربوية والتعليمية ؛ فتحول جهاده ضد الإرساليات الأجنبية ، والوجود البريطانى عموماً ، إلى أن يكون مُصلحاً مصرياً إسلامياً . وكان (الأستاذ الإمام) مليئا بكل ما يتطلبه العقل المسلم المستنير فى عصره ، من آيات الثقة وحُجج الإقناع[٣] .

ولقد صاحب الهجمة الإستعمارية الشرسة ، فى عام ١٨٨٢ ، هجمة (تبشيرية) هددت الفكر الإسلامى . فكثرت التجمعات والجمعيات (التبشيرية) ، بشكل ملحوظ فى مصر ، وتزايد نشاطها ضد الإسلام والمسلمين[٤] . وحيث أن الهدف السلمى (التبشيرى) لا يقل خطورة على مصر ، من الهدف الإستعمارى ، فقد أصبح من الضرورى أن يواجه العلماء والمثقفون المصريون ، خطر (المبشرين) بمثل سلاحهم . ولما كان (المبشرون) على علم بإستخدام أدوات الحضارة الأوربية ، فإن علماء الإسلام لم يتقاعسوا عن إستخدام هذه الأدوات ، وأثبتوا أنهم على مستوى العصر فكراً ، وأنهم على مستوى الإسلام إيماناً ، وبذلك إستطاعوا – وعلى قدر جهدهم – أن يتصدوا لعمليات التنصير التخريبية الخطيرة ، التى كانت موجهة ، ضد إيمان مصر الإسلامية .

وكان أول من فطن لهذه الحركة (جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده) ، عندما تصدا الرجلان ، لأول حادثة تنصيرية ، كانت قد قامت بها إرسالية (التبشير) الأمريكية ، حيث نصرّت فتى مصرياً ، وصارت تعرضه للوعظ العام الذى يحضره كثير من المسلمين ، فى كنيستها بحىّ (الأزبكية) ؛ فكبر ذلك على (جمال الدين) فعهد إلى جماعة من (الإيرانيين) ، بخطف الفتى المسلم من الكنيسة ، ووضعه فى مكان خفى ؛ ففعلوا . وذهب هو وتلميذه

(محمد عبده) إلى ذلك المكان ، وإستتابا الفتى ، وأقنعاه بأن الإسلام هو دين الله ، ثم سعيا لتلافى هذا الأمر لدى الحكومة ، فلم يسمع لهما أحد »[٥] .

عبدالله النديم

وكان (عبدالله النديم) قد أنشأ (جمعية إسلامية) ، إبان الثورة العرابية ، لمقاومة التنصير ، إلا أنه لم يكتب لها البقاء[٦] . وكان « عبدالله النديم » — خطيب الثورة العرابية — وإلى جانب نشاطه الصحفى قد أخذ يروج لفكرة إنشاء جمعيات إسلامية فى مصر ، وبدأ هو بإنشاء أول جمعية إسلامية ، فى (الاسكندرية) عام ١٨٧٩ ، وانضم إليها بضعة أفراد من أهل (الاسكندرية) ، وأخذت الصحف تنشر أخبار إجتماعاتهم التمهيدية ومشاوراتهم لتأليف الجمعية . ثم كان إجتماع التأسيس فى ١٨ أبريل ١٨٧٩ ، والذى حضره أحد عشر رجلاً[٧] . منهم (الشيخ محيى الدين النبهان ، والشيخ على ضيف ، والدكتور حسن سرى ، محمد شكرى ، محمد أمين ، الحاج محمد الكيال ، محمود واصف ، حسن المصرى ، عبدالمجيد عمر شويط)[٨] .

وفى هذا الإجتماع تقرر أن يطلق على الجمعية إسم : « الجمعية الخيرية الإسلامية » ، وأن يكون (النديم) نائب رئيسها . وأن يكون من بين أهدافها « التعاون على فتح مدارس إسلامية للبنين والبنات ، لجميع أبناء المصريين المسلمين بالمجان ، للفقراء ، وبمصروفات قليلة للقادرين ، ودعوة المسلمين إلى الاجتماع على هيئة ندوات اسبوعية ليتباحثوا فى العلوم الدينية ، وليتزودوا بما يبعث الغيرة والحمية الإسلامية ، ضد النشاط التنصيرى فى البلاد . وكانت بذلك أول (جمعية إسلامية) تدعو المسلمين إلى التعاون فى الخير من جهة ، وإلى التصدى لجهود (المبشرين) الأجانب ، عن طريق البحث فى أمور الدين

الإسلامى ، والوقوف على الأصول التراثية لحضارة الإسلام ، من جهة أخرى .

وإذا نظرنا إلى أوجه نشاط (الجمعية الخيرية) عرفنا الهدف الحقيقى الذى سعى إليه (النديم) من وراء إنشائها ، رغم ما اتخذته من مظهر خيرى وتعليمى وأدبى وأمام الحكومة . كان له منها هدف قريب وهدف بعيد : أما الهدف البعيد فهو نشر التعليم الإسلامى بين أبناء الأمة ، لينشأ جيل عدته العلم والإيمان والتربية الإسلامية الصالحة ، فينهض بالبلاد . ومن ثم نادى بإنشاء المدارس الإسلامية ، فى مواجهة المدارس (التبشيرية) ، التى كانت الإرساليات الأجنبية تسيطر عليها ، على أن تكون ذات صبغة إسلامية يعنى فيها بالدين الإسلامى ، وباللغة العربية وآدابها والأخلاق والتربية الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى .

وأما الهدف القريب ، فهو دعوته الكبرى ، للتصدى للنشاط التنصيرى الأجنبى فى البلاد ، بتنبيه (الرأى العام) ، وإيقاظ المشاعر الإسلامية الخامدة ، والإتجاه إلى مقاومة نشاط الإرساليات الأجنبية ، بوسيلة إنشاء الجمعيات الإسلامية ، بالقطر المصرى[٩] .

وأعلنت الصحف عن حفل إفتتاح أولى مدارس (الجمعية الخيرية الإسلامية) ، فى ٨ يوليو ١٨٧٩ ، وحضر الحفل كثير من العلماء ، والوجهاء ، وخطب فيهم (النديم) خطبة الافتتاح ، بين فيها « رسالة المدرسة الدينية ، ثم شرح لهم خطته فى تحقيق الهدف الأكبر ، وهو نشر التعليم الإسلامى بين أبناء الأمة المصرية ، ليكون سلاحاً فعالاً ضد المحاولات التنصيرية » . ثم خطب خطابه معلناً أن « هذا الاحتفال سيكون تاريخاً لبعث الأرواح العربية ونشأة الغيرة الشرقية الإسلامية »[١٠] .

وإستقبلت المدرسة تلاميذها من أولاد الفقراء والأغنياء على السواء ، تبث فيهم روح الأخوة والتعاون ، والإسلام ، وبلغ تعداد التلاميذ ٤٨٠ تلميذاً ، منهم ٢٠٣ من أبناء الفقراء والأيتام ، يتعلمون بالمجان ، وعُين (النديم) مديراً لها[١١] . وذاعت شهرة المدرسة فى الأوساط التعليمية ، فقد كانت أول مدرسة إسلامية خاصة فى مصر ، بين مئات مدارس أبناء الطائفة ، ومدارس الإرساليات (التبشيرية) الأوربية[١٢] . وكان (النديم) يؤمن إيماناً راسخاً بأن خير وسيلة لتحقيق هدفيه القريب والبعيد ، هو تكوين الجمعيات الإسلامية ، تنشئ المدارس الإسلامية ، فينتشر التعليم الإسلامى ، وتدعو إلى التضامن للتصدى ، لأعداء الإسلام .

وعندما أعلن (الخديوى توفيق) ، إنحيازه لجنود الإحتلال ، الحامين للإرساليات الأجنبية فى مصر ، راح (عبدالله النديم) ، يجوب البلاد ، يستنهض الهمم لقتال (الكفار) ، ويزكى نار الحماس فى قلوب الشعب ، ليدافع عن دينه وكرامته وشرفه وعرضه . يخطب الناس فى المساجد والطرقات ، وفى الحقول والمجتمعات ، يتلو عليهم القرآن ، وينشدهم الشعر ، ليبث فيهم روح النخوة والحمية . وفى إحدى خطبه يقول : « يا أهل مصر .. إن الإنجليز يقولون مصر هى حصن البلاد العربية ، من فتحها فقد أخذ بلاد المسلمين ، فهبوا للدفاع عن وطنكم ، وتقووا وإحفظوا حصن البلاد الإسلامية ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، لتحفظوا هذا الدين العظيم ، وتدفعوا عدواً يريد أن يدخل بالخيل والرجل فى بلد الله بل يريد أن يدخل الكعبة المشرفة ، عن طريق بلادكم ، وقد إستعان على أغراضه بخديويكم الذى باع الأمة إرضاء للإنجليز ، (وللإرساليات التبشيرية) ، وجعل بلاد الإسلام مقابل حماية له .. »

« يا أهل مصر .. ليس من قعد عن نصر الله كمن جاهد فى سبيل الله .. لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله ، أولئك

هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً والله عنده أجر عظيم... »[١٣] .

وسرت خطابات (عبدالله النديم) بين الناس ، تناقلها المسلمون فيما بينهم ، فى بيوتهم وحقولهم ومساجدهم ومنتدياتهم ، وحققت الغرض الذى كانت تهدف إليه ، وهو التصدى للنشاط التنصيرى ، الأجنبى الذى يعمل فى مصر تحت حماية ورعاية الإنجليز .

ثم إتخذ (النديم) من الصحافة ، ميداناً آخراً لتصديه لأعمال المنصرين فى مصر ، وعن طريق أخيه (عبدالفتاح بن مصباح الإدريسى) ، إستصدر التصريح من الحكومة بإصدار مجلة (الأستاذ) الأسبوعية ، وصدرت فى ٢٣ أغسطس عام ١٨٩٢ . وكانت إمتداداً لمجلة (العروة الوثقى) ، حيث كانت مقالات (الأستاذ) علمية دينية بلغة أدبية رفيعة . ولم يتعرض (النديم) فى أول أعداد (الأستاذ)، للإحتلال ولا للإرساليات التنصيرية الأجنبية ، علناً ، ولم يحاربهم جهاراً ، ولم يدعُ الأمة لتقوم وتحارب الإرساليات والإستعمار صراحة ، ولكنه بدأ أولاً بحرب على المشروعات التى أدخلها الإستعمار ، وأدخلتها الإرساليات التنصيرية ، فإذا تحدث عن النشاط التنصيرى للإرساليات الأجنبية ، مسها من بعيد وإستخدم لها مهارته فى التلاعب بالألفاظ والتوريات والفكاهات ، وكأنه كان يرمى إلى أن تطمئن عين الرقيب إليه ، فيدع (الأستاذ) تسير وتصل إلى القراء وتحتل مكانتها وتكوّن لها جمهوراً وشعبية . وبعد ذلك ينفذ خطته فى المقاومة للإرساليات الأجنبية وللإحتلال البريطانى[١٤] .

كانت خطة (النديم) — فى مقاومته للإرساليات والاحتلال — ترمى إلى أن يبدأ بالمفاسد التى عمت المجتمع فى أعقاب الاحتلال وحمايته للإرساليات ، وكان مما فوجئ به موجة من الانحلال والفساد الخلقى فى البلاد ، والاستهتار

بالدين ، واتهم (النديم) الإرساليات الأجنبية بتشجيعهم هذه الأمور حتى يسقط الشرق الإسلامى ، وتنحل الأخلاق . وهكذا كان (عبدالله النديم) ، واحداً من المثقفين المصريين الذين تصدوا للنشاط التنصيرى فى مصر .

جمال الدين الأفغانى

كانت جهود (الأفغانى ١٨٣٨ - ١٨٩٧) ، قد إنصرفت لنشر الوعىّ الإسلامى ، ضد الإرساليات التنصيرية ، ومن أجل ذلك ، ربط بين العلم والإيمان بالإسلام ، فأنشأ مدرسة فكرية لمناهضة التنصير ، كان من بين مريدها الأزهرى الباحث عن حضارة الغرب ، والأفندى الباحث عن إيمان بالإسلام ، فى مواجهة المدّ التنصيرى فى مصر .

وكانت مصر بالنسبة لجمال الدين الأفغانى ، أنسب البلاد لتحقيق هدفه ، وهو - « أن يرى فى العالم الإسلامى دولة إسلامية قادرة على الإرتفاع إلى المستوى الأوربى الحديث »(٥)- نتيجة التطورات التى مرت بها ، والنهضة الحديثة الواسعة التى لم تتمتع بمثلها دولة إسلامية أخرى . وكان (الأفغانى) مُعجباً بمصر ، وكان يتوق إلى أن يرى فيها تلك الدولة القادرة على التصدى لنشاط الإرساليات الأجنبية التنصيرية . من هنا كان هدفه من إنشاء مدرسته فى مصر ، ضمن محاولاته لتربية تلاميذه ومريديه ، لإعداد كوادر واعية للعمل ضد الوجود التنصيرى ، الذى كان قد أخذ يستشرى فى مصر - بصفة خاصة - والبلاد العربية والإسلامية الأخرى ، بصفة عامة .

وأخذ (الأفغانى) يدرب تلاميذه على كتابة المقالات فى الصحف ، والخطابة فى المحافل العامة والإرشاد إلى أصول العقيدة الإسلامية السليمة ؛ فأيقظ مصر وأثارها بتعاليمه ، فلم يكن يمل الحديث ساعات طويلة ، مخاطباً الطبقة الراغبة فى التعليم من الطلاب والعلماء والموظفين(١٦) .

وأخذ يغذى تلاميذه بعشق الإصلاح الدينى ، وإرشاد المسلمين إلى طرق تهذيب الأخلاق ، وإلى الإيمان السليم . ولكن فى عام ١٨٧٩ ، أصدر مجلس النظار المصرى ، بتوجيه من الخديوى (محمد توفيق) ، قراراً بطرد (الأفغانى) من مصر ، بدعوى أنه كان « رئيساً لجماعة سرّية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا »[٢٧] . وهكذا خرج الأفغانى من مصر ، بعد أن نفخ فيها روح الغيرة الإسلامية ، ونشّط الهمم الإسلامية .

وكان (الأفغانى) ، وهو يغادر مصر ، قد قال لمودعيه فى (السويس) : « لقد تركت لكم الشيخ محمد عبده ، وكفى به لمصر عالماً » . وقد أثمرت جهود (الأفغانى) ، فكان تلميذه النجيب (محمد عبده) أول العلماء الذين تصدوا للنشاط التنصيرى فى مصر .

الشيخ محمد عبده

كان زميلاً للأفغانى فى مصر ، وأخذ عنه وآخرين ، مثل عبدالله النديم ، والشيخ عبدالكريم سليمان وكثيرون غيرهم ، أصالة فكره ، ونُبل مقصده . وكان (محمد عبده) عالماً فذاً ، ذاع صيته فى أروقة الأزهر الشريف ، حيث جمع بين حكمة الشرق وتصوفه . وأخذ يبث تعاليمه الدينية ، للعمل على إحياء النفوس ونهضتها . فعمل على تفسير القرآن الكريم ، بروح بلاغية وعلمية ، فإتبع المنطق . ومن أحسن مؤلفاته كتاب (الإسلام والنصرانية) ، والذى كرس جهوده فيه للدفاع عن الإسلام ، أمام مزاعم رجال ومفكرى الإرساليات التنصيرية ، من أمثال (رينان) و (هانوتو) وغيرهما ممن أخذوا يهاجمون الدين الإسلامى ، تمهيداً لنجاح العمل التنصيرى للإرساليات الأجنبية .

وفى عام ١٨٨٤ أصدر الأستاذ الأفغانى ومحمد عبده من (سويسرا)

صحيفة (العروة الوثقى) ، وقد كانت لها آثارها التى أزعجت الإنجليز فى مصر ، فراحت سلطات الاحتلال تصادرها وتتعقبها ، وقد صدر منها ثمانية عشر عدداً فقط[١٨] . كانت كلها تحوى تحذيرات صريحة ، ضد النشاط التنصيرى فى مصر والبلاد الإسلامية .

وعندما عاد (الشيخ محمد عبده) إلى مصر ، أخذ يُعد العدة لمواصلة تصديه لعمل الإرساليات الأجنبية فى مصر . وكان أول من فكر فى خطر المدارس الإرسالية الأجنبية فى مصر ، فاقترح على مجلس المعارف الأعلى – الذى تألف فى مصر عام ١٨٨١ – أن يقرر جعل مدارس الإرساليات الأجنبية فى مصر ، تحت مراقبة الحكومة وتفتيشها . غير أن هذا العمل الذى سعى إليه (الشيخ) قد توقف بعد الإحتلال ، عندما فقدت الحكومة المصرية كل سلطان لها على التعليم وغير التعليم[١٩] .

وفى نفس الوقت – كان (الشيخ على يوسف) قد أصدر ، صحيفة (المؤيد) فى عام ١٨٨٩ ، حيث أخذت تدافع عن الإسلام ، والأمم الإسلامية ، ضد الهجمة التنصيرية الشرسة ، التى جاءت إلى مصر فى أعقاب الاحتلال البريطانى ، وكان (كُتاب) المؤيد ممن يحافظون على الإلتزام بالتراث الإسلامى . وقد استمرت (المؤيد) تواصل رسالتها فى التصدى للنشاط التنصيرى حتى عام ١٩١٣ ، وتدافع عن الإسلام[٢٠] . فأفزعت رجال الإرساليات الأجنبية ، وسلطات الإحتلال .

وفى عام ١٨٩٣ دعا (الشيخ محمد عبده) إلى تأسيس (الجمعية الخيرية الإسلامية) ، والتى ضمت رجالاً من عِليّة القوم . وكان هدفها إعانة العجزة من المسلمين بالمال[٢١] . هؤلاء الذين كانوا مُعرَضين لعمل الإرساليات التنصيرية . ثم أنشأ مدارس لتعليم أبناء المسلمين ، من الفقراء ، والذين كانوا تربة صالحة لمغريات المُنصرين . وبذلك كوَّن الشيخ محمد عبده (مدرسة

إصلاحية) ، كان هدفها التصدى للنشاط التنصيرى فى البلاد .

وأخذت (مدرسة الشيخ) وتلاميذها ، تواصل رسالتها فى التصدى لنشاط الإرساليات الأجنبية ، إلى أن أدركت السلطات البريطانية ، أن وجود (الشيخ محمد عبده) بالقاهرة ، يُمثل خطراً يهدد عمل الإرساليات الأجنبية ، فأرادت أن تبعده عن مجال العمل المؤثر دينياً وإجتماعياً ، والذى كان يتعارض مع أهدافها ، فعينته قاضياً فى محكمة (بنها) فى عام ١٨٨٩[٢٢] . ثم نقل إلى (الزقازيق) . ثم بعد أن هدأت الأمور فى (القاهرة) ، تم ندبه إلى محكمة (عابدين) ، وظل بها إلى أن رُقّى إلى وظيفة مستشار فى محكمة الإستئناف فى عام ١٨٩١ . وفى عام ١٨٩٥ أُختير عضواً بمجلس إدارة الأزهر . وظل كذلك إلى أن عُين فى عام ١٨٩٩ مُفتياً للديار المصرية[٢٣] . وطوال هذه السنوات ، ورغم تنقله من وظيفة إلى أخرى ، ومن أقليم إلى آخر ، ظل (الشيخ محمد عبده) يواصل رسالته ، وتصديه للنشاط التنصيرى فى مصر .

نشاط تلاميذ (مدرسة محمد عبده) فى مقاومة التنصير

وبدأ تلاميذ (الشيخ محمد عبده) يتصدون لعمل الإرساليات الأجنبية فى مصر . ففى عام ١٨٩٩ ، إتفق الشيخ (عبدالوهاب النجار) ، الذى كان يعمل مدرساً ، مع الشيخ (محمد زكى السندى) ، على إنشاء (جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية) ، بقصد مقاومة التنصير ، إذ إنتشر فى تلك الفترة كثير من أعوان المُنصرين ، من القسس ، أخذوا يزاولون التنصير تحت حماية (اللورد كرومر) ، باسم (الوعظ المسيحى) . وكانوا ينطلقون من مقرهم فى (باب الخلق) حيث كانت الإرسالية الإنجليزية ، قد جعلت من هذه المنطقة ، وكراً للنشاط التنصيرى ، فأنشأت كنيسة ومدرسة ، ظاهرها التعليم وباطنها (التبشير)[٢٤] . وكان (الشيخان) النجار والسندى ، يهدفان ، بمكارم الأخلاق ، حماية المسلمين من نشاط المُنصرين ، وجذبهم ليستمعوا إلى

الوعظ . وكان (الشيخ النجار) ، له نشاط بارز فى التصدى لنشاط المُنصرين ، فكان يذهب إلى هؤلاء (المبشرين) فى مقرهم ، ويحاجهم ، ويفحمهم ، مما أغضب عليه (وزارة المعارف) ، بإيعاذ من مستشارها ، صنيعة (كرومر) . وقد قرروا نقل (الشيخ عبدالوهاب النجار) من (القاهرة) إلى (أسوان)[٢٥] ، حيث يقوم بالتدريس هناك بإحدى مدارسها . فى محاولة لإتقاء نشاطه ضد الإرساليات الأجنبية فى القاهرة .

ولكن (الشيخ النجار) رفض تنفيذ قرار النقل (الإبعاد) ، وآثر الإستقالة من وظيفته ، وتفرغ لمقاومة التنصير ونشاط الإرساليات الهدام ضد الإسلام ، من خلال جمعيته (مكارم الأخلاق) ، التى ظلت تؤدى رسالتها - حتى بعد وفاته - إلى اليوم !!

وكان (السيد محمد رشيد رضا) ، أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده ، قد أصدر مجلة (المنار) فى عام ١٨٩٨ ، وكانت دورية على درجة عالية من الإيمان ، تحوى كل ما يهم المسلمين من المعرفة ، عن ماضى أسلافهم ، ومزايا دينهم . وقد تولت (المنار) الدفاع عن الإسلام ، والردّ على كل اعتداء عليه ، من جانب المُنصرين الأجانب[٢٦] . وقد بلغ من مساعدة سلطات الاحتلال ، لدعاية المُنصرين لسيطرتها على الحكومة المصرية ، أن أمر (اللورد كتشنر) ، بتعطيل (مجلة المنار) لأنها ترد على (المبشرين) . وقد طلب المختصون من الشيخ (رشيد رضا) أن يتوقف عن الردّ على (المبشرين) ، فأجاب :

« إنى لن أدع الردّ على (المبشرين) ماداموا يطعنون فى الإسلام ، ويدعون المسلمين إلى دينهم ، لأن الردّ عليهم ، وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية ، حيث لا أرى فى البلاد مجلة ولا جريدة تقوم بها ؛ فإن تركتها كنت آثماً لجميع القادرين عليها »[٢٧] . وهكذا كانت (المنار) مدرسة دينية ، راحت تتصدى لنشاط الإرساليات التنصيرية . وقد ظلت تصدر حتى عام

١٩٣٦ ، تحت قيادة (رشيد رضا) الذى سيقوم بدور هام وإيجابى للغاية فى هذا المجال ، فيما بعد !!

الصحافة الإسلامية والجمعيات الدينية

وفى عام ١٩٠٠ أنشأ (الشيخ منصور الشريف) فى (حلوان) - إحدى ضواحى القاهرة - جمعية (التعاون الإسلامى) ، لمحاربة نشاط الإرساليات التنصيرية فى منطقة (حلوان) ، ضمن كثير من الشخصيات الدينية حينذاك[٢٨] . وفى نفس الوقت تقريباً ، تزامن ظهور صحيفة (اللواء) ، التى أصدرها (الحزب الوطنى) ، حيث كانت تمثل سياسة الحزب ، وتصور الجانب الإسلامى ، الذى ينبغى أن تبنى عليه السياسة المصرية بخاصة ، والسياسة العربية بعامة . وقد أذكى روح الإسلامية فى (اللواء) كل من (مصطفى كامل) و (عبدالعزيز جاويش) وغيرهما من الغيورين على الإسلام . وقد تصدت (اللواء) لنشاط المُنصرين فى مصر .

والحقيقة أن القيام بعملية حصر للجمعيات الإسلامية ، والصحف والدوريات ، التى قامت بالتصدى لنشاط الإرساليات الأجنبية التنصيرية فى مصر ، خلال الفترة من ١٨٨٢ وحتى ١٩١٩ ، عملية شاقة جداً على الباحث ، وتحتاج إلى فريق من الباحثين . ومع ذلك فقد أمكن حصر كل ما صدر - تقريباً - لأن الفترة من عام ١٩٠٠ وحتى عام ١٩١٩ لا نكاد نجد للصحافة الدينية أثراً ، ولكن كل ما ظهر منها كان محدوداً وقليلاً مثل (مجلة العالم الإسلامى) ، التى أصدرها (مصطفى كامل) فى عام ١٩٠٥ ، ومجلة (الجمعية الشرعية) لصاحبها الشيخ (محمود خطاب السُبكى) ، والتى صدرت فى عام ١٩١٣ ، علاوة على (المنار)[٢٩] . وعدد آخر من الدوريات ، صدرت ، ولم يكن لها أثر إيجابى فى التصدى للنشاط التنصيرى ، وان كانت - فى ذات الوقت - تحمل الطابع الإسلامى .

ففى عام ١٩٠٦ أصدر رجل يدعى (حسين برادة) مجلة أطلق عليها (الحرمين)[٣٠] . كما أصدر (السيد محمد طلعت) - فى ذات العام - مجلة (نشيد الإسلام) . وصدر منها عدد واحد فقط . وأصدر (السيد أمين يوسف الدمياطى) صحيفة (نور الإسلام) فى مدينة (الزقازيق)[٣١] . وفى عام ١٩١٤ أصدر (على عبدالرحمن الحسينى) صحيفة (السعادة الأبدية) . وفى عام ١٩١٦ ، أصدر (الشيخ عبدالعزيز جاويش) صحيفة (العالم الإسلامى) ، وأخيراً أصدر (السيد عبدالعزيز جاب الله) ، صحيفة (الحكمة) فى عام ١٩١٨[٣٢] .

ولم يكن متميزاً من بين كل هذه الصحف والدوريات ، سوى (المنار) فقد سجل صاحبها (رشيد رضا) ، سبقاً فريداً فى التصدى للنشاط التنصيرى فى مصر والبلاد العربية . فقد كتب فى عام ١٩١٥ يقول : « ان (للمبشرين) فى مصر عدة مدارس ومستشفيات وصحف ، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم ، وهم ينشرون فى كل عام عدة كتب ورسائل فى الطعن فى القرآن والنبى (ﷺ) ، وتنفير المسلمين من الإسلام ، فضلاً عن النشرات والأوراق الصغيرة ، التى ينشرونها فى المستشفيات ، والخطب التى يلقونها فى سائر معاهد (التبشير) »[٣٣] . وهكذا كانت (المنار) وصاحبها (رشيد رضا) ، منبراً إسلامياً ، لفضح النشاط التنصيرى فى مصر ، خلال تلك الفترة التاريخية الخطيرة .

أما بعد عام ١٩١٩ ، وبعد أن أخذ الوعى الإسلامى فى الانتشار ، وأخذت موجات (المبشرين) ، وتحركاتهم تطغى سافرة ، تارة تحت سيطرة المستعمر الأجنبى ، وتارة أخرى ، تحت ستار (الخدمات الإنسانية) من مشاف ومدارس .. عند ذلك ، وفى الفترة ما بين سنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٣٩ ، إنتشرت فى مصر الجمعيات الدينية الإسلامية ، إنتشاراً كبيراً ، فى مواجهة هذا

الغزو التنصيرى الخطير ، وأصبح لبعضها شخصية عالمية . كجمعية (الشبان المسلمين) ، إذ أنشأت فروعاً فى كثير من الأقطار الإسلامية . وقد لفتت هذه الجمعية نظر المُنصرين الأجانب ، فكتبوا عنها كثيراً . ومن الذين أسهبوا فى الكتابة عنها وعن نشاطها ضد الوجود التنصيرى فى البلاد ، المُنصر الألمانى (.ح. كامبغماير)(٣٤) .

وعلى كل حال .. فقد صدر الإحصاء السنوى ، الذى تصدره وزارة الشئون الاجتماعية المصرية ، فى عام ١٩٥٦ ، ذاكراً ، أن عدد الجمعيات الإسلامية ، فى مدينة (القاهرة) وحدها ، قد بلغ ١٢٠٠ جميعة(٣٥) ., ولكل من هذه الجمعيات نشاطها الدينى الإسلامى .

هذه صورة لموقف العلماء والمثقفين المصريين ، من النشاط التنصيرى فى عهد الاحتلال البريطانى .

هوامش الفصل السادس

(١) أنيس صايغ - الفكرة العربية فى مصر . مطبعة هيكل الغريب ، القاهرة ، ١٩٧٠ . ص/٣١ .

(٢) محمد رشيد رضا - تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده ، جا ، مطبعة المنار ، القاهرة ، ١٩٣٩ . ص/٣٥٩ .

(٣) عباس محمود العقاد - محمد عبده - أعلام العرب ، (١) ، مكتبة مصر بالفجالة ، القاهرة ، ١٩٦٢ ص/٢٥٧ .

(٤) نصر الدين عبدالحميد نصر - مصر وحركة الجامعة الإسلامية (١٨٨٢ - ١٩١٤) ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ . ص/٣٩ .

(٥) مجلة المنار ، الجزء الثالث ، لعام ١٩٣٣ . ص/٢٣١ .

(٦) عمر الدسوقى - الأدب الحديث جا . ص/٢٧٠ .

(٧) على الحديدى (دكتور) - عبدالله النديم خطيب الوطنية ، أعلام العرب (٩) ، قاهرة ، ١٩٦٢ .

(٨) صحيفة التجارة ، ١٩ أبريل عام ١٨٧٩ .

(٩) صحيفة التجارة ، ١٩ أبريل عام ١٨٧٩ .

(١٠) صحيفة مصر ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٧ يونية ١٨٧٩ .

(١١) على الحديدى (دكتور) - المرجع السابق . ص/٨٨ - ٨٩ .

(١٢) المرجع السابق . ص ٩٠١ .

(١٣) جريدة اللطائف ، ٢١ يوليو عام ١٨٨٢ .

(١٤) الأستاذ ، مجلة أسبوعية ، ص/١٦ - ٢١ ، الأستاذ . ص/١١ - ١٥ نقلاً عن : على الحديدى (دكتور) - المصدر السابق . ص/٣٣٠ - ٣٣٤ .

(١٥) لو ثروب - حاضر العالم الإسلامى . جا . ص/٢٠٠ .

وأنظر كذلك : محمد عمارة (دكتور) - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى .
وأنظر : مذكرات لطفى السيد . مجلة المصور فى عام ١٩٥٠ حيث يقول : « ان جمال الدين

الأفغانى كان يريد دولة إسلامية تضارع إنجلترا فى الغرب » .

(١٦) شحاتة عيسى إبراهيم – عظماء الوطنية فى مصر فى العصر الحديث . ص/١٤٧ – ١٤٨ .

(١٧) محمد عمارة (دكتور) – الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى . ص/١٠

(١٨) سعد الدين محمد الجيزاوى – أصداء الدين . ص/١٧٣

(١٩) أنور الجندى – المرجع السابق . ص/٢٩ .

(٢٠) سعد الدين محمد الجيزاوى – أصداء الدين . ص/٢٠٢ .

(٢١) الشيخ محمد عبده – الإسلام والتجديد . ص/٧٩ .

(٢٢) عثمان أمين – رواد الوعى الإنسانى فى الشرق الإسلامى . ص/٥٧ .

(٢٣) عثمان أمين – رائد الفكر المصرى (الإمام محمد عبده) . ص/٥٥ .

(٢٤) سعد الدين الجيزاوى (دكتور) – العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث (١٩١٩ – ١٩٥٢) ، ص/٢٠٩ .

(٢٥) مقابلة مع أحد أعضاء جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية ، فى مدينة (دمنهور) ، وأنظر كذلك : سعد الدين الجيزاوى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٢٠٩ .

(٢٦) سعد الدين الجيزاوى (دكتور) – أصداء الدين . ص/٢٠٣ .

(٢٧) أنور الجندى – الإسلام فى وجه التغريب . ص/٢٩ .

(٢٨) سعد الدين الجيزاوى (دكتور) – العامل الدينى فى الشعر المصرى . ص/٢٠٩ .

(٢٩) المرجع السابق . ص/٢٢١ .

(٣٠) المرجع السابق . ص/٢٢٢ .

(٣١) المرجع السابق . ص/٢٢٢ .

(٣٢) المرجع السابق . ص/٢٢٢ .

(٣٣) أنور الجندى – المرجع السابق . ص/٢٩ .

(٣٤) جب ، وآخرين – وجه الإسلام الحديث ، المطبعة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٤ ولقد أفرد الألمانى (كامبغماير) ، الفصل الثالث ، من الكتاب المذكور ، للحديث عن جمعية الشبان المسلمين ونشاطها ضد (العمل المرسلى) فى مصر .

(٣٥) سعد الدين الجيزاوى (دكتور) – العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث . ص/٢٢٢ .

الفصل السابع

الحركة المسكونية وتطور فاعلية النشاط التنصيرى

- نشأة الحركة المسكونية .
- مؤتمر نيويورك التنصيرى (٢١ أبريل - أول مايو ١٩٠٠) .
- مؤتمر القاهرة التنصيرى ١٩٠٦ .
- أهمية الأزهر كحاجز خطير ضد النشاط التنصيرى .
- مؤتمر أدنبره للإرساليات العالمى ١٩١٠ .

مع مطلع القرن العشرين ، بدأت فى الظهور تطورات هامة وخطيرة ، بشأن العلاقات بين الغرب المسيحى وبين الشرق الإسلامى ، خاصة بعد أن توحدت جميع الهيئات والمنظمات والكنائس المسيحية الغربية ، التى تقوم بالنشاط التنصيرى فى كافة أنحاء العالم ، فى محاولة للقضاء على الإسلام فى الشرق ، وإحلال النصرانية محله .

وإذا كان البعض يعتبر البداية الحقيقية لتوحيد جهود « المبشرين » ، كانت فى عام ١٩١٠ ، عندما عقد أول مؤتمر دولى (مسكونى) لإرساليات التنصير من كافة أنحاء العالم ، فى ١٨ يونية ١٩١٠ ، هذا المؤتمر الذى يعتبره جميع الباحثين ، والمؤرخين ، بداية ما يسمونه ، بالحركة المسكونية !!؛ فإننا نرى البداية الحقيقية لهذا (التوحيد) كانت قبل ذلك بكثير ، عندما إنعقد (مؤتمر نيويورك) فى الفترة من ٢١ أبريل وحتى أول مايو ١٩٠٠ ، ومع أنه كان مؤتمر إقليمى ، إلا أنه لا يقل فى خطورته عن المؤتمر المسكونى الأول عام ١٩١٠ .

فماذا حدث فى مؤتمر نيويورك التنصيرى خلال الفترة من ٢١ أبريل - أول مايو ١٩٠٠ ؟

لما كانت الولايات المتحدة هى المحرك الرئيسى للنشاط التنصيرى فى هذه الحقبة ، فإنه عقد فى نيويورك خلال المدة (٢١ أبريل - أول مايو ١٩٠٠) ، أول مؤتمر عالمى للإرساليات التنصيرية ، والذى نقرأ فى أعماله الإحساس بخطورة المرحلة القادمة ، « وبضرورة العمل العاجل - من جانب إرساليات التنصير - للإحتفاظ بمواقع النفوذ التنصيرية الحالية فى الشرق ، وبإكتساب المزيد منها ، من أجل تطوير فاعلية النشاط التنصيرى فى الشرق الإسلامى » .

والغريب فى الأمر ، أن الذى ترأس الجلسة الإفتتاحية لهذا المؤتمر ، (بنيامين هاريسون) ، الرئيس السابق للولايات المتحدة - (خلال الفترة ١٨٨٨ - ١٨٩١) - الذى ألقى كلمة قال فيها : « ان العالم لا يعرف حالياً إلا الحروب التى تهدف لمجرد السيطرة السياسية . ان موقع كل بلد تتحدد أهميته قبل كل شئ على أساس قيمته التجارية . والمستعمرات تمثل محلات للبيع فى أركان السوق العالمى . ولم يكن تأثير القوة التجارية على سلطات الحكم فى مختلف البلدان بمثل هذه القوة التى تشهدها الآن . إن معركة الأسواق على أشدها والمطلب الأول للدول هو : المستهلكون »(١) .

وفى كلمة ألقاها أحد أعضاء المؤتمر يوم ٢٥ أبريل ، أوضح المتحدث علاقة الإرساليات التنصيرية بحركة التجارة ، وفسر - فى نفس الوقت - كلمة السيد الرئيس العام للمؤتمر - فقال : « ان كل (مبشر) حتى لأكثر الشعوب بدائية يهتم بالتجارة . وكل تاجر هو جمعية (تبشيرية) مركزه ، أن (المبشر) يقدم للتجارة الفرصة والتوجيه ، انه يمنحها ميادين جديدة ، ويساعدها بالمبادئ والخبرة التى بهما تستطيع أن تكون مفيدة ومستمرة .. ففى أعقاب (المرسلين) جاء التجار والمستعمرون »(٢) .

وهكذا تم توظيف المسيحية الغربية ، كدين - ومن جانب الكنيسة الأمريكية - فى خدمة الأغراض الإمبريالية والاقتصادية . ولعل الشعار الذى تبنته الهيئات والمنظمات التى تعمل فى مجال التنصير ، إلى جانب الكنيسة الأمريكية ، فى الولايات المتحدة خلال السنوات الأولى من القرن العشرين ، ونقلته إلى أوربا المسيحية لتندفع وراءه جموع الكنائس والمنظمات التنصيرية فى بريطانيا - على وجه الخصوص - كان هو : « ضرورة (تبشير) العالم كله فى هذا الجيل » . من هنا - وفى هذا المناخ نشأت الحركة المسكونية ، والتى قام مخططها الأساسى ، على محورين : السرعة والتنسيق . وبذلك نمت الرغبة القوية

لدى الغرب المسيحى ، فى الإسراع بمواجهة اليقظة الإسلامية ، التى كانت تُعبِّق أجواء البلاد العربية الإسلامية ، فى ذلك الوقت .

وكان القس المُنصر الأمريكى (جون رالى موط)[٣] ، هو الذى نحت هذا الشعار ونشره فى كتاب أعطى له عنوان شعاره المسموم ، (تبشير العالم فى هذا الجيل) ؛ بنيويورك فى عام ١٩٠٠ . وقد طاف هذا المُنصر الأمريكى الخطير ، مختلف قارات العالم ، وحضر إلى مصر يدعو لشعاره .

وإذا كان البعض يدعى ، « بأن الحركة المسكونية بدأت تحقيقاً لرغبة بعض الكنائس ، وهى تكافح لمواجهة مشاكلها الخاصة »[٤] .، فإن الثابت تاريخياً ، ان الحركة المسكونية ، التى بدأت بالمؤتمر الذى عقد فى أدنبره عام ١٩١٠ ؛ بدأت لدفع الحركة التنصيرية الغربية لمزيد من الفاعلية فى نشاطها التنصيرى ، ضد المسلمين والإسلام ، والدعوة لتوحيد كافة جهود الكنائس الغربية ، والهيئات والمنظمات التنصيرية ، « لتنصير العالم كله فى هذا الجيل » ؛ وكانت هذه الحركة متزامنة مع الأحداث الداخلية فى البلاد العربية الإسلامية ؛ والتى نشط الغرب المسيحى داخلها ؛ تلك الأحداث التى كانت تتمثل فى محاولة الشعوب الإسلامية النهوض والتقدم واستخدام مواردها ، ونشر التصنيع داخلها .

ويؤكد (الدكتور وليم سليمان) ؛ « بأن هذه المواجهة الجماعية من جانب الغرب ، ليقظة الشرق لم تكن فقط فى ميدان الإرساليات ، بل ان هذه الصفة الجماعية تبدت فى ميدان الاستعمار نفسه »[٥] . وبالفعل وجدنا مثل هذا التنسيق بين الدول الامبريالية ، فى (الاتفاق الودى) الذى عقد بين انجلترا وفرنسا فى عام ١٩٠٤ ، والذى بموجبه أطلقت يد إنجلترا فى مصر ويد فرنسا فى مراكش . كما عقد إتفاق مماثل بين فرنسا وإيطاليا بشأن تونس وليبيا .

ومن خلال هذا التكتل بين منظمات الإرساليات التنصيرية الغربية ، الذى نشأ خلال الأحداث الدولية ، مع بداية القرن الحالى ، كانت فكرة (الوحدة التنصيرية) هدف تحول إلى حقيقة واقعة . وتتابعت المنظمات التنصيرية التى تحاول أن تخدم هذه الوحدة التنصيرية الخطيرة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين فى كافة أنحاء المعمورة .

مؤتمر القاهرة التنصيرى ١٩٠٦

وكانت بداية التحرك ، لهذه المواجهة الجماعية التنصيرية ، فى مصر عام ١٩٠٦ ، عندما تضافرت جهود المُنصرين والكنائس الغربية ، لإختبار هذه الوحدة التنصيرية الغربية ، وبطريقة عملية . وكان إنعقاد هذا المؤتمر التنصيرى فى القاهرة ، وفى دار الزعيم المسلم (أحمد عرابى) ، لدليل قاطع على أن المجال كان فسيحاً أمام عمل الإرساليات التنصيرية الأمريكية وغيرها من الإرساليات الأجنبية الأخرى ، التى تمتعت بنظام الامتيازات الأجنبية ، علاوة على مساعدة سلطات الاحتلال البريطانى لدعاية المُنصرين المتحدين ، لسيطرتها على القرار المصرى ومتخذيه ، فى ذلك الوقت . والتى لولاها لما أمكن لإتحاد المُنصرين الغربيين ، أن يمارس أى نشاط تنصيرى فى مصر ، وبمثل هذه الحرية وذلك الانتشار .

على أية حال ، تعود فكرة هذا المؤتمر التنصيرى إلى المُنصر الأمريكى (زويمر) ، الذى كان يعمل فى إرساليات الخليج العربى الأمريكية ، والذى أصبح فيما بعد رئيس الإرسالية التنصيرية فى البحرين ، — فهو أول من إبتكر فكرة عقد مؤتمر عام بالقاهرة ، لجميع إرساليات التنصير العالمية ، للتفكير فى بحث (مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين) . وقد أذاع إقتراحه فى بداية عام ١٩٠٦ ، وأوضح الكيفية التى يكون بها ، فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث فى (ميسور) من ولاية (أكرا) فى الهند[٦] . وقد عُرض الإقتراح

المقدم من (زويمر) ، على المؤتمر التنصيرى ؛ الذى ينعقد فى مدينة (مدراس) الهندية كل عشر سنوات ؛ فأجاز عقده .

ولما تقرر عقد المؤتمر ، أخذ (زويمر) وزميل له ، يُعدان العُدة لتشكيل لجنة مؤقتة ، لوضع برنامج المؤتمر ، وتوجيه الدعوة لكل المُنصرين المنتشرين ، فى كافة أنحاء البلاد الإسلامية ، للمشاركة بإقتراحاتهم ، لإظهار كافة الطرق والوسائل ، والتفنن فيها ، لجذب عدد كبير من المسلمين ، والتلاحم معهم .

وقد نجح القس (زويمر) فى إخراج فكرة المؤتمر إلى حيز التنفيذ ، فى الفترة بين ٤ – ٩ أبريل عام ١٩٠٦[٧] . وإفتتح المؤتمر فى ٤ أبريل ، بمنزل (أحمد عرابى باشا) ، فى باب اللوق ، وبلغ عدد مندوبى الإرساليات التنصيرية ، الذين حضروا ، ٦٢ بين رجال ونساء ، بينما كان عدد مندوبى إرساليات التنصير الأمريكية التى فى (الهند وسوريا ومصر وفارس والولايات العثمانية) ، واحداً وعشرين مندوباً[٨] . وكان عدد ممثلى الإرساليات الإنجليزية خمسة أعضاء ، كما شارك كذلك ، فى المؤتمر ، ممثلون عن الإرساليات الألمانية ، والسويدية والاسكتلندية ، والهولندية ، والدنماركية ، الموجودة – آنذاك – بالجزيرة العربية .

وكانت جلسات المؤتمر سريّة ، فقد حمل أعضاؤه تصاريح خاصة بالدخول ، مع تذاكر الدعوة . وفى الجلسة الافتتاحية ، إنتخب (زويمر) رئيساً عاماً للمؤتمر ، وعين معه نائب للرئيس ، وعدد من المسجلين والكتبة ، من ذوى السمعة الطيبة بين أوساط المُنصرين ، حفاظاً على سريّة ما يدار بداخل المؤتمر . وخلال خمسة أيام تناول المؤتمرون ، عدة موضوعات هامة للغاية – من وجهة نظر (المبشرين) – وإنما كانت فى غاية الخطورة على المسلمين والإسلام . فقد ناقش المؤتمر التنصير ووسائله المختلفة بين أوساط المسلمين ، وكيفية تجنب الأخطاء المتباينة ، التى نتجت عن الممارسات

السابقة . ووضع المؤتمرون برنامجاً جديداً لجذب أعداد غفيرة من المسلمين إلى حظيرة المسيحية ، والتلاحم معهم . كما ناقش أعضاء المؤتمر ، « النشرات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين ، والمسلمين العوام ، ووسائل إسعاف المتحولين إلى المسيحية من المسلمين ،... »(٩)

وتبودلت – فى هذا المؤتمر – المعلومات المختلفة عن مناطق كثيرة فى العالم الإسلامى ، فتحدثت المُنصرة الأمريكية (الدكتورة أنا وطسون) عن تجربة الإرسالية التنصيرية الطبية الأمريكية ، فى مدينة (طنطا) ، وكيف أنها تعاملت مع المسلمين فى (طنطا) ، والقرى القريبة منها ، وعن خطة النشاط التنصيرى فى مستشفى طنطا ، التابع للإرسالية الأمريكية . وقالت : « إنهم – أى (المبشرين) – يذكرون بعض تعاليم الإنجيل بأساليب ليس فيها تطرف ، ولا تقود إلى نقاش ساخن » . كما أفادت « أنهم – أى (المبشرون) – يقومون بزيارات ميدانية ، لبعض القرى فى المنطقة ، فى شكل رحلات علاجية ، ويجدون فى هذه القرى الحفاوة والترحاب من جانب المسلمين »(١٠) .

وتقول (أنا وطسون) كذلك : « ويتردد على مستشفى الإرسالية بمدينة (طنطا) حوالى ٣٠٪ من مسلمى المنطقة ، وأغلبهم من الفلاحين الذين جاءوا من القرى القريبة ، والمجاورة لطنطا . وكانت خطوة إيجابية ، للغاية ، يوم أن خرجت نساء الفلاحين ، ودخلن المستشفى للعلاج ، كما دخلها الرجال أيضاً .. فقد كان الإنجيل يُعرض على المرضى المسلمين والمسلمات ، بأسلوب بسيط للغاية ، لا يدعو إلى المجادلة فى المناقشة ، وكنا دائماً نتابع مرضانا من المسلمات والمسلمين فى قراهم ، من آن لآخر ، لنشعرهم بأهميتنا »(١١) .

وقام المُنصر (هاربر) ، وعلق على حديث (أنا وطسون) قائلاً : « يجب الإكثار من الإرساليات الطبية ، لأن رجالها ونسائها يلتحمون دائماً

بالجمهور ، ويكون لهم تأثير مباشر على المسلمين والمسلمات ، أكثر من تأثير (المبشرين) الآخرين » .

كما تحدث عدد كبير من المُنصرين الأمريكيين ، وغيرهم ، فى هذا المؤتمر ، عن الأوضاع فى مصر تحت النفوذ التنصيرى . فقال سكرتير المؤتمر : « ان الخطة العدائية التى إنتهجها الشبان المسلمون المتعلمون ، إضطرت (المبشرين) فى القطر المصرى إلى محاولة إعادة ثقة هؤلاء الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء (المبشرون) يلقون محاضرات فى موضوعات إجتماعية وخلقية وتاريخية ، لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين ، رغبة فى جلب قلوب المسلمين المصريين إليهم »[١٢] . وختم حديثه قائلاً : « ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى إختيار مصر مركز عمل لنا ، لنسرع بإنشاء المعهد المسيحى (التبشيرى) ، لتنصير الممالك الإسلامية »[١٣] .

وقد ذكر المُنصر (هاربر) ، « حكاية طفلة مسلمة إهتم بها (المبشرون) ، وعنوا بتمريضها فى مستشفى (مصر القديمة) ، ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانتية ، التابعة للإرسالية الأمريكية ، بمنطقة (باب اللوق) ، وكانت نهاية أمرها ، أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى »[١٤] . كما ذكر (هاربر) - كذلك - « حكاية رجل مسلم كان يحضر محاضرات (المبشرين) لإثارة الجلبة والضوضاء ، وإتفق إنه مريض فدخل مستشفى (المبشرين) ، وبعد أن لبث فيه مدة شُفى ، وخرج منه فصار يحضر المحاضرات فى هذه المرة ، ولكن بخشوع زائد ، وبعد ذلك تعمدَّ وأصبح نصرانياً على المذهب البروتستانتى »[١٥] . وهذا المُنصر الخطير ، يحاول أن يُعطى رموزاً للمؤتمرين ، عن أهمية التنصير بين المسلمين ، من خلال المشافى العلاجية . وهو فى نفس الوقت ، يُميط اللثام ، عن أخطر المراكز التنصيرية فى مصر ، وهى المستشفيات التابعة للمُنصرين الأجانب .

إبراز أهمية ومكانة الأزهر كحاجز خطير ضد النشاط التنصيرى

وواقع الأمر ، ان كل ما تحدث فيه المؤتمرون ، كان بشأن الموضوعات التى تختص بالمجهودات التى يبذلها المنصرون ، لتنصير الشباب المسلمين المصريين ، الذين تلقوا قدراً من التعليم على الطريقة الأوربية ، وفى مدارس الحكومة . وما يلقونه من الصعوبات والفشل فى تنصيرهم . أما الذين تلقوا تعليمهم على الطريقة الإسلامية فى (الأزهر الشريف) ، وما يماثله ، فلم يتحدث عنهم أحد ، إلّا بعض إقتراحات ونظريات هامشية . فى نفس الوقت ، أفاض أحد المنصرين ، من أعضاء المؤتمر – فى وصف « ما للجامع الأزهر من نفوذ وإقبال الألوف عليه من الشبان المسلمين فى كل أقطار العالم ؛ وتساءل عن سرّ نفوذ هذا الجامع منذ قرن من الزمان ، حتى الآن » . ثم أضاف : « ان السنّيين من المسلمين رسخ فى أذهانهم أن تعليم العربية فى الجامع الأزهر مُتقن ومتين ، أكثر منه فى غيره ، وأن خريجوا الأزهر معروفون دائماً بسعة الإطلاع على علوم الدين ، علاوة على أن باب التعليم مفتوح فى الأزهر لكل مشايخ الدنيا ، خصوصاً وأن أوقاف (الأزهر) الكثيرة تساعد على التعليم فيه بالمجان ، وان بإستطاعته أن ينفق على ٢٥٠ أستاذاً » ، ثم تساءل عما إذا كان (الأزهر) يتهدد كنيسة المسيح بالخطر ؛ وعرض إقتراحاً ، « يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية ، تقوم الكنيسة بنفقاتها ، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية فى الدنيا على إختلاف مذاهبها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة »[١٦] . إنها بداية الدعوة للحركة المسكونية المسيحية !! وفى أين ؟ فى قلب القاهرة . حيث الجامع الأزهر الشريف .

وفى نهاية المؤتمر ، قام المُنصر الأمريكى (القس فليمنج) ، بجمع كافة الموضوعات والقضايا والأحاديث العديدة ، التى تناولها المؤتمرون المنصرون ؛ وضمنها فى كتاب عنونه بـ (وسائل العمل التبشيرى بين المسلمين)[١٧] ،

وكتب على غلافه الخارجى (نشرة خاصة) ، بمعنى أن تداوله سيكون بين أيدى فئة خاصة جداً ، من رجال التنصير ، ولا يطلع عليه كل الناس ، لما يحويه من مؤامرة خطيرة ضد الإسلام والمسلمين ، لا فى مصر وحدها ، وإنما فى كافة أنحاء العالم الإسلامى . وفى خاتمة هذا الكتاب ، إستنهض المُنصر (فليمنج) ، همم القائمين على الإرساليات التنصيرية ، ليجمعوا قواهم ، ويتضافروا بأعمال مشتركة ، وعمومية ، فيستولوا على أهم المناطق والمواقع الإسلامية ، من أجل تنصير المسلمين .

مؤتمر أدنبرة للإرساليات العالمى ١٩١٠

وهكذا كانت مصر ، هى الميدان العملى ، لإختبار مدى نجاح (الحركة المسكونية) ، وكانت النتائج مشجعة على المضّى فى المخطط الخطير العالمى ، من أجل « تنصير العالم الإسلامى فى هذا الجيل » ، كما إدعوا ذلك ، لأن المجال وضح أمامهم فسيحاً !!

ففى عام ١٩١٠ عقد أول مؤتمر عالمى – مسكونى – للإرساليات التنصيرية ، إجتمع فيه مندوبون عن جميع المنظمات الأجنبية والكنائس العالمية ، التى تقوم بالعمل التنصيرى فى كل أنحاء العالم . ولقد قررت رئاسة المؤتمر أن تضع كتاباً (مؤلفاً) يشرح هدف المؤتمر وظروفه ، والقرارات التى اتخذت فيه . وأختير من أجل القيام بهذه المهمة (و.هـ تمبل جاردنر) – الذى كان يستعد ساعتها للحضور إلى القاهرة ، منُصراً من قبل جمعية (التبشير) الإنجليزية ، للعمل بمصر – فقد حصل هذا المُنصر من رئاسته على أجازة ليتفرغ لهذه المهمة العاجلة[١٨] . وهكذا صدر كتاب (أدنبرة – ١٩١٠ ، عرض وتفسير لمؤتمر الإرساليات العالمى) .

W.H.T. Gairdner; Edinburg 1910 - - An Account and interpretation of the world Missionary conference;

وكان هذا المؤتمر هو ما يتفق عليه جميع المؤرخين والباحثين ، انه بداية الحركة المسكونية المسيحية ، لتوحيد الجهود التنصيرية ، بين جميع المنظمات والهيئات والكنائس ، التى تقوم بالعمل التنصيرى ، فى كل أنحاء العالم ، من أجل « تنصير العالم فى هذا الجيل » . وكان الدافع وراء هذا التوحيد التنصيرى ، يكمن ومنذ البداية ، عندما أخذت تنمو لدى المُنصرين فكرة إقتحام المجال الإسلامى ، بكافة الطرق ، والوسائل ، مهما كانت الصعوبات والظروف ، خاصة وأنهم رأوا فى حركات المطالبة بالدستور فى مصر أو الدولة العثمانية (تركيا) أو غيرها من بلاد المشرق العربى ، رأوا فيها مجالاً خصباً لإعلان حرية الفكر والعقيدة ، فرغبوا فى إستغلال هذا الأمر ، لتكثيف وتوسيع مجالات العمل التنصيرى بين المسلمين ، وكان نجاح مؤتمر القاهرة التنصيرى عام ١٩١٠ ، هو الدافع القوى للإرساليات التنصيرية الأجنبية ، مجتمعة ، للشروع فى التنسيق بين بعضها البعض ، أملاً فى أن يكون تجمعها وتوحدها ، له الفاعلية والسرعة المرجوة ، والشمولية ، للنيل من الإسلام والمسلمين فى عقر ديارهم ، وحتى لا تحط التفرقة من قوى المنصرين على المستوى العالمى(١٩) .

وهكذا إنعقد فى إنجلترا أول مؤتمر مسكونى للإرساليات التنصيرية العالمية . ففى الصفحات الأولى من المؤلف المذكور نقرأ : « أن الدور الذى يقوم به مشروع الإرساليات العالمى ، فى تشكيل العالم ، هو دور عظيم وسيزداد يوماً بعد يوم — فهذا التداخل بين تاريخ العالم و (تبشير) العالم ، سيكون ظاهرة ، لابد وأن تجبر رجل الدولة ، وكل من يهتم بمجرى الحياة فى العالم على دراستها »(٢٠) . وكان (جادرنر) مُحقاً فى كل كلمة قالها ؛ لقد تطورت حوادث المُنصرين ، وأفعالهم بصورة خطيرة فى مصر والعالم الإسلامى ؛ ولولا يقظة المسلمين ؛ ليس بسبب هدير الجحافل المسيحية الغربية ، وإنما لأن دين

الله الحنيف ، له من القوة والصلابة والعمق الإيمانى ، ما يجعل اليقظة تنبعث من الأعماق .

لقد قال (زويمر) المنصر الأمريكى الخطير فى عام ١٩١٠ : « لقد جربت الدعوة إلى النصرانية فى أنحاء الكرة من الوطن الإسلامى ، وأن تجاربى تخولنى أن أعلن بينكم على رؤوس الأشهاد ، أن الطريقة التى سرنا عليها إلى الآن لا توصلنا إلى الغاية التى ننشدها . فقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيراً ، وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة . وألفنا ما إستطعنا أن نؤلف ، وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ، ومع ذلك فإننا لم ننقل من الإسلام إلى النصرانية إلا عاشقاً بنى دينه الجديد ، على أساس الهوى ، أو (نصاباً سافلاً) لم يكن داخلاً فى دينه من قبل ، حتى نعده قد خرج عنه بعد ذلك ، ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول : إنه دخل فيه .

« ومع ذلك فالذين تنصروا ، لو بيعوا بالمزاد لا يساون ثمن أحذيتهم ، فالذى نحاوله من نقل المسلمين إلى النصرانية ، هو أشبه باللعب منه بالجد ، فلتكن عندنا الشجاعة الكافية ، لإعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفلست . وعندئذ يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلوب المسلمين ، أن نهدم الإسلام من نفوسهم ، حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا ، أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم أو فى نفوس من يتربون على أيديهم . ان عملية الهدم أسهل من عملية البناء ، فى كل شئ إلا فى موضوعنا . لأن هدم الإسلام فى وجدان المسلم معناه هدم الدين على العموم ، وهى خطة مخالفة لما ندعو إليه ، لأنها خطة إلحاد وإنكار للأديان جميعاً ، ولكن لا سبيل إلى تخليص المسلمين من الإسلام غير هذا السبيل »[٢١] .

كما ركز هذا المؤتمر ، على أهمية العمل للحيلولة دون حدوث (وحدة) بين المسلمين أو بين العرب ، وضرورة إيجاد الوسائل التى تُبقى المسلمون

متفرقين ، حتى لا يكون لهم وزن ولا تأثير . كما دعا هذا المؤتمر فى توصياته إلى الإهتمام (بالأزهر) ، بإعتباره « أهم عائق فى وجه (التبشير) ، وبالتالى فى وجه الإستعمار فى مصر والعالم الإسلامى ، ولذلك فلابد من إيجاد مؤسسة علمية ثابتة يبثون منها أفكارهم ، ويطبعون جيلاً من المسلمين بطابعهم ، حتى يقف هذا الجيل أمام الثقافة الإسلامية ويشكك فيها » ، للوصول إلى أهدافهم وهو « هدم الإسلام فى وجدان المسلم » .

كما ركزت تقارير المؤتمرون على « أن إلغاء الخلافة الإسلامية أمراً ضرورياً ، وسيكون له بالغ الأثر فى إجميع أنحاء العالم الإسلامى » ؛ وكان هذا يعنى إنحلال الرابطة الاجتماعية فى الإسلام . لكن كل الذين تحدثوا فى هذا المؤتمر ، أجمعوا على صعوبة تحويل المسلم من معتقده إلى دين آخر ، وأن معظم ما حققته بعثات التنصير ، إنما حدث إعتماداً على ضعف بعض المسلمين ، وليس على قوة المُنصرين . لأن المسلمين أصبحوا على وعى بحقيقة الإسلام ، وفهمهم الصحيح له ، من أنه : دين ، ونظام ، حياة ، وأنه أصلح الأنظمة لقيام مجتمعاتهم بعد أن فشلت الأنظمة الأخرى فى بلادها .

وعلى الرغم من ذلك ، راح (ستيفن نيل Stephen Neill) ، أحد كبار المُنصرين الأمريكيين ، ومؤرخ الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، يُطلق على القرن العشرين ، « القرن الأمريكى » ، ويقول : « ان سيادة الولايات المتحدة المتزايدة فى الميدان السياسى الدولى ، ترددت صورتها فى إندفاع الكنائس الأمريكية ، وكرمها ومشروعاتها المتسعة فى ميدان (التبشير) . فمن بين ٤٣ ألف (مبشر) بروتستانتى ، يعملون فى أنحاء العالم كله – طبقاً لإحصاء عام ١٩٥٨ – ان هناك ٢٧,٧٣٣ (مبشر) من الولايات المتحدة وحدها »[٢٢] . كما ذكر المُنصر (أندرو واطسون) ؛ « أن الإرسالية الأمريكية فتحت فى مصر وحدها ١٩٠ مدرسة ، يدرس فيها ١٧ ألف تلميذ ، من بينهم أربعة آلاف من المسلمين »[٢٣] . إن هذا الغرور الصليبى ،

والإصرار المتزايد ، على التنصير فى مصر والعالم الإسلامى ، رغم إعترافهم بالفشل ، ما يزال قائماً حتى اليوم .

وقد أوضح المُنصر (تيسدال) ، « بضرورة تقوية حركة (التبشير) فى مصر وفارس والشام ، ليتمكن (التبشير) بعد ذلك من فتح (البلاد الصعبة) ، مثل الجزيرة العربية وبلاد الأفغان »[٢٤] . وتحدث (زويمر) عن « (المشكلة المحمدية) التى تواجه (المبشرين) ، وحبذا ان تفتح مراكز (للتبشير) على طول ساحل الجزيرة العربية ، وخاصة فى (جدَّة) التى تعتبر ميناء (مكة) »[٢٥] .

كما ذكر آخرون ، « أنه إذا نجح (التبشير) فى الشرق الأقصى (اليابان وكوريا ومنشوريا والصين والهند) ، فستوجد مملكتان للمسيحية إحداهما الكنيسة الكاثوليكية فى الغرب ، والأخرى مملكة الكنيسة فى الشرق . وعندئذ ستواجه المملكتان بحاجز مركزى ضخم وغريب عنهما ومعادلهما ، وهو الإسلام ، الذى ينتشر فى القسم الأوسط من العالم ، ويسيطر عليه ، ويشطر مملكة المسيح شطرين »[٢٦] من أجل ذلك قال (جورج روبسون) ، من مجلس الإرساليات العالمية ، بأسكتلندا ، : « إذا ظفرت المسيحية بأفريقيا ، فإن أول ما ينبغى عمله هو إلقاء قوة (تبشيرية) ضخمة فى افريقيا الوسطى ، لتعوق تقدم الإسلام ، ولتحمل الإنجيل فى إتجاه الشمال إلى السودان » . « فإن الأمل يكمن فى التغلب على الإسلام ، والظفر بما لم يظفر به من مناطق ، وإن ما يجب الحذر منه ، هو أن يسيطر الإسلام على هذه المناطق ، إلى حدٍّ يصير به مبعوث السماء لتوحيد الجنس الأفريقى »[٢٧] . ومن بعده الجنس الأصفر فى الشرق الأقصى .

هكذا ، كانت بداية الحركة المسكونية المسيحية ، ضد الإسلام والمسلمين في العالم كله . وأخذت تطور من فاعلية نشاط الحركة التنصيرية فى العالم ، وفى مصر - بصفة خاصة - وهذا ما سنعرض له فى الفصل التالى .

هوامش الفصل السابع

(١) Ecumenical Missionary conference; New York; 190 Vol. I.; P. 27

(٢) Ibid.; P. 262.

(٣) John. R. Mott; The Evangetization of the world in This Generation; New York; 1900.

(٤) حديث (للقمص مكارى السريانى) ، منشور فى مجلة الطليعة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(٥) وليم سليمان (دكتور) – تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى ، مجلة الطليعة ، ديسمبر ١٩٦٦ ص/٩٧ .

(٦) أ.ل. شانليه – الغارة على العالم الإسلامى . ص/٣٣ .

(٧) نبيل عبدالحميد سيد أحمد (دكتور) – المرجع السابق . ص/٢٦٩ .

(٨) أ.ل. شانلية . المصدر السابق . ص/٣٤ .

(٩) نفس المصدر السابق . ص/٣٤ .

(١٠) Methods of Missionary work Among Muslims; P. 8 - 11.

(١١) Ibid; P. 109.

(١٢) A. LE chaterlier; la conquéte du Musulman; P. 37.

وأنظر كذلك : أ.ل شانليه – المصدر السابق : ص/٣٦ .

(١٣) A.Le chalelior; OP. cit.; P. 38.

(١٤) أ.ل. شاتليه . المصدر السابق . ص/٤٠ .

(١٥) المصدر السابق . ص/٣٩ .

(١٦) A.Le; chateliar; OP. cit.; P. 38.

(١٧) نشر هذا الكتاب (نشرة خاصة) فى عام ١٩٠٧ ، وقامت مجلة (العالم الإسلامى) التنصيرية ، والتى كانت تصدر فى باريس ، بنشر ملخص له فى أحد أجزائها - أنظر : A. LE,. chatelier; OP. cit.; P. 13 - 14

(١٨) محمود الشاذلى - الوثيقة ، دار المختار ، القاهرة ، ١٩٨٥ .

نص الخطاب الذى ألقاه (جادنر) فى مؤتمر أدنبرة للتنصير الدولى ، المنعقد فى عشية السبت ١٨ يونية ١٩١٠ .

(١٩) مصطفى الخالدى (دكتور) وعمر فروخ (دكتور) - التبشير والاستعمار فى البلاد العربية ، بيروت ، ١٩٥٧ . ص/٥٢ .

(٢٠) Gairdner, W.H.T.; Edinburg 1910; P. 31.

(٢١) أنور الجندى - الإسلام فى وجه التغريب . ص/٧١ .

(٢٢) Neill, Stephen; A History of chaistion Missions, Pelican Book; New York; 1964; P. 458.

(٢٣) Watson, Anderw; The American Mission in Egypt; P.P. 123 - 124.

(٢٤) Gardner. W.H.T.; OP. cit.; P. 77.

(٢٥) Ibid.; P. 74 - 75.

(٢٦) طارق البشرى - المرجع السابق . ص/١٢٨

الفصل الثامن

نتائج « وحدة الحركة التنصيرية العالمية » على مصر

(١٩١٤ - ١٩٢٨)

- تزايد فاعلية النشاط التنصيرى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى .
- مؤتمر حلوان التنصيرى (١٧ - ١٩ اكتوبر ١٩٢١) .
- الجامعة الأمريكية فى مصر مركز تنصيرى خطير
- دخول المُنصرين الأجانب أرِوقة الأزهر الشريف .
- ردود الفعل الحكومية والشعبية من حادثة إقتحام المُنصر الأمريكى (زويمر) للجامع الأزهر الشريف .

إعتقد المنصرون ، أن طريقهم أصبح مفتوحاً ، أمامهم فى المشرق الإسلامى ، بعد أن تم لهم هذا التجمع الخطير للإرساليات التنصيرية ، تحت لواء ما أسموه (الحركة المسكونية المسيحية) . فقد أماطوا اللثام ، فى مؤتمراتهم السابقة - نيويورك ١٩٠٠ ، القاهرة ١٩٠٦ ، أدنبرة بإنجلترا ١٩١٠ - عن بدء مرحلة صراع دينى مُتجهة فى الأساس ضد الإسلام الراسخ فى وجدان المنطقة الوسطى ، من العالم القديم ، وكشفوا عما إنتووه من (تقوية حركة التنصير فى مصر) ، ليتمكن التنصير - بعد ذلك - من الدخول إلى الجزيرة العربية ، حيث الأماكن المقدسة ، وقبر الرسول (ﷺ) .

تزايد فاعلية النشاط التنصيرى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى

وكانت تسويات الحرب العالمية الأولى ، قد حققت نتائج خطيرة ، وفى مصلحة التجمع التنصيرى الخطير ، حيث تزايد النشاط التنصيرى الأجنبى فى مصر . فمنذ أن فُرضت عليها (الحماية) البريطانية فى أواخر عام ١٩١٤ ، وهذه (الحماية) تراعى نشاط الإرساليات التنصيرية العالمية ، بل وكانت حامية لها ، مما أتيح لهذه الإرساليات أن تضاعف من نفوذها . ولقد ساعد هذا التزايد فى النفوذ التنصيرى ، سلطة الإمتيازات الأجنبية فى إطلاق الحريه لها فى العمل دون أن يكون فى مقدور الحكومات المصرية ، المتعاقبة ، وحتى عام ١٩٣٥ إلزامها بشئ ، أو حتى الإشراف عليها أو محاكمتها .

وفى هذه المرحلة (١٩١٤ - ١٩٣٥) ، وهى أخطر مرحلة فى تاريخ العمل التنصيرى فى مصر ، ضغط المنصرون بقوة على مصر ، بإعتبارها مركز الثقل الثقافى والعلمى فى العالم العربى كله ، وبإعتبارها المدخل الطبيعى للأراضى المقدسة من جانب المُنصرين ، إذا ما نجحوا فيها ؛ كما وأن مرحلة النشاط التنصيرى الأول فيها - قبل الحرب العالمية الأولى - كانت قد أثمرت كثيراً - من وجهة نظرهم - وخاصة على طريق الصحافة التى أبرزت نجومها

من العناصر المسيحية – غربي النزعة – خريجي كليات ومعاهد الإرساليات التنصيرية ، من أمثال (جرجس زيدان ، يعقوب صروف ، فرج أنطوان ، شبلي شميل) ، علاوة على لفيف من الصحفيين المصريين ، وغيرهم من الذين عملوا فى فرنسا وانجلترا[1] .

وكان المنصرون الأمريكيون – على سبيل المثال – « يشكلون أكبر مجموعة من (المبشرين) التى تعمل فى مصر . فقد كان هناك (٢٠٠ – ٣٠٠) يعملون فى الوجه البحرى والصعيد ، خلال عام ١٩١٧ . وقد أنفقت هذه الإرساليات ، ما يربوا على (٨٠٠ ألف) جنيه أسترلينى »[2] . فى هذا المجال ، علاوة على غيرهم من المنصرين الإنجليز والفرنسيين والألمان والهولنديين .

وبعد إنتهاء الحرب ، شملت العالم الإسلامى هزات سياسية عنيفة ، ترجع فى الأساس إلى إنفجار الثورات الوطنية والديمقراطية ، فى العديد من البلدان ، مبتدئة بمصر ، وإلى إنهيار الدولة العثمانية الإسلامية ، بعد الهزيمة التى لحقت بقواتها فى الحرب ، وإلغاء الخلافة الإسلامية فى عام ١٩٢٤ ، وبدأ عدد من تلك البلاد عهوداً من النظم الدستورية والديمقراطية ، التى إستبعدت مفهوم (الجامعة الإسلامية) وتبنت مفهوم (الجامعات العلمانية الوطنية) ، كما حرصت فى دساتيرها ونظمها وأهدافها السياسية ، على « تقرير حرية العقيدة وحرية الفكر ، والمناداة بهما » ، فى تلك الفترة .

مؤتمر حلوان (١٧ – ١٩ أكتوبر ١٩٢١)

وتزامنت مع هذه الظروف ، أن عقدت القوى التنصيرية العالمية ، سلسلة من (مؤتمرات التبشير) ، لدفع العمل التنصيرى إلى مزيد من الفاعلية فى العالم الإسلامى . كان من بينها (مؤتمر حلوان) فى عام ١٩٢١ بمصر – و

(حلوان) إحدى ضواحي (القاهرة) - وكان الهدف من عقد هذا المؤتمر ، هو إستثمار النشاط السياسى الداخلي فى مصر ، من أجل الدعوة إلى إرساء دعائم دستور مصرى ديمقراطي ، لتعميق الدعاوى النصرانية فى المجتمع المصرى .

وقد عقد المؤتمر فى (حلوان) خلال المدة من ١٧ - ١٩ أكتوبر ١٩٢١ ، ومثلت فيه كافة الكنائس الغربية والشرقية[٣] ، بدعوى الجهود العالمية التى ترمى إلى إعادة الإتحاد بين الكنائس والمنظمات والمؤسسات ، التى تعمل بالنشاط التنصيرى . فكان المؤتمر أحد النتائج للحركة المسكونية المسيحية فى مصر . وقد عقد المؤتمر بناء على رغبة ودعوة خاصة من المُنصر الإنجليزى (الأسقف جوين) الإنجليكانى ، وتحت رئاسته . وتردد فى هذا المؤتمر وجهتا نظر متعارضتان ، « إحداهما من (الأرثوذكس) تُصرُّ على ضرورة الإتحاد بين الإرساليات التنصيرية ، والأخرى من رئيس المؤتمر (جوين) ، تجعل الوحدة أساساً فى مجال العمل من أجل تنصير المسلمين المصريين »[٤] . ومما يذكر انه كان من بين الحاضرين قساوسة الجنود الإنجليز بمصر ، وعدداً من رجال الدين المسيحى ، ممثلين عن الكنيسة القبطية المصرية . ولن نكون مبالغين ، إذا قلنا ، أن بعض الأقباط المصريين ، كانوا يروجون للحركة المسكونية المسيحية فى مصر ، وإن كانت الجماهير الشعبية قد نجحت فى تجميد نشاط جميع الذين كانوا يروجون لهذه الحركة الخطيرة ، ولم تمكنهم من تحقيق أى هدف من أهدافهم الخطيرة ضد المسلمين فى أرض الكنانة .

هكذا كان صدى الحركة المسكونية المسيحية فى مصر . وتوالت مؤتمرات أخرى تنصيرية ، للحركة المسكونية المسيحية العالمية ، عقدت بين فبراير وأبريل عام ١٩٢٤ فى (القدس ، وأستانبول وبرمانا (لبنان) ، وبغداد ، وقسنطينة (الجزائر) ، ثم توجت بالمؤتمر العام الذى إنعقد فى (القدس) فى الفترة من ٣ إلى ٧ أبريل عام ١٩٢٤ ، تحت إشراف المجلس التنصيرى العالمى[٥] .

وقد لخص (جون رالى موط) ، أعمال هذه المؤتمرات التنصيرية المسكونية ، وعبر عن وجهة نظر المُنصرين عما شمل العالم الإسلامى من تغيرات فقال : « ان الظروف السياسية صارت أكثر مواتية (لتبشير) ، بعد أن ألغيت القيود التشريعية والحكومية ، التى كانت تعوقه ، وبعد أن ألغيت الخلافة الإسلامية ، وآلت مقاليد الحكم فى (الشرق الأدنى) إلى الدول الأوربية المسيحية ، باسم نظام (الإنتداب) أو (الحماية) ، وأسس فى (مصر) دستورٌ يعترف بحرية العقيدة ، وبعد أن عمت الإتصالات بين مسلمى الشرق ومسيحى أوربا ، وقاربت الحرب بين الطرفين ، وأكسبت الصحافة والكتب والسينما الجيل الجديد فى أرض الإسلام نظرة جديدة ، للنشاط (التبشيرى) . »[٦] وهذا هو المناخ الذى خططت له الحركة المسكونية ،- من أجل « إخراج المسلمين من الإسلام فقط ، ليكون إما ملحداً أو مضطرباً فى دينه ، وعندها لا يكون مسلماً أى لا يكون له عقيدة يدين بها ويسترشد ضميره بهمتها ، وعندها لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم » – وهكذا ظن المنصرون فى التطور العلمانى المستحدث ، الذى ظهر فى مصر ، على المستوى الحكومى ، أنه رصيد يتراكم ضد الإسلام لصالح المسيحية ، ولصالح نشاط إرسالياتهم التنصيرية .

لقد ظن المنصرون فى « حركات التطوير والتنوير ، التى طرأت على المجتمع المصرى ، ظنوا فيها عُنصراً مواتياً لتزايد نشاطهم ضد الإسلام ، مادامت حلت (الجامعة الوطنية) محل الجامعة الإسلامية ، وألغيت الخلافة ، ومادامت حركة (التحديث) عدلت من النظم القانونية ودعمت القوانين الوضعيَّة ، ومادام التطور العلمي والثقافى قارب بين المسلمين فى مصر وبين الفكر الأوربى ، ومادامت النظم السياسية إعترفت بحرية العقيدة ، وتغيرٌ دور الأزهر الشريف ، عندما تغيرَّت مناهجه وأساليب الدراسة فيه » . وأمام كل هذا كانوا يغفلون ، وجدان الحركة الشعبية الإسلامية المصرية !!

وربما كانت الفترة بين عامى ١٩٢٥ و١٩٣٥ من أنشط الفترات التى ظهرت فيها أعمال المُنصرين بالقطر المصرى ، ولعلهم أرادوا أن يؤثروا فى نهضة حركة الوعى الإسلامى الشعبية ، التى أخذت فى الإنتشار فى مصر ، فيوجهوها وجهة غير سليمة . وأخذ نشاط الإرساليات الأجنبية يشكل تهديداً خطيراً للمجتمع الإسلامى فى مصر ، عندما وقعت عدة حوادث خطيرة ، من جانب المُنصرين ، لتنصير الصبيّة والبنات ، من أبناء المسلمين فى عدد من مدن وقرى القطر المصرى ، خلال عشرينيات هذا القرن ، وأخذت الصحافة المصرية تتحدث عن وسائل الإغراء التى كان يلجأ إليها هؤلاء المنصرون ، لحمل السذج من أبناء المسلمين ، على إعتناق المسيحية ، ولتنصير الأطفال الأبرياء من أبناء المسلمين الفقراء .

وإذا كان قد لوحظ فى (مؤتمر أدنبرة للإرساليات العالمى ١٩١٠) التهيب والحذر فى مواجهة ما أسماه المُنصر الأمريكى الخطير (زويمر) – (بالمشكلة المحمدية) و (الوضع المستحيل) للتنصير ، بين المسلمين ؛ فقد لوحظ فى (مؤتمر القدس عام ١٩٢٤) ، روح نقيض ذلك تماماً ، وتجسد هذا الأمر فى مبدأ « أن المسلمين يمكن أن يصبأوا ، وقد صبأوا فعلاً ، وهم يصبأون »(٧) وهذا الشعار تكرر ترديده فى جوانب المؤتمر كالغناء ، ربما لتزايد عدد (المتحولين) من الصبية والبنات فى مصر – فى ذلك الوقت – خاصة وأن الصحف المصرية كانت لا تتردد فى نشر هذه الحوادث .

وذكر (جون رالى موط) – رئيس مؤتمر القدس –، « مادامت قابلية تنصير المسلمين قد تفتحت ، فكل ما يتعين بحثه هو زيادة الإمكانيات الفنية التى تتيح للعمل (التبشيرى) النجاح ، كالإكثار من عدد (المبشرين) ، ورفع مستوى كفايتهم ، وتوثيق التعاون بين الإرساليات ، وعلى ذلك يتعين على (المبشرين) أن يستغلوا ما أتيح لهم من فرص »(٨) .

وقد أشار (مؤتمر القدس) إلى : « أن (التبشير) يكون أكثر فاعلية وحسماً ، بين الأطفال ، لأن تعليم الديانة الإسلامية ، وترسيخها يتم بين المسلمين فى سن مبكرة جداً . لذلك وجب أن يكون (التبشير) من خلال التعليم هو أساس نشاط (المبشرين) فى البلاد الإسلامية »[٩] . ويؤكد هذا الفهم قول المُنصر (تكلى) »: « يجب أن نشجع إنشاء المزيد من المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربى . ان كثير من المسلمين زُعزع إعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية ، أن الكتب المدرسية الغربية تجعل الإعتقاد ، بكتاب شرقى مقدس ، أمراً صعباً »[١٠] . وعبر عن ذلك أحد قسس اليونان ، بقوله : « يجب أن نغوص فى العمق »[١١] .

الجامعة الأمريكية فى مصر مركز تنصيرى خطير .

وتبنت الجامعة الأمريكية فى (القاهرة) ، كل هذه المفاهيم التنصيرية ، التى وردت فى كافة المؤتمرات التنصيرية المسكونية . وأخذت هذه المؤسسة الأجنبية على عاتقها مهمة العمل التنصيرى فى مصر . فكانت تُلزم طلبتها جميعاً – مسلمين وأجانب وغير مسلمين – أن يطلعوا على كتاب إسمه (Religion Proflems) ، مشاكل الدين ، لمؤلفه الأجنبى (الأمريكى) ديورنت دريك (Durant Dreake) ، وهو من المراجع التى لا تستحى أن تطعن فى الرسول الكريم (ﷺ) . ومن عبارات إدعاء هذا الكتاب الكاذب (الحقير) »: « كان النبى (محمد) ذا مزاج عصبى مريض . وكان يبتدع خيالات ، لا أصل لها تؤيد دعوته وتجذب الناس إليه » . وفى موضع آخر ، يقول مؤلف الكتاب : « تجمهرت قبائل البدو المتوحشة ، تحت راية الله كيما تنشر بالسيف الدين الإسلامى الجديد » . ويقول كذلك : « حللت الشريعة الإسلامية العبودية ، وتعدد الزوجات ، وأسلست قيادة الطلاق للرجل » . و « إن فرض الزكاة الذى أكدهُ (محمد) كثيراً ، كان بسبب ما عاناه فى طفولته من الفقر

واليتم » . « كان السبب فى حشد هذه الجيوش الجرارة من الشحاذين ، فى كل بقعة وصل إليها الإسلام » . « ان غيرة النبى محمد الجنونية ، هى التى أخرجت المرأة المسلمة فى مركزها الحالى الوضيع »(١٢) . « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبا » ؛ فانظر يا أخى المسلم ، إلى أى درجة بلغت الجرأة والوقاحة ، بهذه المؤسسة التنصيرية الخطيرة ، التى هى معقل من معاقل التنصير فى (القاهرة) ، أن تنشر كتاباً يتضمن أمثال هذه العبارات الوقحة ، تحت بصر الحكومة المصرية وسمعها ، وفى بلد يقوم فيه الأزهر الشريف .

بل من المؤسف أن نجد فى مصر ، نفر ليسوا بأجانب ولا أوربيين ، حملوا لواء هذا التشكيك ، وجروا وراء موجات الإلحاد ، غير مراعين للدين أو الأمة حساباً . وراحوا يرددون عن نوايا خبيثة أو توهماً منهم ، بأن ترديد ما يقول به المنصرون الأجانب ، يُعد من المفاخر ، ولو كان ما يقولون به كُفراً وإلحاداً !!

وقد كان المُنصر الأمريكى (زويمر) على حق ، عندما قال : « إن المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطراً من المدنيّة النصرانية ، ويدخلونه فى إرتقائهم الإجتماعى »(١٣) . وهكذا نجح المنصرون فى إستراتيجيتهم العالمية ، التى كانت ترمى إلى : « إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامى »(١٤) . لقد استهدف التنصير نقل المسلمين من الإسلام ، وخطا فى سبيل ذلك خطوات واسعة . وإليك بعض ما إستهدفه التنصير فى مصر :

فقد نشرت مجلة (كل شئ والدنيا)(١٥) ، وبتوقيع مستعار ، توهم به الناس أنه صادر من شخص ذو صفة دينية ، بإمضاء (طالب أزهرى) ، تبث فيه هذه الدورية الخطيرة ، ما تشاء أن تبثه ، ولكن لحساب من ؟ لا ندرى !!

فماذا قالت هذه المجلة ، على لسان ذلك (الأزهرى) المستعار ؟

قالت : « أنا أزهرى إسماً ، عصرى ثقافة ودماً .. أريد أن أعرض عليك يا سيدى نوعاً من الذين يجلسون منا مجلس المتعلمين : قال بعض العلماء : ان القيامة ستقوم قبل ١٤٥٠ هـ لا محالة .. وقال غيره (ان النيل يأتينا من الجنة !!) ، فحزنت لأن (صموئيل بيكر)[١٦] ، دخل الجنة قبلنا » !!

وغيره يقول : ان حسان بن ثابت ، كان يمسح بلسانه شعر رأسه ، كأن حساناً ، لا يكون شاعر النبى ، إلّا بهذا اللسان الذى يُريد أن يلحقه به الشيخ ؟؟ » . أليس هذا دساً خطيراً ووضيعاً ، إنها محاولة التشكيك الخطيرة فى العقائد والقيم والرموز التاريخية الإسلامية .

وفى العدد (٧٧) من صحيفة (الفتح) ، ردّ على ما نشرته (مجلة الفكاهة) ، التى كانت تصدرها (دار الهلال) . فقد نشرت (الفكاهة) بالعدد ٥٧ لسنة ١٩٢٧ ، كلمة تحت عنوان (أين الجنة ؟) ، جاء فيها : « طرد الله آدم من الجنة هو وحواء ، فإذا كانت الجنة فى الأرض ، فلم لا نعرف أين هى ، وقد عرف الناس الأرض كلها ؟ وإذا كانت فى السماء ، فكيف لم تتكسر رقبتهما عند سقوطهما »[١٧] . أليس هذا قلة أدب فى حق الأنبياء ؟ أفبعد هذا دعوة إلى الإلحاد ؟؟

وقد قال « السيد محب الدين الخطيب » ، صاحب (الفتح) : « ولا ندرى هل (أميل زيدان وأخوه) أنشأ صحيفة الفكاهة للفكاهة ، أم للدعاية إلى الكفر ، وإلى (المبشرين) !! »[١٨] . لقد ثبت – جزماً لا يدع مجالاً للشك – أن قوة التنصير والإرساليات الدولية ، نجحت وعملت فى مصر ، وسيطرت على ما هو أخطر من الإقتصاد والأرض ؛ السيطرة على العقل الإسلامى وإعداده لتقبل النفوذ الإمبريالى والترحيب به . والتعاون معه ، بل الدعوة إليه وتمجيده ، والإعجاب بأهله وتاريخهم ودورهم فى تحضير الشعوب ، وتمدين الأمم ، وفى نفس الوقت ، الإنتقاص من شأن الأمة

الإسلامية ، وتاريخها ، ولغتها ، ودينها ، وثقافتها ، وتراثها . لقد وضح ذلك جلياً فى مصر ، خلال فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن الحالى !!

دخول المُنصرين أروقة الأزهر الشريف (١٩٢٦ - ١٩٢٨)

كان بعض المُنصرين يظنون أنهم يستطيعون تحويل أكثر مسلمى المشرق العربى إلى نصارى ببذل الأموال ،[١٩] فيحطموا بذلك صخرة الإسلام ، التى عجز أسلافهم (قادة الحروب الصليبية) عن التأثير عليها ، فلما أخفقوا لجأوا إلى وسائل كثيرة تقربهم من أهدافهم ، فنشروا المدارس والمستشفيات والملاجئ ، ونظموا فيها وسائل التنصير ، ثم أخذوا يشككون المسلمين فى عقائدهم وفى تشريعاتهم - كما عرضنا -، ولم يتورع المُنصر الأمريكى (زويمر) من طلب السماح له بدخول الأزهر الشريف ، ثم يخطب فى قلب الأزهر متهجماً على مبادئ الإسلام .

وكان (زويمر) فى عام ١٩٢٦ ، كبير المُنصرين الأمريكيين ، فى مصر وسوريا وفلسطين ، وهو المسؤل عن تحرير (مجلة العالم الإسلامى) - لسان حال الإرساليات الدولية - وواحداً من أقطاب كافة المؤتمرات التنصيرية التى إنعقدت منذ عام ١٩٠٦ ، وعُرفت كتاباته بالتعصب والعسف ضد الإسلام ، ورسوله[٢٠] . ففى عام ١٩٢٦ كان هذا المُنصر قد حصل من (وزارة الأوقاف المصرية) على تصريح بدخول المساجد ، وإصطحاب العلماء وهواة الآثار ، وقد إستغل هذا التصريح الصادر إليه ، بإعتباره (مستشرقاً) فى دخول (الأزهر الشريف) ، وقام بتوزيع بعض (الرسائل التبشيرية) على طلابه ، مما أثارهم[٢١] . الأمر الذى دعا (الشيخ عبدالوهاب خلاف) - مدير عام المساجد وقتها - إلى إستدعائه وإنذاره بسحب التصريح منه .

وفى ضحى يوم ١٧ أبريل عام ١٩٢٨ ذهب (زويمر) إلى الأزهر الشريف – مرة أخرى – بصحبة ثلاثة من (المبشرين) الأجانب ، كان من بينهم إمرأة ، ودخلوا جميعاً حلقة درس (الشيخ سرور الزنكلونى) ، أثناء شرحه لسورة من القرآن الكريم ، هى (سورة براءة) ، وقام (زويمر) ومن معه بتوزيع ثلاث رسائل (تبشيرية) ، كانت تتضمن تفسيرات مسيحية لآية الكرسى ، ولأسماء الله الحُسنى . ثم تركوا الحلقة إلى غيرها ليوزعوا بقية الرسائل ، التى كانت بحوزتهم .

ولقد أثار هذا العمل الخطير ، فى ساحات الأزهر ، طلابه ، الذين كانوا نحو ثلاثة آلاف طالب ، هم المتواجدون وقتها لسماع درس (الشيخ سرور الزنكلونى) ، ومزقوا رسائل (المبشرين) ، فقد إستفزتهم جرأة هذا القس الأمريكى ، الذى يقوم بالتنصير فى (صحن) أكبر جامع إسلامى ، وعم السخط حتى كاد أن يفلت الزمام ، ويُفتك بالمنصرين وعلى رأسهم (زويمر) ، لولا روح الضبط ، التى أشاعها العلماء بين طلابهم . ومع صلاة المغرب ، كانت تفاصيل الحادثة ، قد إنتشرت وشاعت بين قطاعات الشعب ، فى القاهرة ؛ فبلغ الإستياء مبلغه .

ردود الفعل الحكومية والشعبية من حادثة إقتحام زويمر للأزهر

وكان علماء الأزهر قد أوفدوا منهم من قابل (مصطفى النحاس) – رئيس الوزراء – طالبين إليه التصدى لأعمال الإرساليات التنصيرية ، بوقفها ، ومنع توزيع رسائل (المبشرين) فى الشوارع ووسائل المواصلات والمنتديات . وفى ١٩ أبريل ، نشرت (صحيفة البلاغ) تفاصيل الحادثة ، مع بعض أسماء وفد العلماء ، الذى قابل رئيس الحكومة[٢٢] .

وإستجابت الحكومة المصرية ، لرغبة العلماء ، وسحبت (وزارة الأوقاف) التصريح من المُنصر (زويمر) فى ٢١ أبريل ١٩٢٨ ؛ وإرغم هذا

القس الأمريكى ، . على أن يَصرح للرأى العام ، بإستعداده للإعتذار للأزهر[٢٣] . ومع ذلك فقد ظلت الحادثة وآثارها تشغل الرأى العام فى مصر لفترة طويلة . وأخذت الصحف تندد بالإرساليات التنصيرية الأجنبية ، وأعمالها الخطيرة فى مصر . وأخذت برقيات الإحتجاج والهجوم على (المبشرين) الأجانب جميعاً ، تشغل مساحات كبيرة ، من صفحات صحيفتي (الأهرام) و (البلاغ)[٢٤] .

كما أخذ الكُتاب والمفكرين المصريين يهاجمون (المبشرين) ونشاطهم المشبوه . فقد كتب (عباس العقاد) ، فى (صحيفة البلاغ) عن (الأمريكيات فى الدين) ، وراح يسخرْ من التنصير الأمريكى بقوله : « ان أمريكا مهبط الوحىّ الذهبى » ، وسخر من (زويمر) ووصف حادثته بأنها ، « من مناظر السينما الأمريكية » ، وأن « الأمريكيات » لم تدخل فى شئ إلا احالته « من الجدَّ إلى الهزل ، ومن الوقار إلى الصبيانية والصغار » ، وانه من المفاكهات أن أناساً من أمريكا التى كانت مجهولة يوم ظهور المسيحية ، يجيئون إلى وطن المسيح فى الشرق وإلى فلسطين خاصة ، لينقلوْا دينه « وبأية وسيلة ؟ بهذه الوسائل الفردية »[٢٥] .

كما أثيرت (حادثة إقتحام زويمر للأزهر) ، فى مجلس النواب ، بأسئلة وجهها ثلاثة من النواب هم (خليل أبو رحاب ، ومحمود لطيف ، وعبدالحميد سعيد) ، إلى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، لمعرفة ما ستتخذه الحكومة من إجراءات ، لحماية المعاهد الدينية ، والعلمية من إعتداء المُنصرين . فقد ذكر النائب (عبدالحميد سعيد) ، « ان (المبشرين) الأمريكيين يجوبون فى مصر ، وينشرون جراثيم الفتنة والإضطراب ، بالمحاضرات والنشرات ، وان ما يشجعهم على ذلك سكوت رجال الإدارة ، وخوفهم من شبح الإمتيازات الأجنبية – وان هؤلاء (المبشرين) هم خدمة مأجورين يعملون لمصلحة المستعمرين فى الشرق كله . وانه لا يكفى سحب ترخيص القس (زويمر) ،

إنما ينبغي مراقبة هؤلاء ومنعهم من دخول المساجد » . وقال النائب (محمود لطيف) ،: « انه يتعين على المفوضية الأمريكية أن تساعد مصر ، على طرد هذا القسيس (زويمر) فوراً »[٢٦] .

لكن ردّ الحكومة ، جاء مُخيباً لآمال النواب والشعب المصرى ، والشعور الإسلامى كله فى القطر المصرى ، فقد إكتفى (مصطفى النحاس) بذكر « ان الحكومة مهتمة بهذا الأمر ، وسوف توليه عناية خاصة . كما وان القس إعتذر رسمياً عن فعلته ، وأن وزير أمريكا المفوض أعرب عن أسفه الشديد ، لما بدر من (زويمر) » ؛ ولقد حاول رئيس الوزراء ، فى ختام رده ، أن يُهدّئ من ثورة العلماء ، « فامتدح الأزهريين لإتخاذهم موقف الحكمة والرزانة »[٢٧] . ويبدو أن (مصطفى النحاس) كان فى رده مراعياً ما تفرضه الإمتيازات الأجنبية ، من قيود على حركة الحكومة والدَّوْلة عامة ، وما تمنحه للأجانب ، ومنهم – بطبيعة الحال – هؤلاء المنصرون من حصانات دبلوماسية .

ولقد وقف الشعراء المصريون ، لجميع حركات المنصرين بالمرصاد ، وكشفوا حملاتهم التى شنوها ضد المسلمين والإسلام فى مصر . ومن القصائد التى أنشئت فى وداع المنصر الأمريكى (زويمر) ، قصيدة للشاعر (الصاوى شعلان)[٢٨] يقول فيها :

ألا أبلغ « زويمر » والعذارى كأمثال الظبا ، أبت القفارا
ترتل فى كنائسها صلاة فتبعث فى فؤادك ما توارى
بأن معاقل التفتيش ولت ودك الله ذروتها اندثاراً
وأن الأزهر المعمور دار تحطم دونها أسباق دارا
سكرت بخمرة التضليل طيشاً أجئت تظننا قوماً سكارى ؟؟
وأنك مُلحد ، لا دين تبغى ولا أمناً تريد ولا قرارا
ولا وأبيك – ما حركت ظفراً ولا أحدثت للنفس ادكارا
الخ ...

كما كان الشاعر الإسلامى الكبير (محمود رمزى نظيم) ، يتهكم (بالمبشرين) ، ويصور سفه أحلامهم وعجزهم عن أن ينالوا من الإسلام أو المسلمين منالاً ، وذلك فى (أرجوزة كبرى) له ، نشرها فى ديوانه (عبير الوادى)[٢٩] .

ومطلعها :

قد قام للتبشير رهط من الحمير
آذانهم طويلة نفوسهم عليلة

ونكتفى بالإشارة إليها فقط ؛ لأنها كلها تهكم لاذع بالمُنصرين !!

كما أنشد الأستاذ (محمود غنيم) قصيدة بعنوان (تجار العقائد)[٣٠] ، ومطلعها :

خطر تغلغل فى الحمى باسم المسيح ومريما
إنى أعيذ عرا المودة بيننا أن تفصما
من عق مصر يعق أحمد والمسيح كليهما
أكبرت عيسى أن يكون إلى المطامع سلما
فلطالما نشر السلام وباسمه جرت الدما

وبعد أن يتحدث (محمود غنيم) عن فظائع (المبشرين) وكيف أنهم يحرجون المسلمين ، ويبين أن خسارة المسيحية لود المسلمين أكبر منها فى كسبهم مسلماً .. يقول :

هل ترجعون إلى الوراء إذا الزمان تقدما
عصر التعصب قد تقلص ظله وتصرما
لا تبعثوا من لحده هذا الزمان المظلما

الخ ...

وكان المُنصر (زويمر) ، قد دعا المسلمين فى مصر ، من خلال منشوراته التنصيرية ، إلى العودة للصلاة على جهة بيت المقدس . وكان يقول : « ان محمداً ﷺ ، ما تحول عنها عن وحى . وإنما تركها تبرماً من اليهود »[٣١] . وقد حرر (زويمر) كتباً عديدة ، كلها حملات على الإسلام والقرآن والنبى (ﷺ) . وكان هذا القس الأمريكى ، يؤمن بأن التعليم (التبشيرى) هو المصدر الأساسى للعمل بين المسلمين ، ويرى عدم مجادلة المسلمين بالبراهين العقلية ، بل الإتصال بهم عاطفياً وإستمالة أهوائهم .

ومن أعماله : ترجمة كتاب للأب لويس شيحو ، أسماه : « خرافات القرآن » . وهى واحدة من الرسائل التى تردد عشرات الشبهات المعروفة والمتداولة ، والتى واجهها كتاب المسلمين بالرد والإسقاط . وكانت له مساجلات ومجادلات مع العلماء فى مصر ، وفى كل مكان[٣٢] . وهو فى كل ما كتبه كان يُعرض بالإسلام ، لإثارة الشبهات والتشكيك فى الحقائق الإيمانية المقطوع بها ، وإستغلال النصوص . وكتابه الخطير (يسوع فى إحياء الغزالى) ، يحاول فيه إيهام المسلمين بأن آراء الإمام الغزالى مقتبسة من الإنجيل ، مستغلاً ذلك التشابه والاتصال الذى يمكن أن يلتقطه فيما بين الإسلام والمسيحية فى جوانب التسامح والرحمة وغيرها . ويحاول أن يربط بين آراء (الإمام الغزالى) وبين بعض الآراء فى المسيحية[٣٣] .

على كل حال .. لقد كانت حادثة القس الأمريكى (زويمر) بداية ، تصاعد حوادث التنصير فى الأقاليم المصرية . وهذا ما سنعرض له فى الفصل التالى وأيضاً بداية تأليف وتكوين ، ونشأة الجمعيات والجماعات الإسلامية ، للتصدى لذلك النشاط التنصيرى الهدام . فتكونت (جمعية الشبان المسلمين) فى عام ١٩٢٧ ، ونشأت جماعة (الإخوان المسلمين) كذلك وغيرهما من الجمعيات الإسلامية الأخرى . وما لبثت (الشبان المسلمين) أن أثار

حفيظتها ، تزايد النشاط التنصيرى ، وما يلقيه أقطابهم من محاضرات بالجامعة الأمريكية ، بالقاهرة طعناً فى الإسلام ، والنبى (ﷺ) ، فأخذت فى إجتماعاتها تتصدى لنشاط هؤلاء المنصرين الأجانب فى مصر - خاصة بعد أن نشرت صحيفة (التايمز) فى ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧ ، وبمناسبة المفاوضات الجارية بين مصر وبريطانيا ، بشأن عقد (معاهدة ١٩٣٦) - هذه المعاهدة التى بدأت المفاوضات من أجلها فى عام ١٩٢٠ ، وإنتهت فى عام ١٩٣٦ - « إذا كان هناك شئ يُخشى منه ، فهو خلو المعاهدة من نص يتعلق بحماية معاهد (التبشير) » ، ولكنها - أى (الصحيفة) - تعود فتطمأن النفوس ، « بأن بريطانيا ستظل تحمى جميع معاهد وإرساليات (التبشير) فى مصر » .

هوامش الفصل الثامن

(١) أنور الجندى – الإسلام فى وجه التغريب . ص/٤٥ .

(٢) خالد نعيم (دكتور) – تاريخ جمعية مقاومة التنصير المصرية (١٩٣٣ – ١٩٣٧) ، دار المختار ، القاهرة ، ١٩٨٧ . ص/٧ .

(٣) وليم سليمان (دكتور) – المرجع السابق . ص/٩٨ – ٩٩ .

(٤) Report of the conference on church Reunion Held at Helwan near Cairo; October, 1921.

نقلاً عن وليم سليمان – المرجع السابق . ص/٩٨ .

(٥) Mott, J.R; The Moslem World of Today; Edited by; article «The Outlook in the Moslem world; P. 363 - 374.

(٦) Ibid; P.P. 363 - 365.

(٧) Mott, J.R; OP. cit.; P. 369.

(٨) Ibid; P. 378.

(٩) Ibid; P. 372.

(١٠) مصطفى الخالدى (دكتور) – وعمر فروخ (دكتور) – المرجع السابق . ص/٧٨ .

(١١) Mott; J.R.; OP. cit.; PP. 368 - 369.

(١٢) مجلة الفتح ، العدد ٢٤٤ ، ذو القعدة عام ١٣٤٨ هـ (١٩١٨ م) .

(١٣) أنور الجندى – المرجع السابق . ص/٦٧ .

(١٤) نفس المرجع . ص/٨٣ .

(١٥) كل شئ والدنيا ، (مجلة نصف شهرية تصدر عن دار الهلال) ، القاهرة ، مؤسسها أميل زايدان العدد ١٠٧ لسنة ١٩٢٧ .

(١٦) صموئيل بيكر ، أحد الذين خدموا الحركة التنصيرية نعالمية ، وهو الذى اكتشف مجرى ومنابع نهر النيل .

(١٧) صحيفة الفتح ، العدد ٧٧ لسنة ١٩٢٧ م .

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) ليبولد فايس – الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة الأستاذ (عمر فروخ) ، ط٢ ١٩٤٨ . ص/٦٨ .

(٢٠) نجيب العقيقى – المستشرقون . الجزء الثالث ، ص/١٠٠٥ .

(٢١) صحيفة البلاغ ، ١٩ أبريل ١٩٢٨ ، وصحيفة الفتح العدد ١٩٦ لسنة ١٩٣٩ .

(٢٢) صحيفة البلاغ ، ١٩ أبريل ١٩٢٨ .

(٢٣) صحيفة البلاغ ، ٢٢ أبريل ١٩٢٨ .

(٢٤) صحيفة الأهرام ، ٢٢ أبريل عام ١٩٢٨ .

(٢٥) صحيفة البلاغ ، ٢٠ أبريل عام ١٩٢٨ .

(٢٦) مضبطة مجلس النواب ، جلسة ٢٣ أبريل عام ١٩٢٨ .

(٢٧) صحيفة البلاغ ، ٢٥ أبريل عام ١٩٢٨ .

(٢٨) محمود رمزى نظيم – ديوان عبير الوادى ، ١٩٢٨ . ص/١١٤ .

وأنظر كذلك : سعد الدين محمد الجيزاوى (دكتور) – العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث ، من ثورة ١٩١٩ إلى ثورة ١٩٥٢ ، ص/٣٤٩ .

(٢٩) أبو الوفا محمود رمزى نظيم – عبير الوادى ، ١٩٢٨ . ص/١٠٤ .

(٣٠) محمود غنيم – صرخة فى واد . ص/٩٣ .

(٣١) أنور الجندى – المرجع السابق . ص/١٠٠ .

(٣٢) خالد محمد نعيم (دكتور) – الشيخ عبدالباقى سرور ، مناضل سياسى ومفكر إسلامى ، مجلة الأزهر ، رجب عام ١٤٠٧ هـ ، مارس ١٩٨٧ ؛ وكذلك عدد شعبان عام ١٤٠٧ هـ ، أبريل ١٩٨٧ . فقد كان هذا الشيخ له مناظرة مع هذا القس الأمريكى (زويمر) .

(٣٣) أنور الجندى – المرجع السابق . ص/١٠٠ – ١٥١ .

الفصل التاسع
تصاعد حوادث تنصير الصبّية والبنات فى مصر
(١٩٢٨ - ١٩٣٢)

- حوادث متفرقة (١٩٢٨ - ١٩٣٠) .
- بيان الأمير شكيب أرسلان .
- حادثة كامل منصور ١٩٣٠ .
- ردود الفعل الشعبية والحكومية .
- حادثة عبدالقادر الحسينى فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة .
- الجامعة الأمريكية ، مرة أخرى ، مصدر نشاط الإرساليات .
- حوادث التنصير فى الأقاليم المصرية .
- حادثة أسيوط عام ١٩٣٢ .
- ردود فعل القوى الشعبية فى الأقاليم .
- دار المندوب السامى البريطانى وحماية الإرساليات .
- موقف صحيفة الإخوان المسلمين .

المعروف أن التنصير تحول بعد مؤتمر القاهرة التنصيرى عام ١٩٠٦ ، من التنصير الفردى إلى التنصير الجماعى ، وبعد الحرب العالمية الأولى ، استفادت حركة التنصير المسكونية المسيحية الغربية ، من الدول المنتدبة التى أفسحت المجال لها ، وقد تولت المعاهدات التى عقدت فى ظل النفوذ الإمبريالى حماية الإرساليات التنصيرية . وتولت حركة التنصير المسكونية المسيحية الغربية ، تمويل مراكز التنصير ، مهما كانت صغيرة ، فى مصر وفى غيرها من البلاد العربية الإسلامية ، واستغلت هذه الحركة ، فى سبيل تحويل المسلمين من مصر إلى المسيحية ، جميع الوسائل حتى أعمال البر ، والتطبيب ، والتعليم مع طرق أساليب أخرى أكثر إلتواء وخفاء .

ويذكر مؤلف كتاب (طرق العمل التبشيرى فى المسلمين) : « لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقنعون فى الدرجة الأولى بأننا نُحبهم ، فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم ، يجب على (المبشر) أن يحترم فى الظاهر جميع العادات الشرقية والإسلامية ، حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث آرائه بين من يصغى إليها »[1] . وهذه الطرق وتلك الوسائل جميعها استخدمت ضد المسلمين فى مصر ، خلال السنوات الأخيرة من عشرينيات هذا القرن ؛ مما جعل حوادث تنصير الصبيّة والبنات ، من أبناء المسلمين ، تتصاعد بصورة خطيرة ، وملفتة للنظر .

حوادث متفرقة (١٩٢٨ - ١٩٣٠)

ففى شهر مايو عام ١٩٢٨ نشرت صحيفة (البلاغ) خبراً مؤداه ، « أن ناظرة إحدى المدارس الأجنبية ، بالأسكندرية ، وكانت أمريكية الجنسية ومن دعاة (التبشير) ، ألحقت فتاة مسلمة قاصرة ، بمستشفى ،(شبين القناطر) ، وأغوت الفتاة عن أهلها وعن دينها ، ورفضت تحت مظلة الإمتيازات الأجنبية ، إعادتها إلى أهلها – على الرغم من طلب السلطات الإدارية المصرية ،

ضمها إلى أسرتها »[٢] . وقد أثارت الحادثة المشاعر الشعبية الإسلامية ، وعم السخط العام ضد نشاط الإرساليات التنصيرية ، وضد الإمتيازات الأجنبية ، التى تحمى هؤلاء المُنصرين فى مصر . فتعالت أصوات العلماء والمثقفين المسلمين المصريين ، على صفحات الصحف ، تطالب بإلغاء هذه الإمتيازات الأجنبية ، أو – على أسوأ الفروض – تعديلها بما يمكن الحكومة المصرية ، والقوى الشعبية من وقف هذا العبث بالإسلام ، وتلك الفوضى التنصيرية .

وفى (مجلس النواب) أثيرت حادثة الفتاة المسلمة ، التى أغوتها المُنصرة الأمريكية ؛ بسؤال توجه به النائب (الدكتور محجوب ثابت) ، الذى « نبه إلى أن حركات (التبشير) تعمل تحت ستار المدارس والمستشفيات ، وطلب إلى الأجانب وجوب مراعاة واجب الضيافة ، وأن تراعى إرسالياتهم ، فى مدارسها ومستشفياتها ، ما ينص عليه الدستور المصرى ، من حق حماية الدولة لحرمة الأديان » . وقد أجاب (مصطفى النحاس) ، رئيس الوزراء ، على سؤال النائب بالنسبة لحادثة مستشفى (شبين القناطر) ، بأن أخا الفتاة المسلمة قد حصل على حكم شرعى بضمها ، إلى حضانته ، وأن الدولة ستقوم بتنفيذ هذا الحكم ، بحضور مندوب القنصلية البريطانية ، التابع لها المستشفى »[٣] . ويالها من مهانة لحكومة مصرية شرعية ، غير قادرة على حماية مواطنيها من بين براثن الأجنبى .

وفى نفس الوقت ، نقلت الصحف – فى أكتوبر ١٩٢٨ – عن خطاب لإحدى المُنصرات الأجنبيات العاملات بمدينة (السويس) – كانت قد ألقته فى حفل الاجتماع السنوى (لجمعية المبشرين العامة) والتى مقرها مدينة (بلفاست) بانجلترا – تحدثت فيه عن « جدوى (تبشير) أولاد المصريين المسلمين ، بتربيتهم فى مدارس (التبشير) ، وصيرورة الأولاد أكثر ميلاً للنصرانية »[٤] . وقد إستفز هذا الخبر ، لفيف من الغيورين على الإسلام فى مصر ، كما أثار قطاع كبير من أبناء المسلمين المصريين .

فأخذ (الشيخ محمد شاكر) ، وكيل الجامع الأزهر الأسبق ، والذى ثارت ثائرته لهذا الخبر ، يهاجم (المبشرين) ومدارسهم ، ويطالب بحجب الأبناء المسلمين ، عن تلك الإرساليات ، ولم يفته أن إنتقد تفريط المسلمين فى دينهم[٥] . وظهرت (جريدة الفتح) ، لصاحبها (السيد محب الدين الخطيب) ، حاملة لواء الدفاع عن الإسلام ، ومقاومة الإلحاد وحملات (التبشير) المنظمة ، والتى نشطت فى كل صقع إسلامى .

وتناولت (الفتح) مع غيرها من الصحف ، الهجوم ضد هجمات المُنصرين ، ودعاواهم وتفنيد مزاعمهم ، وكشف الخطط التى يبيتوها للإسلام والمسلمين فى مصر . وتنبيه الحكومات المصرية ، التى كانت كلها عاجزة عن التصدى لهؤلاء المُنصرين ، إلى خطر أعمال هذه الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، وما ينبغى أن تقابل به[٦] . وقد نشرت (الفتح) مقالاً أذاعته (جمعية الشبان المسلمين) جاء فيه :

« لاحظت جمعية الشبان المسلمين ، نشاط جماعات (التبشير) المسيحية فى الأعوام الأخيرة ، وإئتمارها على الدين الإسلامى خاصة ، حتى جعلت تعقد المؤتمرات العامة فى (بيت المقدس) ، فتُدبر وسائل الفتنة فى هذه المؤتمرات ، ثم تعبئها ويتفرق (دعاتها) فى البلاد الإسلامية يوقظون الفتن بين المسلمين ومواطنيهم من المسيحيين . والجمعية تنتظر من الحكومة أن تقتل جراثيم الفتنة قبل أن تنفث سمومها ، وأن تطفئ وميض النار قبل أن يشتعل جحيمها ، ولا نظن أن أحداً يجهل ، أن ذلك يحتاج إلى يقظة من رجال الإدارة ، تعالج ما جبلوا عليه من إغضاء وإهمال ، كما يحتاج من الوزارة إلى حزم تطهرً به البلاد من أشباح هؤلاء (المبشرين) المفسدين »[٧] .

وأخذ (عبدالحميد سعيد) – الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين – « يهاجم مدارس الفرير بمصر ، لأن بعض القسس المدرسين بها ، كانوا فى أثناء

الدروس ، يهاجمون الإسلام ، ويطعنون فيه ، وكانوا يضطهدون من يصوم (شهر رمضان) ، من تلاميذها المسلمين ، وناشد شيخ الأزهر ، ومُفتى الديار المصرية ، ضرورة العمل على وقف هذه الأمور الخطيرة »[٨] . وهكذا كان ردّ الفعل الإسلامى فى مصر ، لمجرد أن حادثة فتاة مسلمة تم تنصيرها على أيدى إحدى المُبشرات ، ردٌّ فعل على المستوى الشعبى . أما الحكومة ، فكانت لا حول لها ولا قوة !!

وفى مارس عام ١٩٢٩ ، ذكرت صحيفة (الفتح) ، « أن (المبشرين) الألمان ، خطفوا فتاة مُسلمة ، من مدينة (الأسكندرية) ، ورحَّلوها إلى أقاصى الصعيد ، بمدينة (أسوان) ، تمهيداً لتنصيرها »[٩] . وحوادث كثيرة أخرى ، لم تُعلن عنها الصحف ، ولم تدر بها الحكومة ، كانت تتم بعيداً عن العيون . وإستمرت هذه الحوادث الخطيرة ، تتعاقب فرادى ، وجماعات على فترات ، تثير القلق والمشاعر ، والغضب . ولم يقتصر نشاط المنصرين ، على المدارس والمستشفيات والملاجئ ، بل كانت لهم الكتب والصحف الأجنبية ؛ والمحلية المأجورة ، والتى كانت تصل إلى أيدى البعض ، تحمل ما تحمل من السموم ضد الإسلام والمسلمين .

بيان الأمير شكيب أرسلان

ولعل أخطر ما كتب ، فى ذلك الوقت ، هو بيان (شكيب أرسلان) ، والذى بعث به لصحيفة (الفتح) ، ونشرته الصحيفة فى عام ١٩٢٩ ، تحت عنوان « يجب أن تطلعوا على أقوال أعدائكم » ، لتعلموا ماذا رُصِّد لكم »[١٠] . وقد أوضح (الأمير شكيب) فى هذا المقال ، الأسس والنظم التى تقوم عليها إرساليات التنصير الأجنبية ، فى مصر وفى المشرق الإسلامى ، لتصل إلى أهدافها . وذكر أهم الوسائل التى تنشرها هذه الإرساليات لتكون قوانين يسيرون عليها ، فلا يخبطون خبط عشواء ، ومن

ذلك : « ان المعهد الكاثوليكي فى (باريز) نشر بين سنتي ١٩٢٦ و١٩٢٧ مجموعة محاضرات سماها : « الإسلام والرسالات الكاثوليكية » ، وقد تضمنت هذه المحاضرات ما يأتى :

١ – مقدمة ؛ بقلم المسيو روفرود لاتوپللرى ، بينت الغرض من إصدار هذه المجموعة .
٢ – بحثاً بعنوان : (فرنسا والإسلام) ، بقلم لويس بوتران ، من أعضاء المجمع الأكاديمى الفرنسى .
٣ – مقالاً بعنوان : (الإسلام والرقيق) ، للمسيو بوبين .
٤ – محاضرة للأب شابير ، الرئيس العام لجمعية الرسالات الأفريقية ، عنوانها (الإسلام عند المتوحشين وأكلة لحوم البشر فى شمال نيجيريا) .
٥ – محاضرة (للراهبة) المتُنصرة بلانش ، من (راهبات) منصرات شمال أفريقيا ، عنوانها (محاولة ترقية المرأة المسلمة بتحويلها إلى النصرانية) .
٦ – محاضرة للأب (شارل) اليسوعى ، يصف فيها طريقة التغلغل البروتستانتى بين المسلمين .
٧ – محاضرة للأب (ماريشال) – عن الطرق (التبشيرية) الكاثوليكية .، وغير ذلك من السموم المنفوثة ضد الإسلام والمسلمين ، ومنها كثير جداً !!

وقد علق (شكيب أرسلان) على ذلك بقوله : « مادامت رسالات (التبشير) الأوربية قد ملأت البر والبحر ، والحكومات الأوربية ، تنجدها من الولاء أحياناً وسراً أحياناً ، وأحياناً علناً ، فلا مناص للمسلمين من أن يقابلوا تلك (الرسالات) ، الإرساليات ، الروحية المهاجمة ، برسالات روحية مدافعة »(١١) .

فقد كان لمعاهدة (لتران) – التى عقدت بين الكرسى البابوى ، والحكومة الإيطالية والتى حصلت بموجبها على تعويض ضخم وأعلن أن الجانب الأكبر منه سيوجه لدعم (الحركة التبشيرية) – فى عام ١٩٢٩ ، أثرها الواضح ؛ فلم يمض عام على تلك المعاهدة ، حتى إجتاحت مصر والسودان ، حملة تنصيرية ضخمة ، عن طريق بعض المعاهد الكبرى للإرساليات المسكونية المسيحية العالمية ، وبعض مستشفياتهم ، ولم تلبث الحركات العنيفة أن كشفت عن أحداث خطيرة ، تمثلت فى إغراء بعض الشباب والفتيات المسلمين ، بالتنويم المغناطيسى لترك دينهم(١٢) .

وجاء عام ١٩٣٠ ليحمل فى طياته ، مزيداً من حوادث الإرساليات التنصيرية الأجنبية – التى كانت تشكل تكتلاً مسيحياً غربياً خطيراً ، ذا مصلحة واضحة ، وكان لها صوتها داخل دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة – فقد كان يوجد فى مصر وحدها ، فى عام ١٩٣٠ ، حوالى ٤٥٠ إرسالية أجنبية ، تقوم بالنشاط التنصيرى ضد المسلمين ، وكان يعمل بتلك الإرساليات ١٥٠٠ من الأقباط المصريين ، ويصل إنفاقها السنوى إلى (٧٠٠ ألف جنيه إسترلينى)(١٣) . وهذا من واقع الوثائق الخاصة بالمنصرين الأجانب !!

وأخذت تتصاعد حوادث المنصرين داخل الأقاليم المصرية ، بمعاونة ١٥٠٠ قبطى مصرى ، وأمام تزايد تلك الحملات التنصيرية الخطيرة ، والتى لفتت الأنظار لأنها كانت تقع بين الأطفال والبنات الصغيرات ، دعا (الشيخ محمد مصطفى المراغى – شيخ الأزهر السابق(١٤) – إلى مؤتمر عام بمدينة (دمنهور) عام ١٩٣٠ ، لجمع التبرعات ، ووضع خطة للتصدى ومقاومة (التبشير)(١٥) .

حادثة كامل منصور (١٩٣٠)

وفى شتاء عام (١٩٣٠) وقعت حادثتان ، من جانب المُتَنصرين ، أثارتا مشكلة ، كانت على درجة عالية من الخطورة ، إهتزت لها البلاد ، من أقصاها إلى أقصاها ؛ فكانت الحادثة الأولى ، فى شهر فبراير ، « عندما ألقى قبطى مصرى ، من مذهب (الروم الكاثوليك) محاضرة فى الجامعة الأمريكية ، بالقاهرة ، تعرض فيها للإسلام وللرسول الكريم (سيدنا محمد ﷺ) ، وفى ذات الوقت ، كانت الصحف ، المتحررة من نفوذ العهد السياسى الحاكم ، قد تناقلت يومئذ بأن (الجامعة الأمريكية) بالقاهرة ، هى مصدر دعايات (المبشرين) »[١٦]

وفى نفس الوقت – تقريباً – كانت (الحادثة الثانية) »: « عندما تعرض (كامل منصور) – وهو شاب مُسلم ، تحول عن الإسلام ؛ وإعتنق المسيحية ، بفعل الإرساليات الأجنبية – للنبى (ﷺ) فى محاضرة ألقاها ، بمبنى الإرسالية الأمريكية (بالأزبكية) ، قائلاً : « قد كنت مسلماً فى الخطيئة والرذيلة ، فلما إعتنقت الدين المسيحى ، خرجت من الظلمات إلى النور . فيجب أن تعتنقوا المسيحية لترفعوا عن أنفسكم الخطيئة » . وقال كذلك : « وان القرآن ، ما هو إلا قصص وخرافات » ، ثم زاد (الوغد الحقير) فى غيّه ؛ يسبّ النبى (ﷺ) مما يترفع القلم عن كتابته »[١٧] . وقد نشرت الصحف هاتين الحادثتين بالتفصيل ، وطالبت الحكومة بمنع نشاط هؤلاء المُتَنصرين (المجرمين المارقين) !!

وشهد شهر أبريل ، إضرابات طلاب الأزهر ، بسبب هذين الحادثتين ، وطالب الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى ، شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، وزير الداخلية (مصطفى النحاس) ، وهو رئيس الوزراء أيضاً – وزارته الأولى (أول يناير ١٩٣٠ – ١٩ يونية ١٩٣٠) – بضرورة محاسبة المارق (كامل

منصور) . غير أن (الداخلية) وحكومة (النحاس باشا) المصرية ، لم تفعل شيئاً ، فتزايد السخط الشعبى . مما جعل صحيفة (السياسة) ، لصاحبها الدكتور محمد حسين هيكل ، تشن حملة شرسة ضد هؤلاء المُنصرين الأجانب ، وبطبيعة الحال ، كان الشعور للإرساليات التنصيرية ، قد أخذ فى التزايد ، بصور خطيرة ، فلم يعد هناك مفراً من تحويلها إلى معركة شعبية ؛ فقامت المظاهرات الطلابية ، والشعبية ضد الحكومة ، التى أعلنت عجزها عن التصدى لنشاط هؤلاء المُنصرين ، وبدأت سلسلة من الحوادث الدموية ، فى طول البلاد وعرضها .

ردود الفعل الشعبية والحكومية

وامتدت موجة السخط الشعبى إلى مدن (بورسعيد والإسماعيلية ، والسويس ، وطنطا ، والاسكندرية) ، حيث كانت تتواجد أكبر تجمعات لإرساليات التنصير الأجنبية ، فاجتاحت المظاهرات الطلابية والشعبية هذه المدن ، وكلها مناطق وقعت فيها حوادث تنصير لأطفال وبنات من أبناء المسلمين .

وتطور الشعور المعادى للإرساليات الأجنبية ، ليصبح أكثر فتكاً ، وبصورة واسعة ، خاصة عندما تولت السلطة حكومة غير شعبية وغير ديمقراطية فى مصر ، وهى حكومة (إسماعيل صدقى ١٩ يونية ١٩٣٠ - ٤ يناير ١٩٣٣)[١٨] . ومنذ ذلك الوقت ، أصبح نشاط المُنصرين الأجانب ، المعادى للإسلام والمسلمين ، قضيةِ حيوية من قضايا المعارضة السياسية ، لحكومة (إسماعيل صدق) . فقد عبرت قيادات (المعارضة السياسية) عن دهشتها من « أن حكومة يفرض عليها الدستور ، أن تحمى الإسلام ، وهى فى نفس الوقت تسمح بل وتُصرِّح للإرساليات التنصيرية الأجنبية المعادية للإسلام ، بأن تعمل بحرية كاملة ضد المسلمين فى مصر » . وأمام هذا الهجوم

الساخن من (المعارضة السياسية) ، إضطر (إسماعيل صدقي) في عام ١٩٣١ ، أن يدافع عن ولاء حكومته للإسلام ، في رد له على إستجواب ، كان قد تقدم به أحد نواب المعارضة ، بشأن (قضية شاب مسلم ، في الثامنة عشرة من عمره ، تحول عن الإسلام إلى النصرانية ، بفعل الإرساليات الأجنبية)[١٩]

« ووعد رئيس الوزراء ، في رده ؛ بأن حكومته سوف تعمل على تقييد نشاط وعمل الإرساليات (التبشيرية) إذا ما تكررت مثل هذه الحوادث » . وكانت (صحيفة الإجيشيان جازيت) ، قد نشرت في ٢٥ فبراير ١٩٣١ ، « بأن الشاب المسلم ، الذي تحول عن الإسلام ، وكادت قضيته تسبب لإرساليات (المبشرين) ، بالكتاب المقدس ، مشكلة مع الحكومة المصرية ، قد فعل ذلك تحت تأثير التنويم المغناطيسي »[٢٠] . وهذه قضية أخرى !!

حادثة الشاب (عبدالقادر الحسيني) في الجامعة الأمريكية بالقاهرة

وعند نهاية عام ١٩٣١ ، تزايدت خطورة المشكلة التنصيرية ، عندما فضح الشاب الفلسطيني (عبدالقادر موسى كاظم الحسيني) ، الذي كان طالباً نابهاً بالجامعة الأمريكية في القاهرة ، الدور (التبشيري) لتلك المؤسسة الأمريكية ، علانية ، وبصورة بالغة الجرأة ، في يوم إحتفال الجامعة السنوي (١٩٣١) ، بتسليم شهاداتها للمتخرجين ، الذين كان (عبدالقادر الحسيني) واحداً منهم . ففي هذا الاحتفال – وكان يحضره حشد كبير من رجال السياسة والعلم ، وذوي الرأي والمكانة ، من المصريين والأجانب – جلس (عبدالقادر الحسيني) في صفوف المتخرجين ، المستعدين لتسلم شهاداتهم ، ولما بدأ الحفل ، وفق البرنامج الموضوع ، تسليم هذه الشهادات ، نودي على (عبدالقادر الحسيني) ليتسلم شهادته ، ولكنه ما أن تسلمها حتى مزقها إرباً

إرباً على مرآى من الجميع ، وصرخ فى وجه رئيس الجامعة قائلاً : « إنى لست فى حاجة إلى شهادة من معهدكم ، الذى هو معهد تبشيرى وإستعمارى » . ثم ألقى الطالب الفلسطينى خطبة قصيرة ، حمل فيها على (التبشير) والاستعمار ، وختمها بالهتاف لفلسطين وشعبها ، وأصاب (رئيس الجامعة) الذهول ، من هول المفاجأة ، كما ذهل المحتفلون الذين لم يلبثوا ، أن صفقوا والأساتذة للطالب الفلسطينى ، وهتفوا بحياته ، وهو يغادر مكان الإحتفال قبل إنتهائه[٢١] .
وكانت هذه الحادثة ، هى البداية الحقيقية لفضح نشاط الجامعة الأمريكية التنصيرى بالقاهرة . وقامت حكومة (إسماعيل صدقى) ، على أثر هذه الحادثة ؛ بإبعاد الطالب الفلسطينى عن مصر[٢٢] . ومن المفارقات العجيبة ، أن يذهب هذا الطالب إلى وطنه فلسطين ، ليتولى مهمة الكفاح السرى ضد إرساليات التنصير ، والإستعمار البريطانى ، فى العراق ، ويُصبح فى صفوف الجهاد المقدس ، رمزاً من رموز النضال الإسلامى الفلسطينى . إنه (عبدالقادر الحسينى) ، واحد من أبرز أبطال فلسطين الذين بذلوا أرواحهم فى سبيل الدفاع عن الإسلام ووطنهم ، إنه المجاهد الفلسطينى الذى إستشهد فى ٨ أبريل عام ١٩٤٨ ، خلال موقعة (القسطل) الشهيرة[٢٣] .

الجامعة الأمريكية – مرة أخرى – مصدر نشاط الإرساليات التنصيرية (١٩٣٢)

وتزايدت حوادث التنصير ضد الفتيان والبنات الفقراء أو اليتامى ، خلال عام ١٩٣٢ ، وأصبحت المسألة فى غاية الخطورة ، خاصة بعد أن فجر الطالب الفلسطينى (عبدالقادر الحسينى) قنبلته ، « بأن الجامعة الأمريكية تقوم بدور مشبوه ، فى تنصير المسلمين » . كما كان لمرض (إسماعيل صدقى) – رئيس الوزراء – وسفره للعلاج خارج البلاد ، أثراً سيئاً على حكومته ، مما جعلها

عاجزة عن التصدى لنشاط هذه الإرساليات الأجنبية ، الذى أخذ يتزايد ، بشكل إستفزازى لمشاعر المسلمين المصريين . فأخذت الصحافة المصرية ، خلال الشهرين الأولين (يناير وفبراير) من عام ١٩٣٢ ، تفضح حوادث التنصير ، التى قامت بها الإرساليات التنصيرية ، فكتبت ثلاث صحف ، هى (البلاغ) و (الجهاد) و (كوكب الشرق) ، عن حوادث إختفاء غامضة لبعض الشبان المسلمين من المصريين ، والذين كانوا على إتصال (بالمبشرين) ، يحضرون محاضراتهم وندواتهم . كما ذكرت (صحيفة السياسة) ، وصحيفة (الكشكول) ، تفاصيل حادثة الطالب المسلم ، الذى اختطفه أفراد من كلية (التبشير) بالجامعة الأمريكية بالقاهرة[٢٤] .

وذكرت (السياسة) ، « أن الطالب تم إختطافه ، بعد أن تم تنويمه مغناطيسياً »[٢٥] . مؤكدة ما ذكرته (الإجبشيان جازيت) – من قبل فى ٢٥ فبراير عام ١٩٣١ – والطريف أن (وثائق الإرساليات) نفسها ، تدعى ، « ان حادثة إختطاف طالب الجامعة الأمريكية ، وتنصيره ، لم يكن له أساس من الصحة . وأن والده قام بضربه بعنف ، حتى أنه تراجع عن قصته فى تاريخ لاحق »[٢٦] . ولم تذكر (الوثائق) فى أى تاريخ لاحق ، تراجع الطالب عما حدث له !!

ونشرت (الكشكول) هجوماً عنيفاً على الجامعة الأمريكية ، بالقاهرة ، بإعتبارها هى المصدر الخفى لهذه النشاطات (التبشيرية) ، ويوجد بها مركز تنظيم الدعاية للإرساليات الأجنبية جميعها[٢٧] . وتصاعدت هجمات الصحافة المصرية ، ضد الجامعة الأمريكية فى القاهرة . وضد الإرساليات التنصيرية الأجنبية . وقد إستطاعت الصحف – فى هذه المرحلة – أن تحصل على إحصائية خطيرة تكشف عما ينفق فى العام الواحد ، بالنسبة للإرساليات الإنجليزية والأيرلندية فقط ، على النحو التالى : « ٩٨٣٨٨ (مبشر) ، تحت سلطتهم ٨١ مدرسة وجامعة وكلية ، فيها ٧٩٩١ طالباً ، و١١٣ مدرسة

روضة أطفال ، بها ٤٠٣ طفلاً ، و٥٠٠ مستشفى ، و١٠٢٤ صيدلية لها ٤ مليون من الزبائن . وتبلغ أعداد إرساليات (التبشير) العامة ٣٨٣٨ درجة أولى ، والأخرى من الدرجة الثانية ، يبلغ عددها ٣٤٧١٩ إرسالية ، وجملة المبلغ الذى أنفق فى عام ١٩٣٢ هو خمسة ملايين جنيه إسترلينى »[٢٨] . وأشارت التقارير - فى هذه الفترة - إلى الدور الذى تقوم به أضخم مؤسسة لأعمال (التبشير) فى العالم ، وهى (جمعية الشبيبة المسيحية الدولية) ، ومقرها مدينة (نيويورك) ، والتى تضم ٩ آلاف فرع فى مختلف دول العالم ، وجملة أعضائها مليونى عضو ، فى نفس الوقت ، أشارت التقارير الواردة من (جمعية التوراة) ، والتى مقرها فى مدينة (لندن) ، ١٤٦ شارع الملكة فكتوريا ، عن توسيع نطاق حركة التوزيع فى مصر واليابان والصين .

وكان لهذه الإحصائية وقع خطير فى وجدان الناس ، فأخذت الصحف المصرية تنشر تفاصيل الحوادث التى ارتكبها المنصرون ، ضد الصبيّة والبنات المسلمين ، فى القاهرة وفى الأقاليم . فصدر تحذير من إدارة (الأمن العام) لجميع الصحف والدوريات ، بعدم التعليق على هذه الحوادث لأنها ماتزال قيد التحقيق[٢٩] . وكان غريباً حقاً هذه الهجمة التنصيرية الشرسة ، فى ذلك الوقت بالذات ، من جانب المنصرين الأجانب ، والذى لم يُسمع بمثلها من عشرات السنين فى مصر .

ويبدو أن صحيفة (السياسة) ، لم تعر تحذير إدارة الأمن العام أية أهمية ، وأخذت تهاجم ، فى عدة مقالات ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، لتقريرها على الطلاب كتب ومراجع ، تُعرِّض بالإسلام ، وبالنبى محمد ﷺ ، ونشرت (السياسة) ملخصاً لأحد هذه الكتب ، التى تمتهن كرامة ومشاعر المرأة المسلمة ، ويركز على المتع الجنسية[٣٠] . والذى لا جدال فيه ، أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، كانت - ولاتزال حتى اليوم !!- مركزاً نشطاً وخطيراً للتنصير فى مصر ، والعالم العربى . فقد كانت تقوم فعلاً ، بعمليات التنصير

لبعض الطلاب المسلمين ، وتحت تأثير التنويم المغناطيسى . وكان عميدها قد إعترف بذلك فى (عام ١٩٢٠) عندما قرر : « بأن (التبشير) يتم بين الطلاب المسلمين ، وإنه كان يشترط حضورهم الكنيسة ، وفصول دراسة الكتاب المقدس ، لمدة أسبوعين شهرياً »(٣١) . أليس فى هذا الإعتراف تحدٍّ سافر لمشاعر المسلمين فى مصر ، وتحد آخر لسلطة الدولة فى ذلك الوقت ؟!! وهكذا ثبت أن الجامعة الأمريكية ، مركزاً خطيراً للتنصير فى مصر ، ومنذ عام ١٩٢٠ !! والذى يثير الدهشة والمرارة ، أن أحدا من المسؤولين فى حكومة (إسماعيل صدقى) ، لم يتحرك ضد هذه المؤسسة التنصيرية الأجنبية ، التى استمرت تمارس نشاطها التنصيرى ، بحرية تامة ضد المسلمين فى مصر .

ففى يونية عام ١٩٣٢ ، نشرت الصحف بلاغاً لطالب مسلم آخر ، من طلبة الجامعة الأمريكية ، كان تقدم به للبوليس ، عن الضغوط التى مارسها ضده ، نفر من هيئة التدريس داخل هذا المعهد ، وهم بطبيعة الحال ، كانوا تابعين للإرسالية (التبشيرية) الأمريكية ، وغيرها ، لإجباره على التحول عن الإسلام إلى المسيحية(٣٢) . والطريف فى الأمر ، أن (وثائق الإرساليات) تدعى ، بشأن هذه الحادثة ، « أن هذا الطالب ، لجأ إلى هذه الحيلة لتغطية فشله ، عندما رسب فى الجامعة »(٣٣) .

حوادث التنصير فى الأقاليم المصرية

وكان نشاط المنصرين ، قد إمتد من (القاهرة) إلى الأقاليم ، فى محاولة من جانب الإرساليات لامتصاص هجوم الصحافة ، غير أن الصحف المصرية ، كان لها مراسلين فى كل إقليم ، وربما فى كل قرية ومدينة . ففى (بورسعيد) قامت ناظرة (مدرسة دار السلام) المدعوة بالمسز (رتسو – Rotso) ، بتنصير (تسعة) من طالبات القسم الداخلى المسلمات ، و (ثمانية) من طلبة

وطالبات القسم الخارجى[٣٤] . وإرتاع المسلمون فى طول البلاد وعرضها ، لهذه الحملة التنصيرية الشرسة ، إيما إرتياع ، وأخذوا ينتظرون ردّ فعل (حكومة صدق) ، التى كانت عاجزة تماماً عن إتخاذ أى إجراء ، ضد هذه الإرساليات الأجنبية التنصيرية ، التى كانت تحظى بحماية الإنجليز .

وأخذت الصحف المصرية ، بعد هذه الحادثة الخطيرة ، ومتحدية تحذيرات إدارة الأمن العام ، تنشر تفاصيل هذه الحادثة ، وحوادث أخرى ، كانت تحدث كل يوم . فقد نشرت مجلة (نور الإسلام) فى عام ١٩٣٢ ، « دخل أحد (المبشرين) مسجداً (بطنطا) ، وصلى مع المسلمين ، ثم طلب – بعد الصلاة – من شيخ المسجد ، أن يفسر له قوله تعالى : « يُخرج الحىّ من الميت ويخرج الميت من الحىّ » ؛ ففسرها الشيخ ، ولكن (المبشر) لم يقتنع ، وكان يحمل (ميكروسكوباً) ، مجهراً ؛ فطلب من أحد المصليين أن يذهب إلى (دورة المياه) ، خدمة للدين ، ويُحضر جزءاً من (منيّه) ففعل ، ثم وضعه (المبشر) تحت (المجهر – (الميكرسكوب) ، فظهرت الحيوانات المنوية سابحة ، (تتحرك) ، ورآها المصلون ، فأُسقط فى يد الشيخ والمصلين ، وأدركوا أنه (مُبشر) يريد تشكيكهم فى دينهم .. فحاولوا الفتك به فهرب »[٣٥] . وهكذا تزايدت وتعددت وسائل المُنصرين – فى تلك الفترة – على الإسلام والتشكيك فى قيمه . والهدف واحد دائماً ، وهو فقدان الثقة بين المسلم وقيمه الدينيّة ، ليسهل بعد ذلك سوقه إلى أى طريق يريـده هؤلاء المنصرون .

وكما كانت حوادث التنصير ، قد إمتدت إلى الأقاليم بعيداً عن القاهرة ، مركز الصحافة ، امتدت كذلك ، نشاطات المنصرين إلى مساجد الأقاليم ، كما كانت لهم – كذلك – بهذه الأقاليم ، منابر خاصة بهم ، كجمعية الشبان المسيحيين ، التي كانت لها فروع فى معظم الأقاليم الجنوبية .

حادثة أسيوط عام ١٩٣٢

ففى مارس ١٩٣٢ ، نشرت الصحف حادثة بنات (أحمد علوبة) المحامى ، (بأسيوط) ؛ « كان (أحمد على علوبة) ، أحد المحامين المعروفين ، فى أسيوط . وكان قد ألحق بناته فى إحدى مدارس الإرساليات (التبشيرية) بأسيوط ، وغالباً هى (مدرسة الأمريكان) ؛ وقد لاحظ عليهن قلقاً وإرتباكاً ، أدى إلى حالة عصبية جعلت الكبرىٰ منهن تبكى بمرارة ، حين سألها والدها عما بها ، وبعد إلحاح منه قالت له : « إنها لكثرة ما تسمع عن الدين المسيحى ، ولما يشار به من عبارات موجزة ، ومن طرف خفى تشعر ، وهى مسلمة صالحة تحب الإسلام ورسوله ، بشئ من تزعزع العقيدة » . وهذا الأمر ، هو الذى يدعوها لذلك ، الذى تعانى منه ، وهو الألم والحزن . فإن الصلاة التى يؤديها التلاميذ والطلبة كل يوم ، وما يشعرون به من عطف الأساتذة والمعلمات إزاءهم وإزاءهن ، تجعلهم يميلون إلى دين ينافس فى قلوبهم وأفئدتهم ، دين آبائهم وأجدادهم ، ويورثهم هذا القلق ، وينتهى هذا التطاحن بين العقيدتين آخر الأمر إلى إسكات الضمير الدينىٰ ، إسكاتاً هو الإلحاد ، واللا إرادية والشك ، وهو الرغبة عن دينهم إلى دين معلميهم وأساتذتهم .

« وقد كتب (أحمد علوبة) إلى المدرسة أو الكلية الملحقة بها بناته ، مراعاة العاطفة الدينية للطالبات ، « **فلا تجبروا كريماتى ، وهن مسلمات على حضور الصلاة فى كنيسة المدرسة ، وعلى حفظ الإنجيل ، وحضور الإجتماعات التى تبحث فى الأمور الدينية** » ؛ وقد أرسلت إليه ناظرة الكلية فى (٢٧ فبراير عام ١٩٣٢) خطاباً مسجلاً ، تقول فيه : « **أنها تأسف لعدم إمكانها إجابة طلبه ، لأنه مخالف للقواعد التى وضعتها الإرسالية لجميع مدارسها ، وليس فى مدرسة واحدة ، أن تسير على غير ما هو مُتبع فى غيرها** » . وكانت النتيجة أن سحب الرجل بناته من المدرسة(٣٦) . أليس فى

هذه الحادثة الخطيرة ، ما يُثير المشاعر والعواطف الدينية ، لدى مسلمى أسيوط ؟، بل لدى مسلمى مصر كلها ..؟!!

ويقول الإمام الداعية الشيخ (حسن البنا) - فى مذكراته - « انه وردت إليه تقارير من (شُعبة المنزلة) فى شوال ١٣٥١ هـ (١٩٣٢) ، عن إنقاذ الشُعبة لفتاة مسلمة فقيرة ، أغوتها عن دينها مدرسة (السلام البروتستانتية) ؛ فاستخلصت الشُعبة الفتاة من المدرسة ،.. وعن إنقاذ الشُعبة - كذلك - لخمس فتيات هربتهن الإرسالية البرتستانتية (ببورسعيد) إلى (المنزلة) تمهيداً لتنصيرهن »[٣٧] .

وذكرت صحيفة (البلاغ) أن الإرساليات (التبشيرية) تستخدم التنويم المغناطيسى ، فى عمليات تحويل المسلمين إلى المسيحية ، ووصف (البلاغ) الإرساليات (بالمجرمين) . وإشتركت معها صحيفة (السياسة) فى هذا الوصف . كما أن الصحيفتان أدانتا الحكومة (الصدقية) لموقفها المتخاذل تجاه هذه الهجمة الشرسة على المسلمين المصريين ، والإسلام عامة . وإقترحت (البلاغ) « أن يصدُر قانون يخول لوزارة المعارف العمومية ، حق الإشراف على المناهج والمواد الدراسية فى المدارس ، التى تديرها هذه الإرساليات الأجنبية »[٣٨] . ولكن الحقيقة المؤلمة ، أن هذا القانون لم يصدر إلّا فى أواخر الأربعينيات (١٩٤٥) !!

وأمام ثورة الصحافة العارمة ، أعلن شيخ الأزهر (الشيخ الأحمدى الظواهرى) قائلاً : « طلبت من الحكومة سن تشريع لمنع نشاط هؤلاء (المبشرين) فى الديار المصرية ، كما أنشأت لجنة من هيئة كبار العلماء ، للبحث فى هذا الموضوع من الناحية العلمية ، تقوم بتجميع الكتب التى وضعها (المبشرون) للطعن فى الدين الإسلامى ، وتردُّ عليها »[٣٩] . ولكن يبدو أن الصحف المصرية ، ومن بينها (البلاغ) و (السياسة) لم تقتنع

بموقف (شيخ الأزهر) من الإرساليات التبصيرية ؛ « فأدانوه لتخاذله تجاه الإرساليات » .

وبعد عودة رئيس الوزراء (إسماعيل صدقى) ، من رحلة العلاج فى نهاية عام ١٩٣٢ ، وقعت حادثة خطيرة ، من جانب أحد المُنصرين الأجانب ، « عندما قام هذا المُنصر بالوعظ لمجموعة من الحجاج المصريين ، كانوا فى طريقهم لمغادرة (بورسعيد) ، لأداء الفريضة ، إلى بيت الله الحرام ، ولكن البوليس تمكن من إبعاد هذا المنصر ، قبل أن يفتك به جموع الحجاج »[٤٠] . وقد إحتج (إسماعيل صدقى) على ما قام به هذا المنصر ، وأعلن إستياءه للصحافة . كما أن شيخ الأزهر (الأحمدى الظواهرى) ، أثارته الحادثة ؛ فكتب يقول : « انه لا يليق بحكومة دولة إسلامية قيادية ، أن تسمح بوجود هذا الخطر ، من جانب الإرساليات ، دون قيود »[٤١] . غير أن هؤلاء المنصرون ، وعندما تشتد ثورة المسؤلين الحكوميين ضد أفعالهم ، كانوا دائماً يدّعون فى وثائقهم الرسمية ، « بأن الإرساليات المستقلة ، وشبه المستقلة ، والتى لم تكن خاضعة لإشراف أية هيئة ، هى التى كانت تسبب هذه الحوادث الخطيرة ، وغيرها من الحوادث الأكثر خطورة »[٤٢] .

ردود فعل القوى الشعبية فى الأقاليم

كان من الطبيعى ، أن يكون هناك صدى لهذه الأفعال التنصيرية ، من جانب القوى غير الحكومية ، مادامت الجهات الرسمية فى الدولة ، كانت عاجزة عن الردّ . وبعد يوم أو يومين من حادثة إختطاف الطالب المسلم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، « تحت تأثير التنويم المغناطيسى » ، تفجرت ثورة شعبية عارمة ضد المُنصرين ، من جانب المسلمين الغيورين على الإسلام ، كردّ فعل طبيعى لحوادث التنصير الإستفزازية ، التى قامت بها الإرساليات

الأجنبية . وكان ردّ الفعل هذا قد شمل المناطق التى وقعت فيها الحوادث .

« ففى (القاهرة) هاجم لفيف من الشبان المسلمين مقر (مكتبة) لبيع كتب المُتصرين ، و (الكتاب المقدس) ، عندما كان أحد المُتصرين يقوم فيها بالوعظ مع بعض أعوانه ، لخمسة من الطلاب المسلمين . ونجح الشبان المسلمين فى تفريقهم بعد أن أوسعوهم ضرباً ، وأغلقوا (المكتبة) » . وفى منطقة (وجه البركة) هاجمت الجماهير المسلمة الغاضبة ، إحدى جماعات التنصير بالعصى(٤٣) .

وفى مدينة (طنطا) – وفى ٢٠ فبراير ١٩٣٢ – قام بعض أقارب أحد الشبان المسلمين ، الذى غُرر به ، وتحول عن الإسلام إلى المسيحية ، بإحتجازه بالقوة فى المنزل ، ومنعوه من التردد على كنيسة (المبشرين) . وتدخلت الإرسالية الأجنبية ، فى محاولة من جانبها ، لإستعادة الشاب الذى نصّروه . غير أن أهله وذويه ، إشتبكوا مع بعض نفر من رجال الإرسالية التنصيرية ، ونجحوا فى أن يعيدوا للشاب المتحول ، صوابه وعاد إلى إسلامه نادماً »(٤٤) .

وفى (البحيرة) وقعت بعض حوادث إعتداء على المُنصرين ، من جانب الأهالى المسلمين ، ففى مدينة (دمنهور) إعتدى على أحد القساوسة الأقباط ، الذى كان على إتصال برجال التنصير . وقد إستنكرت (السياسة) ، بعض التصرفات ، مثل الإعتداء بالضرب على القس القبطى فى دمنهور ، وغيره فى القاهرة ، وإنما تعاطفت مع الحوادث التى وقعت فى أقليم (البحيرة) على بعض المُنصرين الإنجليز ، الذين كانوا يحاولون أن يبرهنوا على أن المصريين متعصبين ، وأنهم لا يؤتمنون على أرواح الأجانب »(٤٥) .

وفى (سوهاج) هاجمت الجماهير المسلمة الغاضبة ، (عوامة نهرية) ، كانت تابعة لإحدى الإرساليات التنصيرية الأجنبية ؛ فقد كانت مثل هذه (العوامات) ، التى يسكنها المنصرون المتجولون ، مصدراً خطيراً لإغواء

الشباب المسلم ، بتقديم النساء الأجنبيات لهم لإفسادهم ، وتنصيرهم ، ولجذب الأطفال الصغار ، وتقديم الهدايا والحلوى لهم لتنصيرهم ؛- وقد أبلغ المتنصر (كلافام Clapham) ، الذى كان بداخل العوامة مع غيره من الرجال والنساء ، ساعة الهجوم عليها ، أبلغ (دار المندوب السامى البريطانى) فى القاهرة ، قائلاً : « إن (الغوغاء) أصرّوا على أن (المرسلين) يفسدون الأطفال والشباب المسلمين ، وأنهم - (أى المتنصرين) - يستخدمون إحدى (المرسلات) فى إغراء الشباب »(٤٦) . ثم أعقب ذلك عدة إعتداءات أخرى ، من جانب الغيورين على الإسلام ، ضد هؤلاء المتنصرين - كانت على نفس النمط - فى بعض الأقاليم الأخرى ، فى الصعيد ، وخاصة فى مدينة (طهطا) .

دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة وحماية الإرساليات

وأمام تصاعد موجة الغضب الإسلامية ، علق مسؤول بدار المندوب السامى البريطانى - « على التزايد الملحوظ ، لردود فعل الشعب المصرى ضد الإرساليات التنصيرية وأفعالها ، وكما أسماه (حوادث العداء ضد المرسلين فى الأقاليم ، وخاصة فى طهطا) ، وإقترح ، « أن يقوم (مجلس الإرساليات الأجنبية المشترك) ، بتوجيه النصح لأعضاءه ، فى الأقاليم ، بأن يمتنعوا عن التصرفات الإستفزازية لمشاعر المسلمين ، ولو مؤقتاً ، حتى تهدأ ثائرة المسلمين » . وبناءً عليه ، أرسل (مجلس الإرساليات) خطابا وصف بأنه (تحذيرى) ، لمراكز الإرساليات التنصيرية بالأقاليم المصرية ، « لوقف النشاط (التبشيرى) حتى تهدأ مشاعر (الغوغاء) المسلمين ،... »(٤٧) أليس فى هذه الوثيقة ، لدليل دامغ لدار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، ولمجلس الإرساليات التنصيرية الأجنبية المشترك ؟! وهكذا كانت دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، مركزاً خطيراً - أيضاً - لدعايات وتوجيه المتنصرين

الأوغاد ، والتنسيق لهم حتى تستمر أعمالهم الخبيثة ضد المسلمين والإسلام في مصر .

ومع ذلك ، وبالتحديد في أول يونيه عام ١٩٣٢ ، تجرأ بعض أعضاء إحدى الإرساليات الأجنبية ، وقاموا بعقد (صلاة) أمام مبنى (جمعية الشبان المسلمين) بالقاهرة . وكان من الطبيعي أن يثور المسلمون ، لهذه الإستفزازات المتعمدة ، وأن يتصدوا لهذا النفر من المتنصرين ، وبالفعل نجح الشبان المسلمين في تفريقهم ، بالعصيّ والحجارة . وقد علقت صحيفة (السياسة) على هذه الحادثة ، بقولها : « انه من الغريب أن تجد جميع الأديان ، ما عدا الإسلام ، الحماية في دولة المسلمين »[٤٨] . كما كان تعليق المتنصر (جرافتي سميث . L. Graffrey s ، على هذه الحادثة ، وتصرف هذه الإرسالية ، خبيثاً للغاية ، عندما قال : « بأنه عمل سيئ للغاية ، ولم يأت في الوقت المناسب »[٤٩] .

وأمام هذه الفوضى ، من جانب المتنصرين ، الذين كانوا يمرحون ويصولون ويجولون في حماية الإمتيازات الأجنبية ، وسيطرة دار المندوب السامي البريطاني ، « إندفع النائب عبدالحميد سعيد ، الذى كان رئيساً لجمعيات الشبان المسلمين ، وقدم استجواباً لرئيس الحكومة في ١٧ فبراير عام ١٩٣٢ ، يسأل فيه عن الإجراءات التي يتفكر فيها حكومته ، لمنع جرائم الإرساليات ، التي تكاثرت بصورة ، مُخجلة للحكومة »[٥٠] . وظل هذا الاستجواب معلقاً لفترة من الزمن !!

فقد كان (إسماعيل صدقي) - في وقت (لاحق) - « قد أوضح للمندوب السامي البريطاني (بيرسي لورين Sir, Percy Loraine) ، الموقف المحرج الذى وضعت فيه الحكومة المصرية ، أمام الرأى العام الإسلامي ، وأعرب عن أمله ، أن يتم إجراء للسيطرة على الإرساليات (غير الملتزمة) » . « فإقترح عليه (المندوب السامي) ، أن يؤجل الردّ على إستجواب

(عبدالحميد سعيد) . فوافق (صدق) على تأجيل الردّ على الإستجواب ، ولكنه أوضح له أنه لا يمكنه تجاهله » . وأمام هذا الإصرار من جانب (صدق) ، كان ردّ (لورين) فى شكل تحذير ، هذه المرة ، فقال له : « وان إستمرار الإعتداء على الإرساليات يمكن ، أن يُثير إعتراض الأجانب على تعهد مصر – عند إبرام المعاهدة – بمسؤولية حماية الأقليات »(٥١) .

وبعد هذا بفترة قصيرة ، ناقش (صدق) و (توفيق دوس) ، وزير المواصلات ، المشكلة مع إثنين ، من رؤساء الإرساليات التنصيرية العاملة فى مصر ، وهما من أقطاب المُنصرين فى الشرق الإسلامى كله ؛ الأول ، (ماكيلنهان R.S. Mcclemahan) ، رئيس المجلس الفرعى (للتبشير) ، والثانى ، (مورسون S.A. Morrison) ، سكرتير مجلس الإرساليات المصرى المشترك ، وفى أثناء المباحثات ، أصرّ (صدق) على : « أن حرية العقيدة لا تعنى حرية التهجم على الديانات الأخرى ، وأنكر حق الإرساليات فى (التبشير) بين المسلمين . »(٥٢) وذكر كذلك – « أننى قد أبلغت (مستر لورين) – من قبل – أن للإرساليات حرية العمل بين المسيحيين فقط ، من أبناء هذا الوطن ، ولكنهم يسببون مشكلات كثيرة ، عندما يركزون نشاطهم على المسلمين »(٥٣) . ويبدو أن (صدق) لم يصل إلى نتائج إيجابية فى هذه المقابلة

لذلك عندما أجاب (إسماعيل صدق) على إستجواب (عبدالحميد سعيد) قال : « ان الحكومة قد حققت فى الحوادث ، وأنها طلبت من (المبشرين) أن يقصروا نشاطهم على أبناء دينهم »(٥٤) . ولم يستطع رئيس الوزراء ، أن يضيف هل وافق المنصرون على هذا التحديد أم لا ؛ أى التنصير بين الأقباط فقط ، فلم يكن بمقدور الرجل ، إرغامهم على ذلك ، لأن (الحكومة الصدقيّة) ، وأى حكومة مصرية ، كانت مسؤولة عن إحتواء غضبه الشعب المصرى المسلم ، لأنها إذا ما فشلت فى ذلك ، فإنها كانت مُعرضة لخطر الإقالة ، بعد أن تتولى (دار المندوب السامى) فى القاهرة – بطبيعة الحال –

هذه المسؤولية ، عن طريق تعيين حكومة أخرى ، تكون أكثر خضوعاً لرغبات المُنصرين الأجانب !!

وقد وجد (لورين) أن ردَّ (إسماعيل صدق) على إستجواب (عبدالحميد سعيد) ، مُرضى بدرجة مقبولة ، إلا أنه لم يسره أن (صدق) ، كان مقتنعاً (بالإتهامات) التى وجهت ضد (المرسلين) . ومع ذلك بقيت حكومة (صدق) - المفروض أنها المسؤولة أصلاً عن حماية الإسلام ، دين الأغلبية الساحقة من المصريين ، والدين الرسمى للدولة - برضى (المندوب السامى) ، غير مهمومة بما يحدث فى البلاد ، من أفعال المُنصرين ، ضد الإسلام والمسلمين . فى الوقت نفسه ، كان المسلمون فى مصر يكرهون أن يروا حكومتهم تُرغم على السماح للإرساليات التنصيرية ؛ بالقيام بتنصير المسلمين وتحويلهم إلى حظيرة المسيحية ، ويالها من مأساة !!

موقف صحيفة (الإخوان المسلمين)

لم ترض الصحافة المصرية ، بردّ (إسماعيل صدق) ، وإستمرت فى هجومها على الإرساليات ، والحكومة . وأخذت تفضح نشاط المُنصرين فى كل مكان ، وبصورة مكثفة . واستمرت المقالات تظهر فى الصحف ، مُندِدة بأفعال المُنصرين ، وبمن يتعاون معهم ويحميهم من الأقباط المصريين ، ومن الإنجليز . ودخلت صحيفة (الإخوان المسلمين) ، هى الأخرى الميدان ، شاهرة سيفها الماضى .

وعندما ظهرت صحيفة (الإخوان) فى أواخر شهر مايو عام ١٩٣٣ ، أخذت تتابع دور (شُعب) الإخوان فى مقاومة نشاط المُنصرين[٥٥] ، وأخذت الصحيفة تستثير حمية المسلمين ، بالمقالات ، والأشعار ، ضد (عدوان المبشرين) ، على البلد الأمين[٥٦] . وركزت دعوة الإخوان إهتمامها

فى كشف وفضح وسائل المُتصرين ، وإستغلالهم لفقر الفقراء ، ويتم اليتامى ، وإستثارت ردود الفعل العنيفة دفاعاً عن الدين .

وعندما إنعقد (مجلس الشورى العام) ، لجماعة الإخوان فى عام ١٩٣٣ ، أرسل المجلس عريضة للملك فؤاد ، فى ٢٢ صفر ١٣٥٢ هـ ، يطلب إليه فيها : « حماية المصريين من عدوان (المبشرين) ، كما إقترح عليه المجلس خمس إقتراحات هى :

١ - فرض الرقابة على المدارس والمعاهد ودور (التبشير) .
٢ - سحب رخصة أى مدرسة أو مستشفى يثبت اشتغالها (بالتبشير) .
٣ - إبعاد كل من يظهر أنه يعمل على إفساد العقائد ،
٤ - إمتناع الحكومة عن معاونة إرساليات (التبشير) ، سواء بالمال أو بالأرض .
- الإتصال بممثلى مصر فى الخارج ، لحث الحكومات الأجنبية ، على مساعدتهم فى هذا الأمر(٥٧) . وظلت جماعة الإخوان ، وصحفها تمارس نشاطها الفعلى فى التصدى ، لعمل الإرساليات التنصيرية ، حتى ما بعد منتصف الثلاثينيات تقريباً ، وتقاوم النشاط التنصيرى ، بكل ضراوة .

وأمام عجز الحكومة ، كان للتنظيمات السياسية كلمة وموقفاً . وهذا ما سنعرض له فى الفصل التالى .

هوامش الفصل التاسع

(١) أنور الجندى – المرجع السابق . ص/٩٣ - ٩٤ .

(٢) صحيفة البلاغ ، ٢٨ مايو عام ١٩٢٨ .

(٣) مضبطة مجلس النواب ، جلسة ٢٨ مايو عام ١٩٢٨ . وأنظر كذلك . صحيفة البلاغ فى ٣ يونية عام ١٩٢٨ .

(٤) صحيفة الأهرام ، ٩ اكتوبر ١٩٢٨ .

(٥) صحيفة الفتح ، ٨ أكتوبر ١٩٢٨ وأنظر كذلك . صحيفة الأهرام ، ١٣ أكتوبر ١٩٢٨ .

(٦) ظهرت (الفتح) عام ١٩٢٦ ، وصدر العدد الأول منها فى ٢٩ من ذى القعدة ١٣٤٤ هـ/١٠ يونية عام ١٩٢٦ .

أنظر : محمود فياض (دكتور) – الصحافة الأدبية بمصر والاتجاهات القومية ، (١٩١٤ – ١٩٤٠) ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، القاهرة ، ١٩٧٦ . ص/٢١٠ – ٢١٤ .

وراجع أعداد الفتح من الصحيفة (٨٢ – ٩٣) .

(٧) صحيفة الفتح ، العدد ٩٣ لسنة ١٩٢٨ – (يناير) .

(٨) صحيفة الفتح ، العدد ٩٤ لسنة ١٩٢٨ – (فبراير) .

(٩) صحيفة الفتح ، العدد ١٥٥ لسنة ١٩٢٩ – (٢١ مارس) .

(١٠) صحيفة الفتح ، العدد ١٦١ لسنة ١٩٢٩ .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) أنور الجندى – الإسلام فى وجه التغريب . ص/٤٥ .

(١٣) الأرشيف الخاص بنشاط الإرسالبات (التبشيرية) ، قسم الولايات المتحدة .
V.S. Department of state Archives; No. 883. 404/18. 1930.

(١٤) ولد الشيخ المراغى عام ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ، بالمراغة من أعمال مديرية سوهاج ، وقد أختير فى عام (١٣٤٧ هـ) ، ١٩٢٨ م شيخاً للأزهر الشريف ، وقد إعتزل الشيخ منصبه فى عام (١٣٤٨ هـ) ، ١٩٢٩ م بعد أن مكث فيه أربعة عشر شهراً .

لمزيد من التفاصيل انظر : عبدالمتعال الصعيدى – المجددون فى الإسلام . ص/٥٤٦ – ٥٤٩ .

(١٥) سعد الدين الجيزاوى (دكتور) – المرجع السابق . ص/١٩٧ .

حيث يذكر »: بعد مؤتمر (دمنهور) إعتبر (الملك فؤاد) ، ان هذا العمل من جانب الشيخ المراغى ، نشاط سياسى ودعاية له ، بعد إعتزاله منصبه من مشيخة الأزهر ، لخلافات حادة بينه وبين الملك ، الأمر الذى جعل الملك يوعز إلى (الشيخ الظواهرى) – الذى كان وقتها شيخاً للأزهر – بأن يعقد مؤتمراً مماثلاً بالقاهرة . وبالفعل عقد (الظواهرى) مؤتمراً حضره العلماء ، وجمعوا أموالاً طائلة لمقاومة (التبشير) ، وقد رئى حينئذاك أن يشترى بهذه الأموال ، أطيان زراعية ، يُرصد ريعها لمقاومة نشاط (المبشرين) !! ويذكر الجيزاوى ، « بأن السيد أبو الوفا المراغى ، حدثنى فى هذا الموضوع » .

(١٦) خالد نعيم (دكتور) – تاريخ جمعية مقاومة التنصير المصرية . ص/٨ .

(١٧) خالد نعيم (دكتور) – المصدر السابق .

نقلاً عن : أحد منشورات (جمعية مقاومة التنصير المصرية) . المنشور بالملاحق !! .

(١٨) كان إسماعيل صدقى قد تولى رئاسة الحكومة مرتين ، وكانت المرة الثانية (٤ يناير ١٩٣٣ – ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣) .

(١٩) Egyptian Gazette; 25 February, 1931; P.5

(٢٠) Ibid;

(٢١) أميل الغورى – فلسطين عبر ستين عاماً ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٧٣ . ص/٢٣٠ – ٢٣١ .

(٢٢) المصدر السابق . ص/٧٩ – ٨٠ .

(٢٣) حسن صالح عثمان (دكتور) – فلسطين فى سيرة الشهيد عبدالقادر الحسينى ، مجلة الحرس الوطنى ، السعودية . العدد ٦٣ – جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ (يناير ١٩٨٨) . حيث يذكر : « أن عبدالقادر أخرج من الجامعة الأمريكية قبل أن يتم دراسته فيها ، وطُرد من مصر بأمر من رئيس وزرائها (إسماعيل صدقى) لميوله الوطنية ، وتهجمه على الإنجليز وحلفائهم الأمريكيين » .

(٢٤) صحيفة السياسة ، ٦ فبراير عام ١٩٣٢ .

(٢٥) محمد حسين هيكل (دكتور) – مذكرات فى السياسة المصرية . جـ١ . ص/٢٧٢ .

(٢٦) وثائق محفوظات إرساليات الكنيسة ، بوزارة الخارجية البريطانية ، لندن ، ١٩٢٢ - ١٩٢٧ .

Church Missionary society archives, London;
G 3E/L5; 1922 - 1927.
F.O.. 371/1/16/24.; J 710/710/16.

(٢٧) محمد حسين هيكل (دكتور) - المرجع السابق . حـ١ . ص/٢٧٢ .

(٢٨) أنور الجندى - المرجع السابق . ص/٤٣ .

(٢٩) F.O.; 371/1/16124; J 710/710/16.

(٣٠) صحيفة السياسة ، ٣١ مايو عام ١٩٣٢ . ص/٥ .

(٣١) أرشيف إرساليات الكنائس العالمية ، لندن ، ١٩٢٦ .

Minutes of the Annual Conforence of the Egypt inter- Mission council; 30 April 1926; P.P. 11 - 12.

(٣٢) F.O.; 141/613; 376/1/36.

(٣٣) Ibid;

(٣٤) مضبطة مجلس الشيوخ ، جلسة ٢٧ يونية عام ١٩٣٣ .

(٣٥) سعد الدين محمد الجيزاوى (دكتور) - العامل الدينى فى الشعر المصرى الحديث . هامش صفحة ٢٠٠ حيث يذكر : « ورحم الله الشيخ (الدجوى) فقد ردّ على هذه الشبه ، وبيّن أن حياة (الميكروب) المنوى لا قيمة له وحدها ، إذ أنها لا تنتج إلّا بإختلاطها (بميكروب) المرأة ، فى مقالات طوال ، نشرت بمجلة نور الإسلام » .

(٣٦) أنور الجندى - الإسلام فى وجه التغريب . ص/١٨٤ .

(٣٧) حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية . ص/١٥٩ - ١٦٠ .

(٣٨) Egyptian Gazette; 9 sep.; 1923; P.P. 4, 6.

(٣٩) فخر الدين الأحمدى الظواهرى (دكتور) - السياسة والأزهر . من مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى ، القاهرة ، ١٩٤٥ . ص/٣١٥ .

وأنظر نص الخطاب ، الذى أرسله الشيخ للحكومة المصرية ، بهذا الشأن . ص/٣١٦ - ٣١٧ .

(٤٠) لولا قوات البوليس المصرى ، لمات هذا المُنصر . وعندما إستجوب قال : « إن رسالته إنقاذ هؤلاء المصريين من الظلام ، الذى يعيشون فيه » . وقال : « اننى كنت إذا

مت ، فسأكون شهيداً » .

أنظر : F.O.; 141/702; 225/11/32.

(٤١) (نور الإسلام) – مجلة الأزهر . المجلد (٤) عام ١٩٣٣ . ص/٢٠٩ – ٢١١ .

(٤٢) F.O.; 371/17976; J 2067/7/16.

(٤٣) F.O.; 141/202. 225/13/32.

(٤٤) Ibid;

(٤٥) صحيفة السياسة ، ٢١ أبريل عام ٩٣٢ . ص/٤ .

(٤٦) F.O.; 141/702; 225/13/32.

(٤٧) Ibid.;

(٤٨) صحيفة السياسة ، ٣ يونية عام ١٩٣٢ ص/٧ .

(٤٩) F.O.; 141/723; 278/3/32.

(٥٠) مضبطة مجلس النواب ، جلسة ١٧ فبراير عام ١٩٣٢ .

(٥١) F O.; 371/16124; J 710/710/16.

وأنظر كذلك : F.O.; 141/702; 225/8/32.

(٥٢) F.O.; 141/702; 225/11/32.

(٥٣) Ibid.

(٥٤) F.O.; 141/702. 225/12/32.

(٥٥) لوحظ أنه فى السنوات الخمس الأولى ، أ أة جماعة (الإخوان المسلمين) ١٩٢٩ – ١٩٣٤ تأسست نحو خمسة عشر (ش .ة) لها ، بالقاهرة والإسماعيلية وبورسعيد ، والبحيرة ، (شبراخيت – المحمودية) ، وفى الدقهلية (المنزلة والجمالية وميت مرجا) ، وفى القليوبية (شبلنجا) ، وفى الغربية (طنط) وفى السويس وفى دمياط وفى الشرقية (أبو حماد) ، ووجد غالب تلك الشُعب فى منا ن مراكز (للتبشير) ، وكان من الطبيعى أن يحدث الصدام بين الهيئتين !!

(٥٦) صحيفة (الإخوان المسلمين) ، ٢٠ ربيع الأو. ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣) .

(٥٧) صحيفة (الإخوان المسلمين) ، ٢٧ ربيع الأو ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣) .

وأنظر كذلك : حسن البنا ، مذكرات الدعوة والداعية . ص/١٤٥ – ١٦٢ .

الفصل العاشر
موقف الصحافة والتنظيمات السياسية من حوادث التنصير عام ١٩٣٣

- حادثة زواج (نظلة غنيم) من شاب قبطى .
- حادثة محاولة تنصير (تركية حسن) .
- الصحوة الإسلامية الشعبية ومحاولة إجهاضها .
- موقف صحف (الفتح) و (البلاغ) و (االكشكول) .
- موقف حزب الوفد .

مع بدايات عام ١٩٣٣ غدا موقف حكومة (إسماعيل صدق) سلبياً للغاية ، تجاه نشاط الإرساليات التنصيرى فى مصر ، مما جعل الصحافة والأحزاب السياسية ، تقوم بدورها الإيجابى فى التصدى وفضح هذا النشاط التنصيرى الخطير ، خاصة عندما تصاعدت حوادث المُنصرين فى تلك السنة

حادثة زواج (نظلة غُنيم) من شاب قبطى :

كان للدكتور (محمد حسين هيكل) ، ومساعده (أحمد نجيب) فى جريدة (السياسة) ، دوراً كبيراً فى فضح نشاطات المُنصرين وحوادثهم الخطيرة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين فى مصر . لقد إستطاعت (السياسة) فى هذه المرحلة ، أن تكشف دور (التبشير) فى خدمة الإستعمار ، فى ظل تحد سياسى هو خصومتها لحكومة (إسماعيل صدق) ، التى حالفت حزب (الأحرار الدستوريين) أول الأمر ثم تخلت عنه . ومع ذلك ، فدور (السياسة) فى هذا المجال إيجابياً .

ففى أبريل عام ١٩٣٣ ، نشرت الصحف حادثة خطيرة ، إهتز لها الرأى العام المصرى كله ، والرأى العَام الإسلامى ؛ وهى زواج إحدى الفتيات المسلمات ، وكانت تدعى (نظلة غنيم) من شاب قبطى بروتستانتى ؛ مع الأخذ فى الإعتبار أن الإسلام يُحرِّم زواج المسلمة من غير المسلم ؛ لكن الذى حدث ، وزاد الطين بلة ، انه قيل ساعتها ، « أن المرأة تحولت عن الإسلام ، وإعتنقت المسيحية ، وأن تحويلها هذا قد تم تسجيله رسمياً فى مجلس الطائفة البروتستانتية ، وهو الهيئة التى ترأس الطائفة »(١) .

وتوجهت همة الصحافة المصرية ، وفى مقدمتها جريدة (السياسة) إلى التنديد بالفتاة ، وبمن غرّر بها ، من (المبشرين) . وأشارت (السياسة) وغيرها إلى : « أن المُنصرين الأجانب هم الذين دبروا هذه الزيجة » . فى نفس

الوقت ، أخذ لفيف من المفكرين والكتاب العلمانيين ، الذين يسيطرون على بعض الصحف اليومية العربية ، من أمثال : « طه حسين وتوفيق دياب وعلى عبدالرازق » ، يقللون من جسأمة الحادثة ، ويهونون من شأن نشاطات المتَنصرين الأجانب فى مصر . وقد وصف البعض منهم ، أفعال وتصرفات (المبشرين) ، بأنه (خطر وهمى) .

ومما قاله (طه حسين) : « ...... من المحقق أن الإسلام لن يضعف إذا خرجت منه (نظلة غنيم) ، وأن المسيحية لن تقوى إذا دخلت فيها (نظلة غنيم) »[٢] . أليس هذا موقفاً سلبياً ، من الهجمة التنصيرية الشرسة ، من طه حسين !!

ثم أعقبه (شيخ له عمامة مهيبة) ، وهو (على عبدالرازق) قائلاً : « ان هذه الحركة ، لا يمكن أن تؤثر فى الإسلام ، أو تضعف من شوكته ، فهى ليست بأقوى ولا أخطر مما لقى الإسلام فى بدأ ظهوره من مظاهر العداء والكيد ، وان الحركة (التبشيرية) إنما هى وسيلة من وسائل المستعمرين ، تتصل بسياستهم إتصالاً متيناً . ولكنها مع ذلك لن تفيدهم فى مصر شيئاً ، وان الإسلام سيظل برغمها كما كان دين الحضارة والمدنيّة ؛ أن أولئك (المبشرين) أقل شأناً من أن يصلوا بكيدهم إلى حمى الإسلام ، أو ينالوا من الإسلام منالاً ، فالإسلام دين قد صهرته الحوادث ، وتقلبت به الفتن ، وعصرته التجارب ، ان خطر (المبشرين) سياسى وخلقى أكثر مما هو دينى »[٣] . هكذا يصور الشيخ المُعمم ، الإسلام على أنه دين روحانى لا علاقة له بالدولة أو المجتمع ، ويصف خطر المُنصرين بأنه خطر وهمى ؛ فكيف يكون هذا الأمر التنصيري (خطر وهمى) ، وعدد (المبشرين) الذين كانوا يعملون فى مصر – فى ذلك الوقت – يبلغ ٣٩٢ (مُبشراً) ، وأن الحكومة المصرية ، كانت تمنح الهيئات (التبشيرية) تسهيلات جمركية ، فى حدود ما لا يقل عن (مائة ألف جنيه) فى عام ١٩٣٢ – ١٩٣٣[٤] .

وعندما أخذ البعض يلوم (طه حسين) على موقفه – ومنهم لطفى جمعة ، وفريد وجدى ، والخضر حسين ، ومحمد أحمد الغمراوى ،– السلبى هذا تجاه المُنصرين ، وحادثة (نظلة غنيم) ، وقالوا له : « ان كلمته المسمومة جاءت بعد صمته الطويل ، الذى كان بلا مبرر »[٥] ، كان ردّ حلفائه العلمانيين ، ومن هم على شاكلته : « هل كانوا يريدون منه أن يجسد أمام الشعب خطراً وهمياً هو خطر (التبشير) ، فيجعل من هذا الخطر الوهمى شغلاً شاغلاً للأمة ، فى وقت ينبغى أن تنشغل فيه الأمة بخطر الإستعمار والتخلف الذى كانت تعانى منه فى مختلف المجالات ؟.. هل كان من المفروض على (طه حسين) أن يُشعل حرباً فى البلاد من أجل عيون (نظلة غنيم) ، هذه الفتاة التافهة المجهولة ؟... صحيح أن الإسلام يعاقب المرتد عقاباً حاداً وشديداً ، ولكن هذه المهمة ليست مهمة (طه حسين) ، فهو مفكر يهمه حماية المجتمع وحماية الإسلام إذا تعرض لخطر جدى ، لا خطر وهمى لا قيمة له »[٦] . وجاء الردّ فى شكل « عذر أقبح من ذنب » ، فما كانت كلمات (طه حسين) إلّا شرارة الحرب ، وبهذا كان العلمانيون يحاولون التقليل من جسامة نشاط المنصرين الأجانب ، فوصفوا هذا النشاط الخطير ، بالفشل .

وظلت قضية (زواج نظلة غنيم) تشغل الرأى العام حتى أغسطس ١٩٣٣ ، عندما أكدّ قاضى المحكمة الشرعية فى مدينة (طنطا) ، فى تعرضه لمشكلة المرتدين عن الإسلام ، بمساعدة عناصر من الإرساليات الأجنبية التنصيرية فى مصر ، « أن هؤلاء المرتدين أمامهم إختيارين ، لا ثالث لهما ، إما العودة إلى الإسلام ، وإما تنفيذ الشرع فيهم ، وهو الرجم حتى الموت »[٧] . وكان هذا الحكم ، أبلغ ردّ على الموقف السلبى للعلمانيين المصريين ، أبواق المُنصرين الأجانب فى ذلك الوقت ، ونقطة مضيئة للصحافة المصرية ، التى فضحت الحادثة .

حادثة محاولة تنصير (تُركية حسن)

وبعد حادثة الزواج السابقة – بقليل – نشرت الصحف وقائع حادثة أخرى ، لا تقل فى خطورتها عن سابقتها ، وهى : « أن فتاة مسلمة تدعى (تركية حسن) ، كانت تعمل فى أحد الملاجئ التابعة ، لإحدى الإرساليات التنصيرية (المستقلة) ، تعرضت للضرب المُبرح ، فى محاولة لإرغامها على ترك دينها والتحول إلى المسيحية »[٨] . وقد انزعج المجتمع الإسلامى فى مصر ، لجسامة الحادثة ، خاصة وأن العقاب البدنى ، كان قد مُنع رسمياً فى المدارس قبل ذلك بقليل .

وفى يوم ١٦ يونيه ١٩٣٣ ، نشرت إحدى الصحف الأجنبية ، « أن (تركية حسن) قد إعتنقت المسيحية فعلاً ، ولكنها سرعان ما تراجعت وأبلغت قصتها للصحافة »[٩] . وكانت هذه الحادثة وغيرها تشكل تهديداً خطيراً للمجتمع الإسلامى فى مصر . ولم تخف عن الصحافة المصرية ، الأهداف السياسية والدينية لمساعى التنصير ، ولم يكن بعيداً عن أعين المصريين ، ما كان يكتبه المنصرون وأعوانهم ، من المصريين الأقباط والمسلمين ، ليحثوا حكوماتهم على مساعدتهم ، وليثبتوا لها أن التنصير أفضل أساليب الاستعمار !!

وأخذت الصحف المصرية ، تؤكد للرأى العام ، « أن ما إدعته صحيفة (الإجبشيان جازيت) ، بتحول (تركية حسن) ، ليس له أساس من الصحة » ،، وراحت تفضح الحالات الكثيرة الأخرى ، للبنات اللائى دُفعن لترك دينهن ، وأوردت (السياسة) و (البلاغ) و (الإخوان المسلمين) تفاصيل خطيرة ، لحوادث وقعت فى الأقاليم ، ضد الصبيّة والبنات المسلمين ، يندى لها الجبين .

وفى البرلمان ، علق (أحمد على باشا) ، وزير الداخلية - والذى تولى مهام هذه الوزارة مراعاة لصحة إسماعيل صدقى ؛- قائلاً ؛- ومؤكداً لأقوال الصحافة المصرية - « ان (تركية حسن) تعرضت للضرب فعلاً ، ولكن مرة واحدة ، لوقاحتها مع (الناظرة) مديرة الملجأ »[١٠] - وفى نفس الوقت أنكر (وزير الداخلية) ، « أن (تركية حسن) أو أى فتاة أخرى فى الملجأ ، أُرغمت على تغيير دينها »[١١] . وكان ردّ (وزير الداخلية) ، يعكس سوء موقف حكومته منذ البداية ، فى هذا الأمر بشموليته ، فلم يقنع أحد فى مصر كلها بُرد وزير الداخلية ، وثارت ثائرة الغيورين على الدين الإسلامى .

وفى محاولة من جانب الحكومة المصرية - أكد (وزير الداخلية) ، « بأن (الناظرة) ، مديرة الملجأ ، قد طُردت من البلاد ، وأرسلت الفتاة (تركية حسن) إلى مؤسسة إسلامية مصرية - لإحتواء ثورة الغيورين على الإسلام . لكن الصحف المصرية ، أخذت تُعلق على أقوال (وزير الداخلية) ، بتهكم شديد وفى نفس الوقت ، يحمل كثيراً من الإتهامات الخطيرة لحكومته . « لماذا إذا طُردت الناظرة ؟!! هل لمجرد أنها أصدرت أوامرها ، بضرب الفتاة ؟ الأمر أخطر من هذا بكثير !! »[١٢] .

الصحوة الإسلامية الشعبية ومحاولة إجهاضها :

وأخذت بوادر صحوة إسلامية شعبية ، تتبلور مع منتصف عام ١٩٣٣ ، عندما حاولت السلطات البريطانية ، بإيعاز من الحركة المسكونية المسيحية العالمية ، تحويل مسألة التنصير والمنصرين فى مصر ، إلى قضية سياسية بحتة ، فى محاولة للضغط على الحكومة المصرية والقوى الشعبية الإسلامية ، لوقف التصدى ضد المُنصرين .

وقد إدعى بعض المؤرخين الأجانب ؛ التحول فى موقف (حزب الوفد)

وصحافته ، من حركة التنصير ، قائلين : « من هنا بدأت الصحافة الوفدّية – لسان حال (حزب الوفد) –، بالرغم من معارضتها لحكومة (إسماعيل صدق) الثانية (٤ يناير ١٩٣٣ – ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣) ، توقف هجومها ضد المُنصرين ونشاطهم فى مصر ، وعزفت عن الاشتراك فى الحملة ضد نشاط الإرساليات الأجنبية وضد الحكومة طوال عام ١٩٣٣ »(١٣) . وقد علقت صحيفة (التايمز) اللندنية على هذا التحفظ الذى أبداه (حزب الوفد) !! مع الأخذ فى الإعتبار ، أن الصحافة الوفدّية ، كانت طوال عام ١٩٣٢ قد شنت حملة واسعة النطاق ضد نشاط الإرساليات التنصيرية . وكانت (البلاغ) – وهى إحدى الصحف الوفدية – قد أخذت طوال عام ١٩٣٣ تفضح حوادث المُنصرينّ فى مصر ، وبتفاصيل مُثيرة للغاية !!

ولإجهاض الصحوة الإسلامية الشعبية ، التى قامت ضد نشاط المنصرين ، ولتحويلها إلى مسألة سياسية بحتة ، صرّح مسؤل عن دار المندوب السامى فى القاهرة ، قائلاً : « كان رؤوساء تحرير الصحف يريدون ، بهذه الحملة ضد (المرسلين) ، زيادة التوزيع . كما لاحظت (دار المندوب السامى) ، سببين هامين آخرين لحماس ، (ما أطلق عليهم) ، المنشقون على الوفد ، وهم المسيطرون الآن على (البلاغ) و (الأحرار الدستوريين) ؛ والسبب الأول ، هو أملهم فى إحراج حكومة صدق ، بإشعال الإضطرابات ، والسبب الثانى ؛ هو رغبتهم فى الظهور بمظهر المدافعين المخلصين عن الإسلام أكثر من الوفد ، ومن الحكومة نفسها » .(١٤) . و « كان (الأحرار الدستوريين) يسعون لإكتساب مركزاً متميزاً ، ووجدوا الفرصة مواتية لإستعادة الواجهة الدينية ، بعد أن ضحت بها الدعاية الوفدية جزئياً ، بعد حادثة (أصول الحكم) لعلى عبدالرازق ، بصفة خاصة عام ١٩٢٥ ، وكان (المنشقون الوفديون) ، من ناحية أخرى ، يحتاجون لقضية تكسبهم القوة السياسية »(١٥) .

أليس فى هذا التصريح الخطير ، من تجن على المؤسسات الحزبية المصرية ، وصحفها ، من دار المندوب السامى البريطانى ، الذى كان يقدم كل مساعدة ممكنة لهؤلاء المُنصرين ؟

إن الدليل على إفتراءات دار المندوب السامى فى القاهرة ، كثيرة ولا تحتاج لردّ ، ومع ذلك نسوق بعض الأمثلة منها . فقد نشرت صحيفة (البلاغ) : « الحق أن هذه الهيئات (التبشيرية) ، التى تعمل فى كل بلاد الشرق ، وحتى على مقربة من قلب الإسلام والحجاز » ، قد إنتشرت إنتشاراً واسعاً ، وذهبت عن طريق الحيل الشيطانية إلى حدٍ خطير للتأثير على النشئ الصغير وتحويله عن دين أبويه . ولقد قاست الأمم الشرقية كثيراً من الآلام نتيجة قيام الإرساليات (التبشيرية) فيها ، عاملة مُجدة على سحق الثقافة القومية والروح الوطنية فى النشئ الصغير . بل قاست تركيا ومصر وسورية – على وجه خاص – من هذه الإرساليات (التبشيرية) ما يكاد الإنسان لا يصدق إنه وقع بين هذه الأمم الثلاثة لعظم خطورته . ولكنه مع هذا وقع ولا يزال واقعاً بالفعل الصحيح المؤلم »(١٦) .

ويكفى (الدكتور محمد حسين هيكل) ، رئيس حزب (الأحرار الدستوريين) قوله : « ان نشاط (المبشرين) المسيحيين ظهر فجأة فى ثوب مخيف ، فإرتاع الناس إيما إرتياع » ، « وكان من أثر هذه الحركة (التبشيرية) ، وموقفى منها أن دفعنى للتفكير فى مقاومتها بالطريقة المُثلى التى يجب أن تقاوم بها ، ورأيت أن هذه الطريقة المُثلى توجب علىّ أن أبحث حياة صاحب الرسالة الإسلامية ، ومبادئه بحثاً علمياً ، وأن أعرضه على الناس عرضاً يشترك فى تقديره المسلم وغير المسلم »(١٧) ، فكتب كتابه العظيم (حياة محمد) ، ثم مؤلفاته التالية ، ومنها (الصديق أبوبكر) و (الفاروق عمر) . هكذا كان تصدى الوفد والأحرار الدستوريين ، للنشاط التنصيرى للإرساليات الأجنبية ، على سبيل المثال – لا الحصر – لدحض إفتراءات دار المندوب

السامى ، التى حاولت أن تُفرغ المحتوى الإسلامى لجهاد المؤسسات الحزبية ضد النشاط التنصيرى ، وتحويله إلى صراعات شخصية !!

موقف صحف (الفتح) و (البلاغ) و (الكشكول)

وعندما مرض (إسماعيل صدق) وسافر إلى خارج البلاد فى مايو ١٩٣٣ للعلاج ، تاركاً (محمد شفيق باشا) ، (وهو شخصية لم يكن لها وزنها السياسى) ، ليقوم بعمل رئيس الوزراء . بدأت القوى الشعبية الوطنية ، تتصدى لنشاط الإرساليات التنصيرية ، بشكل جديد ، وبحماس بالغ . وقد ظهرت هذه البداية الجديدة ، فى شهر يونية ١٩٣٣ ، مما أزعج قادة الحركة المسكونية المسيحية العالمية ، فإنعكس ذلك على كافة الدول الأوربية المسيحية ، والتى كان لها علاقات مباشرة مع مصر فى ذلك الوقت . الأمر الذى جعل رئيس الوزراء بالنيابة (محمد شفيق) يستحث (الملك فؤاد) ، وربما كان ذلك بإيعاذ من دار المندوب السامى فى القاهرة ، بالإسراع فى تعيين (صليب سامى) ، وهو قبطى مصرى ، وزيراً للخارجية ، فى محاولة لتهدأة الحكومات الأجنبية . وبالفعل صدر مرسوم بتعيينه فى ١٠ يوليو ١٩٣٣ ، وزيراً للخارجية(١٨) .

وأخذت صحيفة (السياسة) ، خلال شهرى (يونية ويوليو ١٩٣٣) ، تنشر المقالات عن جرائم الإرساليات ضد المسلمين المصريين ، فى كل عدد تقريباً . وطالبت الصحيفة ، (حكومة صدق) بإغلاق جميع مدارس الإرساليات(١٩) . لأنها لا تدرس الإسلام ولا اللغة العربية كلية ، ولكنها تدرس اللغات الأجنبية المختلفة والثقافة المسيحية المستمدة من التوراة والإنجيل فى أبواب الأخلاق . وبعضها ينظر إلى الأديان والأخلاق والعروبة والإسلام والتاريخ الإسلامى نظرة إحتقار وتشكيك . كما أن هذه المدارس ترغم طلابها المسلمين على حضور الصلوات يومياً فى الكنيسة !!

وذكرت الصحف الأجنبية ، « أن الصحف المصرية إدعت كذباً ، أن لإرساليات تمتلك ثلث الأراضى الزراعية فى مصر »[٢٠] . وهذه حقيقة مؤكدة ، وللتثبت من ذلك يرجع إلى أحدث دراسة فى التاريخ الإقتصادى عن (أراضى الدائرة السنية) ، للدكتور عادل مهران ؛ حيث يعرض لكيفية تصفية (أراضى الدائرة السنية) ؛ على أيدى (المبشر) الخطير (وليم ويلكوكس) ، الذى قام بتوزيع أراضى الدائرة السنية على الباشوات الأقباط ، أعوان الإرساليات التنصيرية فى مصر[٢١] .

كما أخذت صحف (الفتح) و (البلاغ) و (الكشكول) ، تفضح حوادث الإرساليات ، وتنشر عشرات القصص ، لشبان وبنات من المسلمين ، تعرضوا للإغراء والضرب المبرح لترك دينهم[٢٢] . وطالبت جميع الصحف ، بضرورة سحب إمتيازات الإرساليات ، كما أظهرت تلك الصحف ، الحاجة إلى بناء المزيد من المدارس والملاجئ ، الخاضعة لإشراف الحكومة ، والمؤسسات الشعبية مباشرة . وذكرت (السياسة) ، بأن (الإرساليات ما جاءت إلى مصر إلّا لخدمة الإستعمار ومساندته ، وتجريد المدارس من التربية الإسلامية ، وإعتبار الإسلام إحتلالاً » .

وذكرت (البلاغ) : « أن الإرساليات توقع بالضعفاء والفقراء ، وأنها تستخدم أساليب غير شريفة لكسب المنتمين إليها ، من المسلمين »[٢٣] . ووصف أحد الصحفيين هؤلاء المنصرين – على صفحات جريدة (الوادى) ، فى يونية عام ١٩٣٣ ؛ « بأنهم مضللون وإنتهازيون ، وشواذ جنسياً »[٢٤] . وهذا الوصف الأخير ، لم نتحقق منه ، وإنما نقلنا هذا عن وثائقهم !!

وقد فجرت صحيفة (البلاغ) قنبلة خطيرة ، فى منتصف يوليو ١٩٣٣ ، عندما نشرت على لسان أحد المُنصرين ، من بين الأقباط المصريين ، حقائق

خطيرة للغاية ، أماط بها اللثام عن الكثير من الخفايا السوداء للنشاط (التبشيرى) فى مصر ، موضحاً « بأن كل التقارير الميدانية ، الصادرة عن الإرساليات (التبشيرية) ، كانت تتضمن الكثير من الإشارات الجارحة إلى الإسلام ، والطاعنة فى القرآن »[٢٥] .

وهكذا كانت الهجمة التنصيرية على مصر فى عام ١٩٣٣ « جزء من الجهاد بين الإسلام والمسيحية ، الشرق والغرب »[٢٦] . وكانت مُحركاً فعالاً لوجدان القوى الشعبية الإسلامية فى مصر . وبات للعيان أن حركة جهاد شعبية إسلامية ، على أهبة الإستعداد للإنقضاض على كافة (المبشرين) وأعوانهم فى مصر .

وقبل أن تقع الواقعة ، نبهت (مصلحة الأمن العام) – فى يونية ١٩٣٣ – وبتوجيه من (دار المندوب السامى) فى القاهرة ، على جميع رؤوساء الصحف المصرية ، التى أخذت تفضح نشاط المُنصرين وتقاومه ، بأن توقف هجومها على الإرساليات »[٢٧] . وقد تم إستدعاء (محمد حسين هيكل) رئيس تحرير (السياسة) ، ليوضح موقفه وموقف صحيفته من هذه (الحملة) . ولما أصرّ الرجل على موقفه ، وقعت عليه غرامة مالية[٢٨] . وحُررت له مخالفة قانونية ، وأعلنت قضية المخالفة ، ولكنها لم تنظر أمام القضاء ، إلّا فى العام التالى ، وأغلقت الصحيفة لمدة شهر .

موقف حزب الوفد

ولأن (حزب الوفد) كان قد إتخذ موقفاً (باهتاً) من « قضية الإرساليات التبشيرية » ، كما يدعى البعض ، بدعوى ما نشرته صحيفة (الجهاد) الوفدية »: « بأن الهجوم على (المبشرين) سوف يُضعف مطلب مصر بالإستقلال »[٢٩] . فإن كانت (الجهاد) ؛ « قد ربطت وساوت بين قوى

المسيحية الغربية وقوى الإستعمار البريطانى » ، فلأن الجميع سياسيين ، ومثقفين ، ومفكرين كانوا قد أصرّوا على هذا الربط ، فى ذلك الوقت ، ومع ذلك ، أخذت صحف (السياسة) و (البلاغ) تهاجمان (الجهاد) ، لهذه المساواة ، « والتى حاولت بها (الجهاد) كسب رضا الإنجليز ، خاصة عندما تعاونت مع صحيفتى (الإيجشيان جازيت) و (الإيجشيان ميل) ، ضد (لجنة الدفاع عن الإسلام) ، وهى جماعة تكونت لمقاومة نشاط الإرساليات »[٣٠] . والمقصود بهذه (اللجنة) ، (جمعية مقاومة التنصير المصرية) ، والتى سنعرض لنشاطها فيما بعد .

وقد بررت صحيفة (الإيجبشيان جازيت) ، موقف حزب الوفد (الباهت) – (تحفظ الوفد) ، بدعوى سيطرة العنصر القبطى على قراره » . وكان الأقباط ، وخاصة فى الوفد كثيراً ما كانوا يوصفون – من جانب الأجانب – بأنهم (طابور خامس) ، أن يخدم المصالح البريطانية »[٣١] .

وقد ذكرت صحيفة (الكشكول) – التابعة للأحرار الدستوريين –، « أن (مكرم عبيد) ، السكرتير العام للوفد – كان بروتستانتياً »[٣٢] . فهو خريج أحد مدارس الإرساليات ، وهو المسؤل عن موقف حزب الوفد ، اليوم ، تجاه نشاط الإرساليات (التبشيرية) الهدام ضد الإسلام[٣٣] .

وللحقيقة وللتاريخ ، لم يكن (مكرم عبيد) صاحب هذا الدور الكبير ، وان كان الرجل – من المرجح – أنه قام بأفعال وتصرفات مشابهة ، لكنه فى هذا الوقت بالذات ، لم يكن (بروتستانتياً) ، كما إدعت (الكشكول) ، وإنما كان الرجل قد تحوّل بالفعل من (البروتستانتية) إلى (الكاثوليكية) فى عام ١٩٢٣ رسمياً ، عندما تزوج من إبنة (مرقس حنا) ، وهذا ثابت فى الوثائق ، وليس من المعقول أن يكون هو الذى يوجه القرار السياسى لحزب الوفد ، وفى تلك الظروف . وإنما المقبول منطقياً أن الوفد – ربما – كان يخشى من أن يفقد

التأييد التقليدى للعناصر القبطية النشطة ، له إن هو تصدى مع المتصدين للنشاط التنصيرى ، الذى تزايد بصورة رهيبة خلال الثلاثينيات علاوة على ذلك - ان الوفد - فى ذلك الوقت كان مشغولاً فى صراع داخلى مع (الوفدين المنشقين) ، الذين كانوا يلقون المساندة ، من عناصر قبطية أيضاً نشطة ، كان من بينهم ، (فخرى عبدالنور - نجيب إسكندر - راغب اسكندر - سلامة ميخائيل) ، وجميعهم فى ذلك الوقت ، كانوا من الأرثوذكسيين !!

وفى هذا الشأن ، نجح المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، فى تحويل قضية المتُنصرين إلى (مسألة سياسية بحتة) ، وإدعت صحيفة (الإيجيشيان جازيت) ، « أن حملة الصحف المصرية ضد (المرسلين) كانت تهدف - ولو جزئياً على الأقل - وضع (مصطفى النحاس) فى موقف حرج »(٣٤) . وربما للوفد مُبرراً مُقنعاً لموقفه (الباهت) هذا ، من النشاط التنصيرى فى البلاد ، « وهو تعرض حكومة (صدقى) للخطر ، ربما هو الذى حرّك هذا الأمر ، آمال الوفدين ، فى أن (إعتدالهم) قد يكون شفيعاً لهم لدى (بريطانيا) ، وترشحهم ليخلفوا (الحكومة الصدّقية) ويصبحوا شركاء فى المفاوضات . وربما إستفاد الوفد ، سياسياً إفادة وقتيّة ، من هذا الموقف (الباهت) ، (الهادئ) فى الصحوة الإسلامية للقوى الشعبية والحزبية ، لكن إنعدام المسؤلية والسلبية له ، تجاه قضية التنصير ، كان أمراً لا مفر منه . مع إننا فى النهاية يمكن أن نقول ، كان للوفد دوراً إيجابياً فى هذه المسألة ، حتى وأن كانت العناصر النشطة منه هم (المنشقون) !!

على أية حال ، أخذت حركة الجهاد الشعبية الإسلامية ، تتنامى ، وتفرز عناصر نشطة ، تصدت للنشاط التنصيرى ، بكل صرامة وحزم . وسوف نعرض لذلك فى الفصل التالى .

هوامش الفصل العاشر

(١) F.O.; 141/613; 379/1/36.

وأنظر كذلك : مجلة الهلال ، القاهرة ، يونية عام ١٩٧٧ . ص/١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) السياسة اليومية ، ١١ أبريل عام ١٩٣٣ .

وأنظر كذلك : مجلة الهلال ، العدد السابق .

(٣) السياسة اليومية ، ١٣ أبريل عام ١٩٣٢ .

(٤) أنور الجندى – الإسلام فى وجه التغريب . ص/٤٧ .

(٥) صحيفة السياسة ، ٢٨ مايو ١٩٣٣ .

(٦) مجلة الهلال ، عدد يونية ١٩٧٧ . ص/١٥٧ .

(٧) F.O.; 141/613; 379/1/36.

(٨) صحيفة السياسة ، ١٤ يونية ١٩٣٣ .

وصحيفة الإخوان المسلمين ، يونية ١٩٣٣ .

وأنظر كذلك : Carter; B.L.; on Spreading the Gospel to Egyptians sitting in Darkness; PP. 28 - 29.

(٩) Egyptian Gazette; 16 June 1933. P.6.

(١٠) F.O.; 141/760; 353/12/33.

(١١) Ibid;

(١٢) Carter, B.L; OP; cit.; P. 24 - 25.

(١٣) Ibid.; P.24.

وأنظر كذلك : The Times cuttingo Book on Egypt; 15 July; 1933.

(١٤) F.O.; 407/217. enclosure in No. 9. Memorandum on the Egyptian.

Press, 7-13 July 1933; No. 12 - Memorandum on the Egyptian Press, 14 - 20 July 1933.

(١٥) F.O.; 407 /217. enclosure in: No. 12. 14 - 20 July 1933.

(١٦) صحيفة البلاغ ، ٦ مارس ١٩٢٨ .

(١٧) محمد حسين هيكل (دكتور) – مذكرات في السياسة المصرية . ص/٢٧٢ .

(١٨) فؤاد كرم – الوزارات والنظارات . ص/٣٢٧ .

(١٩) صحيفة السياسة ، ١٤ يونية ١٩٣٣ . ص/٤ .

(٢٠) Egyptian Gazette; 3 Jully, 1933. P.4.

(٢١) عادل عبدالله مهران (دكتور) – أراضي الدائرة السنية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٨٦ .

(٢٢) Tines, 24 June 1933.

(٢٣) صحيفة (البلاغ) ، ٣ يوليو ١٩٣٣ . ص/٧ .

(٢٤) F.O.; 141/752.; 353/42/33.

(٢٥) صحيفة البلاغ ، ١٤ يوليو ١٩٣٣ .

وأنظر كذلك : F.O.; 141/752.; 353/58.A./33.

(٢٦) صحيفة السياسة ، ٢٥ يونية ١٩٣٣ . ص/١ .

(٢٧) (٢٨)

(٢٩) Egyptian Gazette; 1 July; 1933. P. 4.

(٣٠) صحيفة (البلاغ) ، ١٤ يوليو ١٩٣٣ . ص/١ .

(٣١) Carter, B.L.; OP. cit; P. 25.

(٣٢) صحيفة (الكشكول) ، ١٠ يوليو ١٩٣٣ .

(٣٣) كوكب الشرق ، ١٢ يوليو ١٩٣٣ .

(٣٤) Egyptian Gazette; 18 July, 1933; P. 4.

الفصل الحادى عشر
حركة الجهاد الشعبية الإسلامية (١٩٣٣ - ١٩٣٤)

- الجمعية الحصافية الخيريّة ، بدمنهور .
- تأسيس جمعية مقاومة التنصير المصرية (الشعبيّة) . وتأليف (لجنة مقاومة التبشير) الحكومية .
  - الأعضاء المؤسسون .
  - مصادر تمويل الجمعية .
  - نشاط الجمعية .
- لجنة مقاومة (المبشرين) الحكومية .
- تنامى حركة الجهاد المُسلح ضد المُنصرين .
- موقف السلطات البريطانية من حركة الجهاد الشعبية .
- موقف الأقباط المصريين من حركة الجهاد الشعبية .
- موقف الرأى العام المسيحى الدولى من حركة الجهاد الشعبية .
- الملك (فؤاد) يؤيد حركة الجهاد الشعبية .
- تصفيّة الحركة الإسلامية ، بقرار حكومى .
- بداية النهاية للمشكلة التنصيرية .

وفى شهر يونية ١٩٣٣ ، تحركت مؤسسات وتنظيمات غير حكومية ، لكى تقاوم نشاط الإرساليات التنصيرى الهدام . فذكرت (صحيفة الإخوان المسلمين) فى (٢٧ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ) ، « نزلت بمدينة (المحمودية) - من أعمال محافظة البحيرة - تسع مُنصرات بدعوى تعليم الفتيات أعمال التطريز والحياكة ، ثم أغوت فتاة مسلمة يتيمة الأم ، عن دينها ، ولكن الإخوان نجحوا فى إستخلاص الفتاة من بين أيديهن ، وأودعوها منزل (أحمد السكرى)[1] .

الجمعة الحصافية الخيرية بدمنهور

كان (أحمد السكرى) رئيساً للجمعية الحصافية الخيرية ، والتى كان مقرها مدينة (دمنهور) . وكانت هذه الجمعية ، قد أسسها (الشيخ عبدالوهاب الحصافى) ، وكان (الشيخ حسن البنا) ، سكرتيراً لها . وكانت هذه الجمعية قد أخذت تتصدى لأعمال المُنصرين ، التابعين للإرساليات الإنجلية ، التى هبطت مدينة (المحمودية) ، وإستقرت فيها ، (حوالى عام ١٩٢٤) . وكانت هذه الإرسالية ، تتألف من ثلاث فتيات ، ترأسهن السيدة (ويت) ، وأخذت هذه الإرسالية ، تدعو إلى المسيحية ، بين المسلمين من خلال عمليات التطبيب ، وتعليم البنات التطريز ، وإيواء الصبية من بنين وبنات[2] . وقد جاهدت الجمعية الحصافية ، فى سبيل رسالتها جهاداً مشكوراً ، لا فى البحيرة وحدها وإنما إمتد نشاطها إلى مدن (الإسماعيلية والسويس) .

ففى (الإسماعيلية) ، كان (المبشرون) قد أنشأوا فيها مدرستين ، وإستغلوهما - كما إستغلوا عملهم بمستشفى (شركة قناة السويس) ، فى حمل بعض المترددين عليهما ، على ترك إسلامهم ، فقاومهم الإخوان ، وعناصر من (الجمعية الحصافية) بالمحاضرات ، وبإنشاء معهد حراء الدينى للبنين) و مدرسة أمهات المؤمنين للبنات) .

وفى (أبو صوير) تصدى الإخوان (والجمعية الحصافية) ، لمحاولات (المبشرين) إنشاء مركز لهم ، بمدرسة (الإسماعيلية) الإنجليزية الإبتدائية . وفى (السويس) إكتشف الإخوان والجمعية ، مركزاً نشطاً (للتبشير) ، (بحىّ الأربعين) ، وأنقذوا بعض من أريد لهم التنصير[٣] . وكانت وسائل الجمعية فى التصدى ومقاومة النشاط التنصيرى ، تتمثل فى جمع الأموال من أغنياء المسلمين ، لتأسيس مدارس أو ملاجئ لإيواء اليتامى والفقراء ، حتى لا يقعوا بين أيدى المُنصرين ، علاوة على (هيئة الدعوة) ، وهم شباب مسلم متفقه فى الدين ، كان على رأسهم (أحمد السكرى) . وهكذا أصبح مع منتصف عام ١٩٣٣ ، أن الذين يقاومون التنصير فى مصر ، هم الشعب والمؤسسات والتنظيمات الشعبية ، بعد أن أصبحت الحكومة مغلوبة على أمرها ، بسبب سيطرة الأجنبى وتحكمه !!

« لقد أنتشر « المبشرون » فى أنحاء البلاد ، فى الوجهين البحرى والقبلى ، فى المدن والقرى تحت سمع المسئولين من الحكام وبصرهم ، بل أن هؤلاء الحكام فى المدن والقرى كانوا بحكم تعليمات رؤسائهم يسهلون « للمبشرين » وسائل دخول المدن والقرى كما يسهلون لهم وسائل الإتصال بالأهالى ، وإجراء ما يشاءون من إجراءات بل وإقامة ما يشاءون من منشآت بل وإختطاف من يشاءون من أطفال ونساء ، فى الوقت الذى يضربون فيه بيد من حديد كل من تسول له نفسه أن يعترض سبيل هؤلاء الغزاة ولو بكلمة ، معتبرين ذلك إعتداء على الحكومة » .. وصار الشعب المصرى المسلم نهباً مُباحاً لهؤلاء المنصرون .

ويقول (محمود عبدالحليم) ، أحد أعضاء الجمعية الحصافية ، وعضو الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمون ، « ولم تكن وسيلتهم إلى (التبشير) بالمسيحية عرضاً لعقيدتهم ، وشرحاً لها أمام الناس كما هو المتبادر إلى الذهن من لفظ (التبشير) ، وإنما وسائلهم هى إستغلال فقر الناس وحاجتهم وجهلهم ، فيأخذون هذا الطراز من الناس ، ويأخذون نساءهم وأولادهم وينفقون عليهم

يبذخ على أن يظلوا معهم داخل كنائسهم ويقولون مثلما يقولون ... أما الشباب من أبناء الأغنياء فكانوا يغرونهم بالنساء ... كانت وسائلهم أخس الوسائل وأحطها .. وقد إستمر عملهم هذا فى جميع أنحاء البلاد .. كانت صورة بشعة متوحشة (للتنصير بين المسلمين) ، أمام شعب أعزل مغلوب على أمره ،... كان الناس يبكون من شدة الغيظ لأنهم يرون بأعينهم من ينتهك حرمة عقيدتهم – وهى أعز ما يعتزون به – وهم لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم لأن حكامهم جعلوا الدفاع عن النفس فى هذه الحالة جريمة يعاقب مرتكبها »(٤) .

« كانت مدينة (المحمودية) وقراها مرتعاً خصباً (للمبشرين) ، وكنا نسمع عما يفعلونه بالمحمودية وقراها من خطف الأطفال وإغراء الفقراء بالمال وإغراء الشباب بالعبث وبالنساء .. وكان أهل المحمودية ،.. يروون ما يحدث عندهم فيبكون ويبكون »(٥) .

ويقول (محمود عبدالحليم) ، « وقد حدثنا الأستاذ المرشد (حسن البنا) ، بقصة شاب من (المحمودية) ، حاول (المبشرون) تنصيره ، وهى تتصل بأساليب (المبشرين) فى إغراء أبناء الأغنياء من المسلمين بالنساء ؛ قال الأستاذ : فى أوج الحملة (التبشيرية) – وكنا إذ ذاك بالمحمودية – كان أحد الشبان – وذكر لنا إسمه ولكننى نسيته – من أبناء أثرياء المحمودية قد أغرى بإحدى فتيات (المبشرين) حتى ملكت عليه فؤاده ... ولما كان الشاب مستقيماً متديناً فقد أبدى رغبته (للمبشرين) فى الزواج منها ؛ فإشترطوا عليه قبل إتمام الزواج بها أن يتنصر ، وأن يعمل خادماً فى الكنيسة . ففعل ودخل الكنيسة يقضى فيها نهاره وليله ، ولا يخرج منها أملاً فى أن ينال رضاهم ، فيحققوا له رغبته الجارفة »(٦) . لكن بفضل جهود أعضاء الجمعية الحصافية ، عاد الشاب إلى صوابه ، بعد أن قرأ (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالى . كما

نجح أعضاء الجمعية ، فى إنقاذ العشرات من الأطفال والبنات ، من بين أيدى المُنصرين ، فى دمنهور والمحمودية .

تأسيس جمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية وتأليف (لجنة مقاومة المبشرين) الحكومية

وعند منتصف يونية ١٩٣٣ ، وفى (القاهرة) تأسست جمعية مصرية لمقاومة التنصير ، برئاسة الشيخ (مصطفى المراغى) . وكان الشيخ قد أعلن عن مولد (الجمعية) فى مؤتمر عام دعا له فى مدينة (دمنهور) فى شهر أبريل عام ١٩٣٣ ، لجمع التبرعات ، ووضع خطة لمقاومة (التبشير)(٧) . ويومها إعتبر (الملك فؤاد) أن ما يقوم به (الشيخ المراغى) من النشاط السياسى والدعاية ، فأوعز إلى الشيخ (الأحمدى الظواهرى) – شيخ الأزهر حينئذاك – بتأليف (لجنة لمقاومة المبشرين) . وعقد (الظواهرى) مؤتمراً كبيراً بالقاهرة ، حضره العلماء الحكوميون (الرسميون) . وجمعوا أموالاً طائلة لمقاومة (التبشير) . وقد رئى حيئنذاك أن تشترى بهذه الأموال ، أطيان يُرصد ريعها لمقاومة نشاط (المبشرين)(٨) .

وإذا كان البعض يدعى ، بأن الدوافع وراء تأليف (جمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية) ، « يرجع إلى أن (الشيخ المراغى) ، كان لايزال غاضباً من حرمانه من مركزه كشيخ للأزهر ، وكان هدفه من تشكيل هذه الجمعية ، ليس فقط الحفاظ على سلطته الأدبية أمام الرأى العام ، ولكن أيضاً إحراج شيخ الأزهر (الظواهرى) ، الذى إنتقدته بعض الصحف لتخاذل موقفه أمام الإرساليات (التبشيرية) ، ومضايقة الحكومة »(٩) .– « وأن (المراغى) كان مدفوعاً بطموحات شخصية ، وكانت طموحاته ترتبط بتحديد اسم (محمد محمود) ، من الأحرار الدستوريين) ، ليخلف (إسماعيل صدقى) فى

الوزارة »[١٠]، - فإن الحكومة المصرية ، التى كانت مؤيدة بالنفوذ الإستعمارى البريطانى ، هى التى إختلقت كل هذه الإدعاءات ، وحاولت أن تقف فى طريق هذه الجمعية الشعبية ، وبمعاونة (ملك البلاد) ؛ ولكن يكفى موقف (المراغى) هذا ، فقد أجبر الحكومة والأزهر والملك ، على تأليف لجنة مماثلة لمقاومة التنصير أيضاً !!

وقد وصفت (الإيجيشيان جازيت) ، (جمعية المراغى) ، بأنها سلاح سياسى ، وزعمت أن كل أعضائها من (الأحرار الدستوريين) ، و (الوفديين المنشقين) . ولم تكن (الجازيت) صادقة فى زعمها هذا ، فقد كان أعضاء (الجمعية) لفيف من رجال الدين الإسلامى ، والمفكرين والمثقفين ، وكثيراً من شباب الأزهر على إختلاف مشاربهم .

وإنساقت الوثائق البريطانية ، وراء (الجازيت) ، فذكرت « أن المندوب السامى البريطانى ، بالقاهرة ذكر فى تقاريره ، « أنه شعر بأن (الشيخ المراغى) ، سمح لنفسه أن يكون أداة فى يد الأحرار والمنشقين على الوفد »[١٢] . وهذا الزعم لم يكن له أى أساس ، فالجمعية كانت ذات توجه إسلامى شعبى ، ويظهر هذا جلياً من خلال منشوراتها التى كانت تصدرها فى القاهرة ، وفى الأقاليم المصرية .

وقد ردت صحيفة (البلاغ) على (الجازيت) - فى هذا الصدد - ورفضت إتهامها قائلة : « إن أعضاء الجمعية ، (جمعية المراغى) ، يمثلون قطاعاً عريضاً ، من القوى السياسية والشعبية »[١٣] . ومعظمهم كانوا أعضاء فى البرلمان ، وكان (الحزب الوطنى) ممثلاً فيها أيضاً ، بعدد لا بأس به ، من الأعضاء . ولم يكن ضمن أعضاء الجمعية أحداً من (حزب الوفد) ولا من (حزب الإتحاد) . والوحيد الذى كان من المنشقين على الوفد ، هو (عبدالرحمن عزام) - وهو أحد المتحمسين لقضايا العروبة والإسلام ، وكان صديقاً حميماً للشيخ (المراغى) !!

ومع ذلك ، إتهمت الصحف الوفدية – كذباً وإفتراءاً (جمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية) ، « بأنها تعمل على تحقيق أهداف حزبية سياسية » . وإدعى (الوفد) « بأن إهتمام أعضائها الرئيسى هو عمل دعاية لمجلس وزراء قومى (حكومة إئتلافية) ، بدون رئيس وزراء وفدى »[١٤] . « وأن الجمعية تعمل فى تحالف مع الأحرار الدستوريين ، بصفة خاصة » . وكان الإدعاء ، « بأن الجمعية هدفها تكون حكومة إئتلافية » ، شكلاً من أشكال الوهم أو الشطحات الفكرية ، ولكن الأمر المؤكد ، « أن علماء الأزهر (الرسميون) كانوا يشعرون ، بأنهم مهددون ، بفقدان مناصبهم الحكومية ، لموقف الهجوم القوى ، من ناحية (الجمعية) ، » الشعبية الإسلامية .

على أية حال ، كانت جمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية ، حركة شعبية إسلامية ، تمثلت أهدافها فى ، محاربة الإلحاد ، وإرسال المبعوثين لدحض حجج المُنصرين فى إجتماعاتهم العامة ، وإصدار المنشورات التى تفضح أعمال الإرساليات التنصيرية ، وحث المسلمين على مقاومة المُنصرين ، وتنويرهم بأساليب المُنصرين الخبيثة ، وجمع التبرعات المالية وغيرها ، من القادرين ، من أجل إيواء الأطفال المتشردين[١٥] ، ببناء الملاجئ ، (دور الأيتام) ، لهم ، والمدارس الإسلامية ، لتعليم أبناء المسلمين فيها ، بعيداً عن مدارس الإرساليات اللعينة ، والتى كانت أوكارا لعمليات التنصير ضد الأطفال والبنات المسلمين .

فهل من المعقول ، أن تكون هذه أهداف الجمعية التى ، تنتوى تكوين حكومة إئتلافية ؟!! وهل من المقبول منطقياً ، إذا ما عرضنا لبعض أسماء الأعضاء المؤسسين لهذه الجمعية الشعبية ، أن تكون هذه العناصر الدينية الواعية الغيورة على الإسلام ، تنتوى تأليف حكومة إئتلافية ؟!!

الأعضاء المؤسسون للجمعية

كان جميع أعضاء الجمعية ، من المسلمين الغيورين على الإسلام ؛ فسرعان ما إنضم إلى عضوية الجمعية ، لفيف من رجال الدين الإسلامى ، والمفكرين والمثقفين ، وشباب الأزهر . فكان من أعضائها المؤسسين ، عبدالحميد سعيد (رئيس جمعيات الشبان المسلمين) ، ومُحب الدين الخطيب (رئيس تحرير مجلتى الزهراء (الشهرية) والفتح (الأسبوعية) ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والشيخ أحمد إبراهيم (أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق) ، وعبدالرحمن عزام ، وأحمد الغمراوى ، ويحيى الدرديرى ، محمد على فضلى ، محمد الهيهاوى ، الصحفى ، ومحمد عبدالوارث الصوفى (اللازق) – من الأزهر – ومحمد فهمى حسين عبدالوهاب ، وطه عبدالباق سرور نعيم[١٦] – سكرتير تحرير مجلة الإسلام والتصوف ، فيما بعد ؛ والشيخ حسن البنا – المرشد العام للإخوان المسلمين[١٧] – حيث كان عضواً بارزاً فيها .

والحقيقة أن وجود (الشيخ المراغى) ، بالجمعية قد زادها قوة فى نظر الرأى العام ، فى ذلك الوقت ، وأخذت تتألف لجان للجمعية بالأقاليم والمدن الكبرى ، وكانت مقار هذه اللجان أو (الشُعب) ، غير مستقرة ، وفى بعض الأقاليم كانت غير معلومة . وكانت معظم مقار لجان المدن الكبرى ، هى دور أو مقار جمعيات الشبان المسلمين . كما كانت قيادة الجمعية بالقاهرة ، تجتمع فى (دار الشبان المسلمين)[١٨] .

مصادر تمويل الجمعية

ويبدو أنه حدث نوع أو شكل من التوفيق بين الشيخ (المراغى) والشيخ (الظواهرى) والتقى الرجلان من أجل غاية واحدة ، وهى مقاومة ومحاربة

النشاط التنصيرى فى البلاد ، الذى عجزت عن مقاومته الحكومة . وكانت الجمعية تستند فى تمويلها على يسر ذوى اليُسر من أعضائها ومؤيديها . وقد بدأ الإكتتاب الشيخ (الظواهرى) ، وتبرع بمائتى جنيه[١٩] . فتتابع العلماء ، والمفكرون والمثقفون ، جميعاً بالتبرع ، ثم تبرع الأهلون بمبالغ مختلفة .

وكان الأمير (عمر طوسون) ، الذى كان يشمل كافة جمعيات الشبان المسلمين بالرعاية ، قد تبرع بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه[٢٠] . وقد تبرع أحد الأعيان من الصعيد ، بمبلغ عشرة آلاف جنيه[٢١] . انه (السيد مصطفى عمرو) ، الذى كان يمتلك أربعة عشر ألف فدان . كما أوقف (مصطفى عمرو) ، من أملاكه ، خمسمائة فدان ، لإنشاء ملجأً للفتيات ، حتى تأوى إليه الفتيات الفقيرات ، التى تضطرهن الحاجة إلى دخول الملاجئ الأجنبية ، التابعة للإرساليات التنصيرية[٢٢] . وقد أنعم عليه (الملك فؤاد) ، برتبة الباشوية ، بناءاً على توصية من الشيخ الظواهرى نفسه !!

نشاط الجمعية

تمثل نشاط جميعة مقاومة التنصير المصرية الشعبية ، فى إصدار المنشورات التى تهاجم ، وتفضح أعمال المُنصرين ، وفى مهاجمة أوكار الإرساليات التنصيرية ، فى شكل عمل مُسلَّح . فكانت منشورات الجمعية تصف (المبشرين) بأنهم « ذئاب فى ثياب حملان » . وقد جاء – كذلك – فى أحد هذه المنشورات : « فوجئ الإسلام اليوم ، بعدة لطمات مخيفة ، وطعنات قاتلة من نواحى مختلفة ، كان أشدها خطراً ، وأكبرها بلاء وأعظمها مُصيبة سيَّل (التبشير) الذى تدفق علينا من ربوع الغرب ، فسمم العقول وضلل الأفئدة ، بنفثاته السامة ، ولذعاته القاتلة ، ودعاياته الواسعة النطاق ، التى يراد منها هدم كيانه ، وتقلصُّ مجده وأفول نجمه . ودسوا السم فى الدسم . وعلماؤنا وحكوماتنا فى غيّهم يعمهون ، وفى نومهم يغطون »[٢٣] . ألا يحق لنا اليوم

أمام المؤامرة الكبرى التى تحاك ضد الإسلام ، لا فى مصر وحدها ، وإنما ضد العالم الإسلامى كله ، أن نكوّن مثل هذه الجمعية ، ونُصدِّر من هذه المنشورات ، بل نؤلف عشرات الجمعيات ، وألوفاً غيرها ، لمحاربة التنصير لا فى مصر وحدها ، وإنما فى العالم الإسلامى ، ونمولها .. نعم نمولها من خزانات الحكومات الإسلامية ، ومن أرصدة العلماء والمفكرين المسلمين ، ومن أموال الميسورين من أبناء الإسلام !!

علي كل حال .. أخذ نشاط الجمعية ، فى نهاية (يونية ١٩٣٣) يأخذ شكلاً أكثر إيجابية ، عندما تقدم أعضاؤها بعريضة (للملك فؤاد) ، وللقائم بأعمال رئيس الوزراء (محمد شفيق باشا) ، يطالبون فيها : « بإتخاذ الإجراءات السريعة للسيطرة على نشاط الإرساليات ، وتقييده »[٢٤] . كما ناشدت الجمعية ، الشعب المصرى ، مقاطعة كل المؤسسات التى كانت تابعة للإرساليات التنصيرية . وإن كانت الجمعية قد طلبت ، من الشعب المصرى « الإلتزام بالهدوء – على الأقل – » ، فى أحدى منشوراتها ، فإن ذلك الأمر – كان محاولة من جانبها – فى البداية – لعدم إثارة الناس !!

وبعد ذلك أرسلت الجمعية إحتجاجاً – شديد اللهجة – إلى كل ممثلى حكومات الدول الأجنبية ، فى (القاهرة) ، « تطلب منهم أن يستخدموا نفوذهم ، لحل مشكلة النشاط التنصيرى فى مصر »[٥] . كما أعلن (الشيخ المراغى) – رئيس الجمعية – فى أحد مؤتمراتها ، « إذا ما كان (المبشرون) قد إستخدموا الوسائل السلمية والمشروعة ، أى ممارسة (التبشير) بين النصارى فقط ، بدلاً من الأساليب غير المشروعة ، أى محاولة تنصير المسلمين ، لما كان للمسلمين فى مصر أية مبررات للشكوى »[٢٦] . كما أخذ (المراغى) يهاجم الحكومة المصرية ، وكبار العلماء (الرسميون) – على صفحات (السياسة) ، فى يوليو ١٩٣٣ – لتخاذلهم وتقاعسهم عن مواجهة المنصرين ..

لجنة مقاومة (المبشرين) الحكومية

وفى نفس الوقت – تقريباً – وقرب نهاية شهر يونية ١٩٣٣ ، وبعد إعلان (الشيخ المراغى) عن تكوين (جمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية) ، أعلن (الشيخ الأحمدى الظواهرى) – شيخ الأزهر فى ذلك الوقت – عن تأليف (لجنة مقاومة المبشرين)(٢٧) . وكانت هيئة حكومية ، ولدت بتوجيه من ملك البلاد ، الذى كان متعاطفاً مع الصحوة الشعبية الإسلامية ضد المُنصرين .

وكانت لهذه اللجنة الحكومية ، أفرع فى جميع أنحاء القطر المصرى ، كانت مهمتها جمع التبرعات لمناهضة هؤلاء (المبشرين) ، ولنشر الوعظ الدينى الإسلامى بين الناس فى المساجد ، وغيرها ، ولبناء الملاجئ لإيواء الأطفال المتشردين الشاردين(٢٨) .

وقد أصدر (الشيخ الظواهوى) ، أول بيان عن (لجنة مقاومة المبشرين) الحكومية ، أشعل به النار ضد الإرساليات التنصيرية(٢٩) . « وقد حث الحكومة فى بيانه على إستئصال هذا المرض الخطير » .، « وإتهم (المبشرين) ؛ بإستخدامهم أساليب الضغط والتعذيب »(٣٠) . ولقد وجدت (دار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة) ، أن بيان (شيخ الأزهر) ، كان عنيفاً ، لذلك لفت (المندوب السامى) ، نظر القصر الملكى والحكومة المصرية ، إلى خطورة هذا البيان (الرسمى) . « ويبدو أن الحكومة تفاهمت مع (الشيخ الظواهرى) ، ولفيف العلماء (الرسميون) ، لمدة ثلاث أيام ، وبطبيعة الحال ، نجحت مجهوداتها – على ما يبدو – فى جعل العلماء (الرسميون) يخففون من هجومهم على الإرساليات »(٣١) .

وإضطرت الحكومة ؛ فى محاولة من جانبها لإجهاض الصحوة الإسلامية الحكومية ؛ أمام بروز نشاط (اللجنة الحكومية) ، ضد المُتصرين ، إلى أن تشكل مجلس إدارة لهذه اللجنة ، (مُنصاع) نوعاً ما ، من بين هيئة كبار العلماء (الرسميون) ، بدعوى دراسة المشكلة من جذورها ، من الناحية العلمية ، ويقوم بجمع الكتب التى وضعها (المبشرون) للطعن فى الدين الإسلامى ، والردّ عليها[٣٢] . بينما أخذ كبار العلماء (الرسميون) ، يقومون بمهمة جمع التبرعات ، فى محاولة للسير جنباً إلى جنب جمعية مقاومة التنصير الشعبية . » وقد حاولت (اللجنة الحكومية) – أن تجتذب إليها تأييد القوى الشعبية ، ولكن لم يجد رئيسها الرسمى (شيخ الأزهر) ، الصدى الشعبى المطلوب لنشاط لجنته ، الذى كان قاصراً على (القاهرة) ، وبعض ضواحيها ، وبعض المدن الكبرى . كما وأن (الجمعية الشعبية) لمقاومة التنصير ، كانت قد حظيت على كل التأييد الشعبى .

غير أن (شيخ الأزهر) ، الظواهرى ، بعد أن إشتد اللوم له ، نتيجة لسلبيته ، قال : « كان لابد لى بصفتى (شيخ الإسلام) أن أمنع هذه الحركة بشكل حاسم قاطع »[٣٣] ، وهكذا تجرَّأ (الشيخ الجليل) ، وأصدر فى (سبتمبر ١٩٣٣) – ودون الرجوع إلى حكومته – فتوى تُدين وبشدة ؛ كل مُسلم يُلحق أبنائه بمدارس الإرساليات » وطالب الحكومة بضرورة سن تشريع لمنع نشاط هؤلاء (المبشرين) فى البلاد »[٣٤] . وقد نشرت صحف (الجهاد) و (البلاغ) ، هذه الفتوى .

وكانت خطوة هامة ، وجريئة للغاية ، من (شيخ الأزهر) ، الموظف الحكومى ، فى وقت كانت فيه الحكومة ، تطلب إليه تهدأة الخواطر ، عندما أشارت عليه وأعضاء مجلس لجنته الحكومية ، التفرغ لجمع التبرعات المالية ، ودراسة كُتب (المبشرين) ، وكانت الحكومة فى ذلك الأمر الأخير ، تقصد

وعن عمد ، إبعاد الصحوة الحكومية الإسلامية ، عن جوهر القضية ، وهو التصدى المباشر للنشاط التنصيرى .

حقيقة كان وقع فتوى (الشيخ الظواهرى) خطيراً للغاية على حكومات الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، كما إنزعجت الخارجية البريطانية لها ، فصدرت تعليمات من (لندن) – على الفور – للمندوب السامى فى (القاهرة) ؛ « بضرورة إبلاغ الملك أو رئيس الوزرا (المصرى) ، إستياء حكومة صاحبة الجلالة ، بريطانيا من فتوى (شيخ الإسلام) الظواهرى »[٣٥] .

وكان (لورين) ، مندوب بريطانيا السامى ، فى القاهرة ، قد إعتقد أن (القصر) ، وراء هذه الفتوى – فى محاولة من جانب (الملك فؤاد) ، تجديد الإضطرابات والقلاقل ضد الوجود البريطانى فى مصر – وعلى ضوء تعليمات خارجيته ، وتأسيساً على ذلك الإعتقاد ؛ « ناقش (لورين) هذا الأمر مع (الإبراشى) – رئيس الديوان الملكى – ومع (محمد شفيق باشا) ، القائم بأعمال رئيس الوزراء » . كما تحدث (كامبل) – القائم بأعمال المندوب السامى مع (محمد شفيق باشا) ، فى هذا الأمر ، وطلب إليه ، أن يبذل قصارى جهده ، لوقف تحركات ونشاط أعضاء (لجنة مقاومة المبشرين (الحكومية)) ، و (جمعية مقاومة التنصير المصرية) و (الشعبية) »[٣٦] ؛ المناهضة للإرساليات الأجنبية .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأ التنسيق ، بين لجنة (الظواهرى) الحكومية ، وجمعية (المراغى) الشعبية ، للعمل من أجل الإسلام والمسلمين فى مصر .

وكانت المشكلة بالنسبة (لشيخ الإسلام) الظواهرى ، هى نفس مشكلة (محمد شفيق باشا) ، ومشكلة (إسماعيل صدقى). منذ عام ١٩٣١ – ١٩٣٢ ، وهى أن القرارات الرسمية ، كانت دائماً ذات صدى واسع النطاق ، وأكثر صعوبة وخطراً على الجميع من الحكوميين ، الخاضعين لنفوذ الإمتيازات

الأجنبية . وذلك لأن (دار المندوب السامي البريطانى) فى (القاهرة) ، كانت دائماً تتابعها ، وتتصدى لها - بعد أن تأخذ المشورة من الخارجية البريطانية فى (لندن) ، بينما كان الصمت الرسمى تجاه (المشكلة) ، قد سمح بحرية الحركة ، وبدرجة أكبر وأوسع نطاقاً ، لنشاط الجماعات (غير الرسمية) - الشعبية - وبصفة خاصة (جمعية مقاومة التنصير المصرية) ، التى كانت شُعبها قد غطت كافة أقاليم ومدن القطر المصرى ، تقريباً ، فى ذلك الوقت .

وتعترف وثائق الإرساليات الأجنبية نفسها ، « بأنه فى أعقاب فتوى (الشيخ الظواهرى) الخطيرة ، قد إنخفض عدد التلاميذ الملتحقين فعلاً ؛ بمدارس الإرساليات الأمريكية وغيرها ، وإن كان هذا الإنخفاض ، لم يكن بدرجة كبيرة »(٣٧) ، إلا أنه - فى نفس الوقت - قد نبه الأذهان والمسلمين فى مصر ، إلى مدى خطورة تعليم أبنائهم داخل هذه المدارس التنصيرية ، التى من شأنها تحويل أبنائهم عن الإسلام .

وحاولت الصحف الأجنبية ، أن تحتوى غضبة أولياء أمور التلاميذ المسلمين ، بمدارس الإرساليات التنصيرية ؛ فإدعت - بعضها - أنها ؛ « تعترف بعدم حصافة بعض (المرسلين) »(٣٨) . غير أن صحيفة (الإجيشيان ميل) ، سارت فى طريق آخر ، (بوقاحة) وأخذت تهاجم وتشهر ، بما أطلقت عليها (الصحافة الصفراء) ، وهى تقصد فى ذلك الأمر ، الصحف العربية المصرية ، التى أفسحت صفحاتها لفضح نشاط المُنصرين الأجانب !!

لكل هذه الأمور ، وغيرها ، توقف نشاط (لجنة مقاومة المبشرين الحكومية) ؛ بإستقالة رئيسها (شيخ الأزهر) الظواهرى ، من مشيخة الأزهر ؛ « كما وأن الأموال الكثيرة ، التى جمعت من أجل مقاومة التنصير ،

عن طريق هذه اللجنة الحكومية ، صُرفت فى وجوه أخرى غير الوجوه التى جمعت له »(٣٩) . وهكذا إنخرط الشيخ الظواهرى ، فى الحركة الشعبية ، لمقاومة التنصير ، لتقوى الحركة الشعبية ، وتتحول إلى الجهاد المسُلح ضد الوجود التنصيرى فى البلاد .

تنامى حركة الجهاد المُسلح ضد المُنصرين :

وكان أسلوب الصحافة العربية فى مصر ، ومنها على سبيل المثال – لا الحصر – صحف (الفتح) ، و (السياسة) و (الكشكول) و (الإخوان المسلمون) و (البلاغ) ، وغيرها ، فى فضح نشاط المُنصرين وأعوانهم ، وتوعية الشعب من خطورة أفعال هؤلاء (المبشرين) الأجانب ، قد وقع صداه فى وجدان قطاعات كبيرة ، من المصريين ، وتحركت بداخلهم النخوة الإسلامية ، والغيرة على شريعة الله ، وكتابه ، وسنة نبيه (ﷺ) ، القائل : **« من رأى منكم مُنكراً ، فليغيره . بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ؛ فإن لم يستطع ، فبقلبه . وهذا أضعف الإيمان »** .

وأخذت فرق (شبه عسكرية) من الشبان المسلمين ، الأعضاء بجمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية ، بمهاجمة أوكار وتجمعات المُنصرين الأجانب ، فى طول البلاد وعرضها ، فى محاولة جريئة لتغير « المُنكر » باليد ، كما أمر بذلك الرسول الكريم (ﷺ) . وبدأت هذه الصحوة الإسلامية ، تأخذ طريقها إلى التنفيذ العملى ، وفى شكل حركة جهاد مُسلح فى يونيّة عام ١٩٣٣ ، « عندما هاجم لفيف من شباب جمعية مقاومة التنصير المصرية ، بالقبضات الحديدية ، والعِصىّ ، منزل أحد (المبشرين) الأمريكيين ، فى القاهرة ، أثناء عقده لإجتماع شهرى ، لأفراد إرسالية بلاده . وكان من بين الحاضرين لهذا الإجتماع ، أحد القسس الأقباط ، والذى كان يعمل مُرشداً وموجهاً بهذه الإرسالية الأمريكية ، نظير مبلغ شهرى من المال . ونجح الشبان فى فض

الإجتماع ، بعد أن إعتدوا على جميع الحاضرين بالضرب المُبرح »[٤٠] .

وفى مدينة (كفر الزيات) ، وفى شهر يوليو ١٩٣٣ ، « قامت إحدى مجموعات (الجهاد المُسلح) ، من أعضاء الجمعية ، بضرب حصار حول أحد الملاجئ (دار للأيتام) ، التى كانت تديرها (الراهبات) الفرنسيات . وكانت هذه (الدار) قد مارست نشاطها التنصيرى فى خمس أطفال يتامى ، من المسلمين . وطالب شباب الجمعية ، بضرورة تسليم الأطفال (المتحولين) . وإضطرت (الراهبات) أمام ثورة الشباب ، وإصرارهم ، إلى تسليم ، الأطفال المتنصرين ، للشباب فى حضور إدارة البوليس السياسى المصرى ، الذى حقق الحادثة »[٤١] . ونتيجة لذلك ، أغلقت هذه (الدار) فى منتصف أغسطس ١٩٣٣ ، حيث ثبت عمل هذه الدار فى المجال التنصيرى .

وفى ذات الشهر (أغسطس) أبعدت الحكومة المصرية ، عدداً من الأطفال المسلمين ، من (ملجأ) المُنصرة (لليان تراشر) بأسيوط ، لما كان يحدث فيه - هو الآخر - من عمليات تنصير الأطفال والبنات المسلمين[٤٢] . والغريب فى الأمر ، أن الإرسالية الفرنسية ، وكان مقرها القاهرة ، والقنصل الفرنسى ، طالبوا (المندوب السامى البريطانى فى القاهرة) ؛ بضرورة تنفيذ الإمتيازات الأجنبية لما وقع عليهم من إعتداءات ، من جانب ما أطلقوا عليهم (الغوغاء) فى (كفر الزيات) - وعلى الفور ، « لفتت (دار المندوب السامى) ، نظر (الملك فؤاد) ، بأنه من (حق بريطانيا وواجبها) ، أن تتولى أمر حماية الأجانب وإرسالياتهم فى مصر ، وأن إستمرار ضغوط حكومات الإرساليات ، يخول لها - أى بريطانيا - التصرُّف ، وفوراً »[٤٣] . أليس هذا شكل من أشكال التهديد والإرهاب ، لملك البلاد ، من جانب (المندوب السامى البريطانى) !!

وفى مدينة (طنطا) – التى كانت بها إرسالية أمريكية تنصيرية خطيرة للغاية ، « تحركت بها مظاهرات شعبية ضخمة ، ضد نشاط الإرسالية التنصيرية ، التى كانت تمارس نشاطها التنصيرى ، وبشكل سافر (علنى) فى مستشفى طنطا ، وفى قراها ، بصورة خطيرة »[٤] . ثم تكررت هجومات مجموعات (الجهاد المُسلح) من أعضاء جمعية مقاومة التنصير الشعبية ، على تجمعات المُنصرين ، فى (دمنهور) و (جرجا) و (المحلة الكبرى) و (القاهرة) و (بورسعيد) وغيرها .

موقف السلطات البريطانية من حركة الجهاد الشعبية

وحاولت الدعاية البريطانية ، إجهاض حركة الجهاد الشعبية ، المناهضة للإرساليات الأجنبية ، فادعت الصحف الأجنبية ، بأن « إعتداء (الغوغاء) على (المُرسلين) لم يشملهم فقط ، وإنما إمتد إلى أفراد من الجاليات الأجنبية ، الذين لا يعملون فى مجال (التبشير) ، كاليونانيين فى الأسكندرية ، كما شمل الأقباط المصريين أنفسهم »[٤٥] . وإدعت الصحف الأجنبية – كذلك – بأن الأحداث (المؤسفة) التى وقعت فى (حىّ الأزبكية) بالقاهرة فى يوليو ١٩٣٣ – وغالبية سكان هذا الحىّ من الأقباط المصريين – كانت تستهدف الأقباط المصريين ، وليس (المرسلين) » . « وأن حادث إعتداء الجماهير الغاضبة على الراهب القبطى فى (دمنهور) ، فى مارس ١٩٣٣ ، بالضرب المُبرح ، لم يكن هدفه (المرسلين) »[٤٦] .

وفى (جرجا) ، إحدى مراكز (سوهاج) ، تكرر الإعتداء على الكهنة الأقباط المصريين ، وفى (المحلة الكبرى) ، إعتدى بالضرب المُبرح على تاجرين من الأقباط المصريين »[٤٧] . كما إعتدى بالضرب – كذلك – على أحد القسس الأقباط المصريين فى (شبرا) ، عند منتصف يوليو ١٩٣٣[٤٨] .

والواقع أن جميع هذه الحوادث ، وغيرها والتى حاولت الدعاية البريطانية ترويجها ، لتفريغ حركة الجهاد الشعبية ، المناهضة للإرساليات الأجنبية ؛ بإثارة حفيظة الأقباط المصريين ضد المسلمين ، عندما تم التحقيق فيها ، ثبت أن كل من وقع عليه إعتداء ، من بين الأقباط المصريين ، كانوا من ذوى الإتجاهات المتطرفة – على حد شهادة الأقباط أنفسهم – وثبت كذلك ، أنهم كانوا على إتصال مباشر أو غير مباشر ، بقيادات الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى مصر ، بل « وكان هناك – بالفعل – (مبشرين) من بين هؤلاء الأقباط »؛[٤٩] فقد ثبت فى التحقيقات ، « أن التاجرين القبطيين ، اللذان وقع عليهما الإعتداء (بالمحلة الكبرى) ، كانا ينتميان فعلاً ، إلى إحدى الكنائس (التبشيرية) »[٥٠] .

وإن كان معظمهم قد حاول إنكار التهمة فى البداية ، فإن القس (مرقس سرجيوس) ، رئيس تحرير صحيفة (المنارة المصرية) – لسان حال كافة الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى مصر – كان واحداً من بين هؤلاء ؛ فقد كان أحد العاملين مع الإرساليات التنصيرية ، بكل إخلاص وبكل إمكاناته ، فى مجال التنصير . وكانت صحيفته المذكورة ، لا يخلو عدد منها ، إلّا وبه « ثناء ومديح على الخدمات (العظيمة) و (الثمينة) التى قدمتها وتقدمها الإرساليات (التبشيرية) لمصر »[٥١] . و (مرقس سرجيوس) هذا ، هو صاحب المقولة الشهيرة ، « إذا رحل الإنجليزعن مصر ؛ فإن المسلمين سوف يحكمون مصر بمفردهم »[٥٢] . وقد أدانت صحيفة (السياسة) هذا القبطى المتطرف ، على هذه المقولة ، التى توحى بأن الأقباط ينبغى أن يؤيدون إستمرار الإحتلال البريطانى لمصر[٥٣] .

على كل حال .. كانت صحيفة (الجهاد) ، هى أول دوريّة ، أعلنت أن يداً أجنبية وراء دعاية الهجوم على الأقباط المصريين . وكانت (الجهاد) ، وهى صحيفة (وفدّية) ، قد حذرت « بأنه إذا نجح الإستعمار فى ضرب

(الوحدة الوطنية) ، فستكون ضربة قوية لمصر ، أخطر من تحويل مئات من المسلمين الضعفاء عن دينهم »[٥٤] !!

موقف الأقباط المصريين من حركة الجهاد الشعبية

والواقع أن جهاد القوى الشعبية الإسلامية المصرية ، لم يكن موجهاً ضد الأقباط المصريين ؛ على الرغم من أنه كان منْ بينهم لفيف كبير يعاونون المنصرين الأجانب ؛ كما روجت لذلك الصحافة الأجنبية ، والبريطانية - بصفة خاصة - والدليل على صدق ذلك ، من وثائق الإرساليات نفسها ، « ان جمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية ، نفسها ، وهى أحد رموز حركة الجهاد الشعبى الإسلامى ، إنتقدت محاولات (المرسلين) تجاه تحويل الأقباط الأرثوذكس المصريين عن مذهبهم »[٥٥] . كما أن بعض الأقباط المصريين (المخلصين) - المعتدلين - كانوا قد إنضموا لحركة القوى الشعبية الإسلامية ، للتصدى ومقاومة نشاط الإرساليات التنصيرية الأجنبية .

فقد نشرت (كوكب الشرق) ، فى ٢١ يونية ١٩٣٣ ، « أن الأقباط فى (بنى سويف) قاموا بمظاهرات ، ليعربوا عن مشاركتهم فى المشاعر مع المسلمين ، وغضبهم على نشاط الإرساليات (التبشيرية) ، التى جاءت لتمزيق الأقباط المصريين إلى عدة مذاهب » !![٥٦] كما طالبت (الجمعية الخيرية القبطية) ، بمنطقة (فم الخليج) ، سائر (الجمعيات الخيرية القبطية) الأخرى ، أن تنضم إليها فى مقاومة نشاط الإرساليات . « وكانت (جمعية فم الخليج) تلك ، قد فتحت قاعة محاضراتها لممثلى الهيئات الشعبية الإسلامية ، وسمحت لمدارسها ؛ بقبول الفتيات المسلمات الفقيرات ، تلاميذ منتظمين ، بدون تحصيل رسوم منهن »[٥٧] !!

وقد حذت حذوها (جمعية قبطية) أخرى فى (القاهرة) ، وبدأت تدرس الدين الإسلامى ، على أيدى مدرسين مسلمين ، فى مدارسها[٥٨] !! ولكن من الصعب الحكم على هذه السلوكيات الطيبة ، من جانب عدد من الأقباط المصريين (المخلصين) - المعتدلين - هل كان هذا السلوك بدافع الإقتناع الحقيقى ، أو الخوف من أن يتحول الهجوم ضدهم أيضاً - كما إدعى البعض - أو أن الإرساليات الأجنبية ، عندما انفضح أمرها ، أخذت تطور فى منهجها التنصيرى ، بأن أوكلت مهمتها إلى مثل هذه (الجمعيات القبطية) ؟!! ويبقى السؤال .. والتساؤل !!

موقف الرأى العام المسيحى الدولى من حركة الجهاد الشعبية الإسلامية

وكانت الصحافة البريطانية والألمانية ، تتابع وبعناية حركة الجهاد الشعبية الإسلامية ، فى مقاومة النشاط التنصيرى للإرساليات الأجنبية فى مصر ، والتصدى له ، طوال الفترة من عام ١٩٣٠ وحتى نهاية عام ١٩٣٣ . وقد أثير فى (مجلس العموم) البريطانى ، كثيراً من الأسئلة ، حول الإجراءات التى يجب أن تتخذ - وفوراً - لمواجهة هذه الحركة الشعبية الإسلامية ، والتى وصفت فى (مجلس العموم) البريطانى ، بأنها « النشاطات الغوغائية ، الشعبية والحكومية فى مصر »[٥٩] . وقد إندهش الكثيرون فى مصر ، ولكن الذى يبدد هذا الإندهاش ، أن (ألمانيا) وهى معقل الحركة الإستشراقية ، و(بريطانيا) ، وهى التى تخشى على وجودها فى مصر ، فى ذلك الوقت ، كانتا متفقتين على حماية نشاط (المبشرين) ، (بالإنجيل) فى وادى النيل ، « وتوصيل رسالة السيد المسيح إلى المصريين الذين يعيشون فى الظلام » .

وأصدرت (الخارجية البريطانية) فى (لندن) ، تعليماتها المُشددة لمندوبها السامى فى (القاهرة) ؛ « بضرورة الضغط ، وبشدة ، على (القصر) والحكومة المصرية ، لإخماد الدعاية المناهضة لإرساليات (التبشير) الأجنبية (الرسمية) و (المستقلة) »(٦٠) . ويبدو أن ضغوط الخارجية البريطانية ، و (المندوب السامى) فى القاهرة ، قد أصابت ؛ فقد أخذت بعض الصحف الحكومية ، والصحف ، المعروف أنها موالية (للقصر) ؛ وهى (الشعب) و (الإتحاد) ؛ تدافع عن الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، لدرجة أن هذه الصحف تمادت فى دفاعها ، فأخذت توجه اللوم إلى صحف (الإخوان المسلمين) و (الجمعيات الشعبية الإسلامية) ، وصحف (السياسة) و (الكشكول) و (الفتح) ؛ فى محاولة لإثارة (الفتن) !!

فقد ذكرت صحيفة (الشعب) ، « أن الحكومة لا تستطيع أن تفعل شيئاً ، إذا لم يثبت أن الإرساليات (التبشرية) ، تستخدم الإرغام »(٦١) . وقالت - كذلك - « ومن الأجدر بالذين يقاومون (التبشير) فى مصر الآن ، أن يُحثوا المسلمين فقط ، على أن يتبرعوا بالأموال ، من أجل إنشاء المدارس الإسلامية »(٦٢) !!

الملك « فؤاد » يؤيد حركة الجهاد الشعبية

وفى ذات الوقت ، ذكرت صحيفة (الإتحاد) - لسان حال القصر - ؛ وربما ذراً للرماد فى العيون ؛ « انه ليس هناك مشكلة خاصة بالإرساليات ، حيث لا يوجد هناك دين يستطيع أن ينافس الإسلام »(٦٣) . فهل كان (الملك فؤاد) ، على وعىّ بحجم المشكلة التنصيرية ، ومدى خطورتها ، ولذلك لم يتجاهل مظاهر المشاعر الشعبية القوية ، ضد الإرساليات الأجنبية ؟! وكان موقفه (معتدلاً) ، أو كما يحلو للبعض أن يصفه ، بأنه كان (باهتاً) !!؟

على أية حال .. لقد بان للعيان ، على الرغم من أن (الملك فؤاد) كان قد فاض به ، من موقف حكومة (إسماعيل صدقى) ، أنه لم يكن مستبعداً تماماً لإقالتها فى هذه الظروف ، خاصة وأنه قد طارت إشاعات قوية ، فى طول البلاد وعرضها ، عن « أن الملك فؤاد ، متعاطف جداً ، بل ويُشجع الحركة الشعبية الإسلامية ، والحكومية ، المناهضة للإرساليات (التبشيرية) الأجنبية »(٦٤) . من هنا . لم يكن مُحتماً أن يتوافق ، ما كان يرغب الملك فى أن يفعله ، بشكل خاص وسرى ، مع ما هو مُضطراً إلى أن يفعله علانية !!

ولا شك فى أن الإشاعات التى راجت فى مصر ، بأن الملك يؤيد ويُشجع حركة الجهاد الشعبية الإسلامية ، قد أعطت – من ناحية – للصحافة العربية مزيداً من الحُرية ، فى فضح وكشف أساليب المُنصرين الأجانب ، ومن ناحية أخرى – جعلت (دار المندوب السامى البريطانى) فى (القاهرة) ، تُعلن فى تحدٍّ سافر ، « ، بإذا تمادت الحركة المعادية للإرساليات (التبشيرية) ؛ فإنه هناك خطر للإضرار بطموحات مصر ، فى الحصول على معاهدة مقبولة ؛ (يقصد معاهدة ١٩٣٦) ؛ وإنهاء الإمتيازات الأجنبية »(٦٥) .

تصفية الحركة الإسلامية ، بقرار حكومى !!

وأمام هذا التحدى السافر ، من جانب حكومة بريطانيا ، إضطرت حكومة (إسماعيل صدقى) ، وتحت ضغوط بريطانيا ، والرأى العام الدولى المسيحى ، – كما ذُكر فى البرلمان – إلى إصدار قرار ؛ بمنع كافة التجمعات الشعبية الإسلامية ، المناهضة والمعادية للإرساليات التنصيرية الأجنبية ، من ممارسة نشاطها الدينى . وقد شمل القرار – الذى صدَّر من أجل تصفَّية حركة الجهاد الشعبية – وقف إجتماعات ونشاط (جمعية مقاومة التنصير المصرية) ، التى كانت ما تزال تجتمع فى دار الشبان المسلمين بالقاهرة(٦٦) . كما أوقف نشاط (الجمعية العامة للمحافظة على القرآن) ، والتى كان مقرها ، مدينة

(دمنهور) ، لما كان لها من نشاط واسع ، ضد بعثات التنصير الأجنبية فى (أقليم البحيرة)[٦٧] ؛ فقد كانت هذه الجمعية الأخيرة ، أحد رموز الحركة الشعبية الإسلامية .

لقد شملت التصفيّة الحكومية ، للحركة الشعبية الإسلامية ، وقف نشاط (تسعون جمعية دينية إسلامية) ، كانت موزعة على أقسام القاهرة وحدها . من بين هذه الجمعيات الشعبية الإسلامية ، (جمعية الشبان المسلمين) ، (جماعة الإخوان المسلمين) ، (جمعية الهداية الإسلامية)[٦٨] ، و (جمعية مكارم الأخلاق) ، و (الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنُة) ، و (جمعية الشفقة الإسلامية) ، و (الجمعية الخيرية الإسلامية) ، و (جماعة أنصار السنة المحمدية)[٦٩] .

وفى الوقت الذى أوقفت فيه « الحكومة الصدقية » ، كافة أنشطة حركة الجهاد الشعبية الإسلامية ، وصحفها ؛ سمحت لهيئة كبار العلماء (الرسميون) ، الذين كانوا يتولون جمع التبرعات المالية ، للجنة الشيخ الأحمدى الظواهرى ، (لجنة مقاومة التبشير الحكومية) ؛ بالإستمرار بالإجتماع ، ومزاولة نشاطها الحكومى[٧٠] . فى أى مكان تشاء ، وفى أى زمان . فى محاولة ، لترضيّة الشعب المسلم المصرى الغاضب ، الحانق . وبذلك هدأت حركة الجهاد الشعبية الإسلامية ، فى أواخر أغسطس عام ١٩٣٣ ، بدرجة ملحوظة ؛ بفعل الحكومة المصرية ، التى كانت مُرغمة على ذلك ، وبتوجيه من (دار المندوب السامى البريطانى) ، فى (القاهرة) .

بداية النهاية للمشكلة التنصيرية

وأخذت الصحف الحكومية ، يتحول إهتمامها ، بما أعلن عن رحيل (المندوب السامى البريطانى) من (القاهرة) ، ومجئ آخر جديد . كما أنه كان واضحاً أن (حكومة إسماعيل صدق) ، القمعيَّة ، لن تعمر طويلاً !!

وقد أظهرت (حكومة صدقى) ، قبل رحيلها ، بعض الإهتمام ، بإصدار بعض التشريعات لتنظيم أفعال ونشاط الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى مصر . والغريب فى الأمر ، أن هذه الحكومة المصرية ، لم تفعل هذا ، بدافع من ذاتها ، وإنما كانت (دار المندوب السامى البريطانى) ، « هى التى وراء تحبيذ هذه الفكرة »[٧١] ، (تشريعات حكومية لتنظيم نشاط وعمل المرسلين) . فقد أثبتت الوثائق البريطانية – هذه المهزلة الحكومية – عندما أعلن (وزير خارجية بريطانيا) فى إحدى جلسات (مجلس العموم) ، يوم (٥ يوليو ١٩٣٣) – « **أنه أصدر توجيهات للمندوب السامى ، فى القاهرة ، ليستكشف مع حكومة صدقى ، إمكانية قيام شكل من الإشراف المركزى ، على بعض الجوانب المُعيَّنة من عمل الإرساليات الأجنبية فى مصر** »[٧٢] .

وقد أضاف (جون سيمور John Simor) –، « وأن مجلس الإرساليات المصرى المشترك ، قد تم التشاور معه ، وأُخذ رأيه فى هذه المسألة »[٧٣] . وبذلك يمكن القول – فى مرارة – أن الخارجية البريطانية ، ومندوبها السامى فى القاهرة ، ومجلس الإرساليات التنصيرية المصرى المشترك ، جميعاً كانوا وراء كل ما صدر فى مصر ، من قرارات ، وقوانين (منظمة لنشاط وعمل المُنصرين الأجانب) ، وضرب الحركة الإسلامية الشعبية التى تصدّت ، وبعنف ، لعمل الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، خلال الفترة من ١٩٣٣ وحتى عام ١٩٣٧ .

وكانت (دار المندوب السامى) فى (القاهرة) ، « تعتقد فى أن حكومة صدقى ، عازمة على منع – كحد أدنى – النشاط (التبشيرى) ، خارج مقار الإرساليات ، وتوزيع الكتيبات والرسائل ، وإستخدام العوامات فى النيل » . كما أنها – ربما – تمنع (تعميد) صغار السن من أبناء المسلمين ، وتدريس الدين المسيحى ، للمسلمين فى المعاهد والمدارس التابعة للإرساليات »[٧٤] . « وكانت (دار المندوب السامى) فى القاهرة ، قد إستدعت أحد (المرسلين) – المُنصرين – (المستقلين) ، والذى كان قد إعتدى عليه

بالضرب المبرح ، فى يونية ١٩٣٣ ، وجعلته يتعهد بعدم عقد إجتماعات وصلاة ، خارج المبانى ، أو أن يقوم بأى عمل آخر غير مُتزن »(٧٥) . وربما كانت (دار المندوب السامى) ، تريد بذلك العمل ، أن تحصر عمل حكومة صدقى ، فى إصدار تشريعات حول هذه الأمور فقط ، تجاه الإرساليات الأجنبية ، ونشاطهم فى مصر ، بمعنى الإبقاء على النشاط التنصيرى ضد المسلمين فى مصر ، ولكن فى إطار قانونى وشرعى ، وبإعتراف الحكومة المصرية القائمة ، والحكومات الأخرى المتعاقبة !!

والذى يُثير الدهشة ، أن الخارجية البريطانية ، ذكرت فى وثائقها ؛ « بأنها كانت مُستعدة ، لتأييد تشريعات (معتدلة) ، إذا ما وافقت حكومة صدقى ، على عدم مضايقة (المتحولين) – المتنصرين – »(٧٦) !! ، من المسلمين – بطبيعة الحال – وكان معنى ذلك ، أن مثل هذه التعهدات ، من جانب الحكومة المصرية ، ستضمن وضع كل المسلمين ، الذين سيغرّر بهم ، فى المستقبل ، ويتم تنصيرهم . وهذا الأمر الأخير ، لم يكن ، بمقدور حكومة (إسماعيل صدقى) ، أو غيرها أن تتجرأ وتُقدم عليه .

ولما كان (الملك فؤاد) قد عارض فكرة التشريعات المُنظمة لنشاط الإرساليات الأجنبية ، منذ البداية ؛ فإنه قد أثبت – فى نفس الوقت – صدق مشاعره تجاه حركة الجهاد الشعبية الإسلامية ؛ وأثبت « أنه كان يرغبُ فى الإطاحةِ بهذه الإرساليات الأجنبية خارج البلاد ، فى أقرب وقت ممكن » . وكانت (بريطانيا) تدرك ذلك جيداً . الأمر الذى جعل (الخارجية البريطانية) ، فى (لندن) تُعلن ، « أنه ليس من حق الحكومة المصرية أن تتولى مهمة الإشراف ، على نشاط الإرساليات (التبشيرية) ، بمقتضى الإمتيازات الممنوحة لحكوماتها »(٧٧) . والذى يُثير الحفيظة ، ويُفجّر بركان الغضب ، إن الوثائق البريطانية ، راحت تدعى : « ان وزارة الخارجية فى (لندن) ، سرعان ما وجدت نفسها ، تحت ضغط الإمتيازات الأجنبية ، مضطرة للقيام بمسئوليتها

تجاه حماية الإرساليات (التبشيرية) الأجنبية ، وإستعداد البرلمان الإنجليزى ، للإذعان لتوجيهات الكنيسة الإنجليكانية » . وقد أضاف (بترسون Peterson) – فى وزارة الخارجية البريطانية – « أنهم – يقصد بريطانيا – لا يستطيعون أن يرغموا الإرساليات الأجنبية ، على أن تتنازل عن حقوقها فى الإمتيازات الأجنبية ، وأن تخضع لإشراف الحكومة (المصرية) ، ما لم توافق السلطات الدبلوماسية ، التابعة لها »(٧٨) ، هذه الإرساليات التنصيرية ، التى تزاول نشاطها فى مصر .

والحقيقة أن حكومة (صدق) كانت عاجزة – تماماً – عن إتخاذ أية إجراءات إيجابية ، بشأن الإشراف المباشر على نشاط وعمل الإرساليات الأجنبية ، لأن الإمتيازات الأجنبية ، التى كانت ممنوحة لحكومات تلك الإرساليات التنصيرية ، كانت تمثل عقبة كؤود ، فى سبيل الإسلام والمسلمين فى مصر ، علاوة على أن السلطات البريطانية ، كانت تساعد وتعضد نفوذ الإرساليات الأجنبية ، بشتى الطرق والوسائل . ومن هنا كان سقوط حكومة (صدق) ، أمام نفسها ، وأمام الرأى العام المصرى ، بشأن هذه القضية الخطيرة ضد الإسلام والمسلمين ، أمراً حتمياً – ففى ٢٧ سبتمبر عام ١٩٣٣م ، قدمت الحكومة إستقالتها ، لتبقى مشكلة النشاط التنصيرى ، والإرساليات الأجنبية قائمة حتى فى عهد الحكومات المتعاقبة !!

هوامش الفصل الحادى عشر

(١) الإمام الداعية الشيخ حسن البنا – مذكرات الدعوة والداعية . ص/١٤٥ – ١٦٢ .

(٢) صحيفة الإخوان المسلمون – ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) .

(٣) الإمام الداعية الشيخ حسن البنا – المرجع السابق . ص/٤٩ – ٥٠ .

(٤) محمود عبدالحليم – الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ، دار الدعوة ، جا الاسكندرية ، ١٩٧٩ . ص/٥٦ .

(٥) محمود عبدالحليم – المرجع السابق . ص/٥٧ .

(٦) المصدر السابق . ص/٥٩ .

(٧) سعد الدين محمد الجيزاوى (دكتور) – المصدر السابق . ص/١٩٧ .

(٨) المصدر السابق . ص/١٩٧ .

(٩) Carter, B.L.; OP. cit.; P. 26.

(١٠) Ibid; P. 27.

(١١) Egyptian Gazette; 19 July, 1933.

(١٢) F. O; 371/17302. 1. 1950/552/16.

(١٣) صحيفة البلاغ ، ٢٠ يوليو ١٩٣٣ . ص/١ .

(١٤) Egyptian Gazette; 19 July, 1933; P. 8.

(١٥) خالد نعيم (دكتور) – تاريخ جمعية مقاومة التنصير المصرية (١٩٣٣ – ١٩٣٧) ، كتاب المختار ، القاهرة ، ١٩٨٦ . ص/٢٠ .

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل : « إن الجمعية وموقفى من حركة (التبشير) دفعنى للتفكير فى مقاومتها بالطريقة المثلى التى يجب أن تقاوم بها . ورأيت أن هذه الطريقة المثلى حب عليّ أن أبحث حياة صاحب الرسالة الإسلامية ، ومبادئه بحثاً علمياً » .. الخ .

أنظر كذلك : مذكرات فى السياسة المصرية . ص/٢٧٢ .

(١٦) أنظر المنشور الخاص بالجمعية ، موقعاً عليه باسم (طه عبدالباق سرور نعيم) .

(١٧) نشرت صحيفة (التايمز) اللندنية ، خبر إنضمام الشيخ حسن البنا - المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين ، إلى عضوية جمعية مقاومة (التبشير) ، فى ٣ يوليو ١٩٣٣

أنظر : Times; 3 July; 1933.

(١٨) محمد حسين هيكل (دكتور) - المرجع السابق . ص/٢٧٢ .

(١٩) فخر الدين الأحمدى الظواهرى (دكتور) - السياسة والأزهر (من مذكرات شيخ الإسلام (الظواهرى) ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٥ . ص/٣١٥ .

(٢٠) مجلة كل شئ والدنيا - العدد ٤٠٥ ، الأربعاء ١٩ أغسطس ١٩٣٣ . ص/١٠ .

(٢١) المصدر السابق . ص/١٠ .

(٢٢) كل شئ والدنيا ، العدد السابق . ص/١٠ .

وأنظر كذلك :- الظواهرى - المصدر السابق . ص/٣١٥ .

(٢٣) خالد نعيم (دكتور) - المصدر السابق . ص/٢١ .

(٢٤) خالد نعيم (دكتور) - المصدر السابق . ص/٢٢ .

(٢٥) المصدر السابق . نقلاً عن :

The Times cittings Book on Egypt; Times; 3 July, 1933.

(٢٦) خالد نعيم (دكتور) - المصدر السابق . ص/٢٢ .

(٢٧) فخر الدين الأحمدى الظواهرى (دكتور) - المصدر السابق . ص/١١٤ - ١١٥ .

(٢٨) المصدر السابق . ص/١١٥ .

(٢٩) Times; 27 Juny; 1933.

(٣٠) Ibid;

(٣١) F.O.; 141/752, 353/45/33.

وأنظر : فخر الدين الظواهرى (دكتور) - المصدر السابق . ص/٣١٥ - ١١٦ حيث كتب الشيخ الظواهرى) - فيما بعد - « أنه شعر بمسؤليته تجاه مقاومة نشاط الإرساليات » .

(٣٢) فخر الدين الظواهرى (دكتور) - المصدر السابق . ص/٣١٥ :

(٣٣) المصدر السابق . ص/٣١٦ - ٣١٧ .

فقد خاطب (الظواهرى) الملك فؤاد والحكومة ، بخطابات رسمية . يرجع إلى نصوصها في مذكراته .

(٣٤) F.O.; 141/752; 353/192/33.

وأنظر كذلك : F.O.; 371/17302; 724/8/1552/15.

F.O.; 144/752; 353/199/33.

(٣٥) F.O.; 141/752; 353/209/33.

(٣٦) F.O.; 141/752. 353/209/33.

(٣٧) F.O.; 141/752. 353/22/33.

(٣٨) Egyptian Gazette; 22 July 1933; P. 5.

(٣٩) فخرى الدين الظواهرى (دكتور) – المصدر السابق . ص/٣١٦ .

(٤٠) Cartar; B.L.; OP. cit.; P. 28.

(٤١) خالد نعيم (دكتور) – المصدر السابق . ص/٣١ .

(٤٢) Egyptain Gazette; 13 July 1933; P. 6.

(٤٣) F.O.. 141/752; 353/96/33.

(٤٤) خالد نعيم (دكتور) – المصدر السابق . ص/٣١ – ٣٢ .

(٤٥) F.O.; 141/752; 353/96/33.

وأنظر كذلك : F.O.; 141/752; 353/142/33.

(٤٦) Ibid;

(٤٧) خالد نعيم (دكتور) – المصدر السابق . ص/٣٢ .

وأنظر كذلك : F.O.; 141/752; 353/80 A/33.

F.O.; 141/752; 353/87/33.

(٤٨) Carter, B.L.; OP. cit.; P. 28.

(٤٩) خالد نعيم (دكتور) – المصدر السابق .

(٥٠) F.O.; 141/752; 353/80A/33; 353/87/33.

(٥١) صحيفة (المنارة المصرية) ، أعداد شهرى يونية ، ويوليو عام ١٩٣٣ .

(٥٢) Carter, B.L.; OP. cit.; P. 29.

(٥٣) صحيفة (السياسة) ، ١٠ يوليو ١٩٣٣ .

(٥٤) صحيفة (الجهاد) ، ٢٩ يونية ١٩٣٣ .

(٥٥) F.O.; 141/760. 353/40/33.

(٥٦) كوكب الشرق ، ٢١ يونية عام ١٩٣٣ .

(٥٧) صحيفة (الجهاد) ، ٤ يوليو عام ١٩٣٣ .

(٥٨) F.O.; 407/217; enclosure in No. 7.
Memarandum on the Egyptian Press; 1-6 July 1933.

(٥٩) Egyptian Gazette; 22 July 1933; P. 5.
وأنظر كذلك : F.O.; 280 HC Deb; 5 S. (5 July 1933)

(٦٠) F.O., 141/760; 353/40/33.
وكذلك : F.O.; 141/752; 353/42/33

(٦١) صحيفة (الشعب) ، ٢٦ يونية ١٩٣٣ . ص/أ .

(٦٢) صحيفة (الشعب) ، ١٣ يونية ١٩٣٣ . ص/١ .

(٦٣) صحيفة (الاتحاد) ، ٢٧ يونية ١٩٣٣ . ص/٥ .

(٦٤) خالد نعيم (دكتور) - المصدر السابق . ص/٢٩ .

(٦٥) F.O.; 141/752. 353/84/33.
وأنظر كذلك : Carter, B.L.; OP. cit.; P. 29

(٦٦) F.O.; 141/752, 353/124/33.

(٦٧) Carter, B.L.; OP. cit.; P. 35.

(٦٨) أسسها الشيخ (محمد الخضر حسين) فى أوائل عام ١٩٢٨ ، وقد صار فيما بعد شيخاً للأزهر الشريف .

(٦٩) سعد الدين محمد الجيزاوى (دكتور) - المرجع السابق. ص/٢١٥ - ٢١٦ . وقد أورد (المؤلف) ثبتاً بأسماء الجمعيات الإسلامية الشعبية ، التى كانت تمارس نشاطها الدينى ، فى مصر فى ذلك الوقت .

(٧٠) Egyptian Gazette; 15 July, 1944; P. 5.

(٧١) F.O.; 141/760. 353/18/33.

(٧٢) 280. HC. 5S (5 July 1933).

(٧٣) Ibid;

(٧٤) F.O.; 141/752; 353/42/33.

(٧٥) فقد تراجع (المنُصر) عن تعهده فيما بعد !! ;Ibid

(٧٦) F.O.; 141/752; 353/176/33.

وأنظر كذلك : F.O.; 371/17032; J 2988/1552/16.

(٧٧) Ibid; - 371/17032; J 2988//1552/16.

(٧٨) Ibid;- 371/17032; J 2988/1552/16.

الفصل الثانى عشر

الحكومات المصرية المتعاقبة ، وموقفها من الإرساليات الأجنبية ١٩٣٤ - ١٩٤٤

- حكومة (عبدالفتاح يحيى) ، ووضعَّية (المتحولين) من الإسلام إلى المسيحية !!
- حكومة (على ماهر) ، تتصدى للنشاط التنصيرى . (١٩٣٦) .
- إتفاقية منترو (٨ مايو عام ١٩٣٧) .
- حكومة (مصطفى النحاس) وموقفها السلبى (١٩٣٦ - ١٩٣٧) .
- موقف حكومة (محمد محمود) والإيجابية (١٩٣٨ - ١٩٣٩) .
  - مشروع الدكتور عبدالخالق سليم ، لوقف النشاط التنصيرى فى مصر .
- حكومة (مصطفى النحاس) - ومشروعها للقضاء على الإرساليات (التبشيرية) (١٩٤٢ - ١٩٤٤) .
  - نصوص مشروع الحكومة الوفدية .
- توقف الممارسة العملية للإرساليات التنصيرية فى مصر عام ١٩٤٤ .

حكومة عبدالفتاح يحيى ، وموقفها من وضعيّة (المتحولين) من المسلمين إلى المسيحية

ومع إعتلاء (عبدالفتاح يحيى) الحكومة ، فى (٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ — ١٤ نوفمبر ١٩٣٤) ، دخلت قضية (الإرساليات الأجنبية) فى مصر ، مرحلة جديدة . فعلى الرغم ، من أن (عبدالفتاح يحيى) كان رئيس وزراء ضعيفاً ، وخاملاً ، إلا أن حكومته ، قد أظهرت إهتمامات إيجابية ، بشأن إصدار تشريعات لتنظيم العمل التنصيرى للإرساليات . لذلك ، « إنتهز (المندوب السامى البريطانى) الجديد ، فى (القاهرة) ، الفرصة ، وأخذ ، بتوجيه من (لندن) ، يضغط على أعضاء (مجلس الإرساليات المصرى المشترك) ، أن يضعوا « دستوراً أدبياً » ، ويقدموه للحكومة ، لإقراره ، من أجل مستقبل العمل (المرسلى) فى وادى النيل »[1] .

وعند أوائل أكتوبر ١٩٣٣ ، إجتمع (مجلس الإرساليات المصرى المشترك) ، ووضع تصوراً ، لشكل (الدستور الأدبى) المزمع ، وكبيان « أدان فيه إستخدام الإرساليات (التبشيرية) للأساليب غير الشريفة ، من أجل تحويل البنات والصبيان » — ولكنه — فى نفس الوقت — لم يُقِر المجلس « بأن شيئاً من هذا قد حدث » ، « كما أصرَّ — هذا المجلس — على أن الإرساليات لم تستَّغل أنشطتها (الخيِّرية) ، فى تحويل المسلمين عن دينهم » . وإن كان (البيان) « قد شجب (تعميد) صغار السن ، من المسلمين »[2] ؛ فإنه للأسف الشديد ، كان فى محتواه ، يمثل وثيقة إدانة دامغة للوجود الأجنبى والإمتيازات الأجنبية فى مصر .

ومن المفارقات العجيبة ، والتى تثير الدهشة ، أن هذا المجلس (مجلس الإرساليات المصرى المشترك) ، إنتهز أول مناسبة ، « وأظهر (أسفه) — مرة

أخرى – لعدم وجود تشريع رسمى ، (للتحول عن الإسلام) . »[٣] وكأن العالم المسيحى ، كان يريد أن تعترف الحكومات المصرية ، بالتنصير ، وتُسنّ له القوانين ، وتحمى وترعى القائمين عليه !!

لقد ظلت قضية (تعميد) صغار السن ، مسألة مُثارة حتى قرب نهاية عام ١٩٣٩ ، حيث كانت الإرساليات التنصيرية ، ومجلسها المشترك هذا ، يعتبرون (غير الراشدين) ، من يقل عمرهم عن ١٨ سنة ، فضلاً انه فى مصر ، وحتى عهد قريب جداً ، لم يكن هناك شهادات ميلاد للبنات غير المتزوجات . وهذه الظاهرة كانت سائدة فى كثير من الأقاليم المصرية ، ومدنها وقراها ؛ مما أعطى فرصة ذهبية لجماعات المُنصرين ، حيث كثفوا نشاطهم بين هذه الفئة من المسلمين .

على كل حال .. كان بيان (مجلس الإرساليات المصرى) على درجة عالية من الخطورة ، فقد وضح أن هذا المجلس ، هو لسان حال ، الحركة المسكونية المسيحية العالمية ، وبوق الدعاية والتخطيط لكافة الإرساليات الأجنبية (الرسمية أو المستقلة) – كما كان يحلو لهم أن يذكرونها – لتنصير المسلمين فى مصر ، وتحويلهم عن دينهم . لذلك عندما قدم هذا المجلس ، (دستوره الأدبى) – هذا البيان – إلى (حكومة عبدالفتاح يحيى) ، رفضته الحكومة المصرية ، شكلاً وموضوعاً ، فلم يكن البيان مقبولاً ؛ على الاطلاق ، فى كل كلمة جاءت به[٤] .

وأمام رفض الحكومة المصرية ، لمقترحات (مجلس الإرساليات المصرى المشترك) ، أخذ (والتر سمارت Walter Smart) ، السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية ، فى القاهرة ، يُظهر إستعداده لمجلس الإرساليات المصرى ، من التنسيق معاً والتعاون ، لفرض وإقرار التشريعات التى تحكم وتنظم ، ما أسماه (الدعوة الدينية) – أى التنصير – على (حكومة عبدالفتاح يحيى) ؛ غير أن

إصرار الحكومة المصرية ، على رفضها (خرافات) مجلس الإرساليات المصرى ، جعل (سمارت) يلجأ إلى قيادات الكنيسة الإنجليكانية المصرية ، لممارسة نوعاً من الضغوط ، لإرغام (حكومة عبدالفتاح يحيى) ، قبول التشريعات التنصيرية !!

وظلت الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، ومجلسها المصرى ، وبعض قيادات الكنيسة المصرية ، ودار المندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، و (والتر سمارت) ، السكرتير الشرقى - ظل كل هؤلاء ، يمارسون أشكالاً خطيرة من الضغوط على الحكومة المصرية ، طوال عام ١٩٣٤ ، لإجبار (عبدالفتاح يحيى) ، إقرار شرعية (وضعية المتحولين) ، المتنصرين من أبناء وبنات المسلمين ، ولكن دون جدوى . فقد ظلت هذه الحكومة المصرية ، وحتى آخر يوم فى عهدها ، مُحافظة على عدم التورط فى إصدار تشريعات بشأن الإعتراف (بوضعية المتحولين) من المسلمين إلى المسيحية !! وهذه نقطة تُحسب لعبدالفتاح يحيى ، رئيس الوزراء .

حكومة (على ماهر) تتصدى للنشاط التنصيرى

وفى عهد وزارة (على ماهر باشا) الأولى (٣٠ يناير ١٩٣٦ - ٩ مايو ١٩٣٦) ، عاود (والتر سمارت) مناقشة القضية مع (على ماهر) ، وهى مسألة إقرار تشريع رسمى (للتحول عن الإسلام) ، غير أن (على ماهر) الذى كان لا يرغب فى إغضاب أحد ؛ بحكم إتصاله بجميع الزعماء الوطنيين والسياسيين المصريين منذ أن كان رئيساً للديوان الملكى (يوليو ١٩٣٥ - يناير ١٩٣٦) ، وإتصاله - كذلك - بالعديد من رجال الصحافة على إختلاف مشاربهم ؛ كان له رأى فى هذه المسألة ، عندما قال له : « لماذا تولون هذه القضية كل هذا الإهتمام ، بينما عدد (المتحولين) ضئيل »(٥) . وفى نفس الوقت - وعد (على ماهر) ، رئيس الوزراء والخارجية والداخلية ، فى ذات

الوقت ، وعد (سمارت) – السكرتير الشرق ؛ بضرورة مناقشة هذه المسألة مع شيخ الأزهر ، الشيخ (المراغى)[٦] – حينئذاك – وبطبيعة الحال ، كان للشيخ (مصطفى المراغى) ، موقفه الواضح – منذ البداية – بشأن الإرساليات التنصيرية ، ونشاطهم فى هذا البلد ، منذ أن كان رئيساً (لجمعية مقاومة التنصير المصرية الشعبية) . ومن المؤكد ، أن (على ماهر) لم يصل إلى نتيجة يُرضى بها السكرتير الشرق ، بشأن هذه المسألة . وربما لم يتحدث أصلاً ، مع الشيخ المراغى ، فى هذا الأمر .

ولما أخذ (على ماهر) يماطل (سمارت) فى الردّ عليه ، بشأن هذه القضية . شعرت الخارجية البريطانية ، أنه لم يعد بمقدورها ، ممارسة مزيداً من الضغوط على الحكومة المصرية ؛– التى أخذت فى التمهيد للمباحثات (المصرية – البريطانية) بشأن المعاهدة[٧] –؛ فى أمر (مسألة المتحولين)[٨] . ومن المحتمل أن بريطانيا كانت – فى ذلك الوقت – تخشى أن تمارس ضغوطاً جديدة ضد الحكومة المصرية ، فيتزايد السخط الشعبى ضد وجودها فى وقت غير مناسب . فقد كان (على ماهر) قد إتصل بالمندوب السامى البريطانى فى القاهرة ، وطلب إليه (حذف عبارة التهديد) التى إنطوت على تغيير علاقة إنجلترا بمصر ، إذا فشلت المفاوضات فى إبرام معاهدة بين البلدين[٩] .

وصدرت تعليمات الخارجية البريطانية فى (لندن) ، إلى المندوب السامى فى (القاهرة) ؛ بالتوقف نهائياً ، عن إثارة أية مسائل ، بشأن (العمل المرسلى) فى مصر ، مع أية قيادات حكومية أو غير حكومية . وبالفعل أخذت (دار المندوب السامى) ، تهدأ من حماس (مجلس الإرساليات المصرى المشترك) ، بقولها : « بأنه يُمكن عرض (المسألة) – (المتحولين) – مرة أخرى ، عندما تنضم مصر إلى عُصبة الأمم »[١٠] . وعندما طلبت مصر

الإنضمام إلى العصبة فى عام ١٩٣٧ ، لم يثار الموضوع على الإطلاق ، وقد أجيب طلب مصر فوراً !!

وبدأت حكومة (على ماهر) ، تتخذ من الإجراءات الإيجابية ، لتحجيم نشاط الإرساليات التنصيرية فى البلاد .، فمنعت الحكومة – إعتباراً من مارس ١٩٣٦ – دخول المُنصرين الأجانب إلى مصر ، وإن كانت لم تمنع (التبشير) كعملية خطيرة ، لكنها كانت خطوة إيجابية – بلا شك – ترتب عليها ، « عدم منح أية تصاريح جديدة ، (لمبشرين) أجانب جُدد ، إلّا إذا غادر البلاد عدداً مماثلاً من ذويهم ، ليحلوا محلهم »[١١] . وكانت هذه الإجراءات ، نقطة تحول هامة فى سلوكيات الحكومات المصرية المتعاقبة ، منذ تولى (على ماهر) الوزارة فى عام ١٩٣٦ – على الأقل – ولما كانت مصر ، لا تزال خاضعة للإمتيازات الأجنبية ، كان عليها أن تظل كذلك ، غير قادرة على منع التنصير بين المسلمين حتى منتصف عام ١٩٣٧ !!

إتفاقية منترو (٨ مايو ١٩٣٧)

وعندما عُقدت إتفاقية (منترو) فى عام ١٩٣٧ ، وألغيت بمقتضاها الإمتيازات الأجنبية ، والتى أوقفت تدريجياً على مدى عشر سنوات ، وإستردت مصر سيادتها الشرعية كاملة ، على ترابها ، وعلى الأجانب المقيمين على أرضها – بما فيهم الإرساليات التنصيرية – وعلى نشاطهم ؛ وأصبح من سلطة الحكومة المصرية ، الإشراف على نشاط الإرساليات التنصيرية ، فى طول البلاد وعرضها ، لذلك تعالت صيحات الغيورين المطالبين ، بضرورة وضع حدٍّ لنشاط المُنصرين الأجانب ، وسرعة إتخاذ الإجراءات الحاسمة ، لتحريمه أو تجريمه ، خاصة بعد أن كشفت بعض الصحف المصرية ، ومنها (مصر الفتاة) و (الثغر) ، فى منتصف عام ١٩٣٧ ، « أسرار خطيرة عن نشاط إحدى المدارس التى تديرها الإرساليات التنصيرية ، أنشئت بجوار الجامع الأزهر ،

لتعليم العميان القرآن ، بالحروف البارزة »[١٢] . وقد ظهر أن مدير هذه المدرسة التنصيرية ، كان على إتصال مباشر ، ومستمر بأحد (المبشرين) ، بمدرسة الأمريكان بالأزبكية ، وكان كذلك ، على صلة متينة ، (بالمبشر) الأمريكى المعروف (موريس)[١٣] . مما أثار حفيظة القوى الشعبية الإسلامية ، وغضب الحكومة المصرية .

حكومة (مصطفى النحاس) الثالثة (٩ مايو ١٩٣٦ – ٣١ يوليو ١٩٣٧)

وكانت حكومة (النحاس) الوفديّة ، غاضبة (شكلاً) ، بحيث كان (النحاس) فى تصريحاته ، بشأن قضية الإرساليات الأجنبية ، لا يُنم على أنه راغب (جاد) ، فى إتخاذ إجراءات إيجابية سريعة ، ضد النشاط التنصيرى فى مصر ، بدعوى « أن الحكومة المصرية ، حتى ذلك الوقت – ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، لم يكن لها مُطلق الحرية ، فى وضع قوانين لتنظيم عمل (المبشرين) ، وتنفيذها ، حتى إنتهاء سريان الإمتيازات الأجنبية » . وحتى بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ ، كان إحتفاظ السلطات البريطانية ؛ « بحق حماية الأجانب والأقليات والجاليات ، هو الذى أعطى للإرساليات التنصيرية ، حرية الحركة والعمل بين المسلمين – فقد كان السفير البريطانى فى مصر ، (مايلز لامبسون) – اللورد كيلرن فيما بعد – « يشكو من أن (الإرساليات التبشيرية) ، لا تزال تحاول أن تستخدم بريطانيا ، كرأس حربة ، للمحافظة على مصالحها فى مصر »[١٤] . هكذا كان موقف الحكومة الوفديّة ضعيفاً أمام المشكلة التنصيرية ، حتى نهاية عهدها ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، وربما كان لها بعض العذر فى ذلك الموقف !!

موقف حكومة (محمد محمود باشا) ، ٢٤ يونية ١٩٣٨ - ١٨ أغسطس ١٩٣٩)

ومع بداية عام ١٩٣٩ ، ثار هجوماً متفرقاً ، ضد وجود الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى مصر ، فى الصحف المصرية . وبصفة خاصة صحف (النذير ، والإخوان المسلمين ، ومصر الفتاة) . وقد أسهم كل من عدم شعبية الحكومة المصرية ، وعدم الإستقرار الناتج عن الكساد الإقتصادى العالمى ، فى تزايد قوة ردِّ الفعل الشعبى تجاه الوجود غير الشرعى ، للإرساليات التنصيرية الأجنبية .

مشروع (عبدالخالق سليم) لوقف النشاط التنصيرى فى مصر

وفى ١٧ يوليو ١٩٣٩ يكتب (مايلز لامبسون) إلى الخارجية البريطانية فى (لندن) قائلاً : « أصيب محمد محمود بإجهاد حاد ومشكلات قلبية . وعجز عن العمل أغلب الوقت ، وحالته تجعل من المستحيل بالنسبة له أن يصرف الأمور الخطيرة »(١٥) وكانت مسألة الوجود التنصيرى الأجنبى ، إحدى الأمور الخطيرة التى نوقشت فى مجلس الشيوخ المصرى ، ولكن بلا جدوى ، فرئيس الحكومة ، عاجز ، مريض ، من المستحيل أن يصرِّف الأمور الخطيرة !!

ففي فبراير عام ١٩٣٩ تقدم (الدكتور عبدالخالق سليم) ، عضو مجلس الشيوخ : « بمشروع قانون يمنع الدعاية (دعاية المُنصرين الأجانب) ، بين الأحداث ، لتغيير معتقداتهم الدينية »(١٦) لكن هذا المشروع ، ظل مهملاً فى أدراج المجلس ، ولم ينظر حتى أواخر عام ١٩٣٩ ، مما أثار ثائرة صحف (النذير) و (مصر الفتاة) . وأخذت (النذير) « تفضح الدور

(التبشيرى) الذى كانت تمارسه ممرضات مستشفى (هرمل) بمصر القديمة ، والتابع للإرسالية الإنجليزية ، وغوايتهن للفقراء من المرضى »[17] .

كما وضعت صحيفة (مصر الفتاة) يدها على جماعة من (المبشرين) الأجانب ، فى أبريل ١٩٣٩ ، كانوا يقومون بتوزيع كتب ومطبوعات مسيحية تنصيرية ، تتضمن الطعن فى الإسلام ، وتدعو إلى المسيحية[18] . كل ذلك داخل المواصلات العامة ، والنوادى ، وبعض دواوين الحكومة .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى أوربا فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ، كانت حكومة جديدة تحكم فى مصر ، بعد إستقالة (محمد محمود) ، هى حكومة (على ماهر) ، (١٨ أغسطس ١٩٣٩ – ٢٧ يونية ١٩٤٠) ، ومع بداية عام ١٩٤٠ أعيد طرح مشروع الدكتور (عبدالخالق سليم) – مرة أخرى – على مجلس الشيوخ – الذى كان رئيسه فى ذلك الوقت ، (محمد محمود خليل) ، الذى كان متزوجاً من سيدة فرنسية إعتاد أن يقضى نصف السنة فى فرنسا ، ونصفها الآخر فى مصر ، وكانت له ميول إيطالية ، على الرغم من أنه حصل من فرنسا على الوسام الأكبر من (اللجيون دونير) – وسام الشرف الفرنسى –، وكان – فى ذات الوقت – رئيساً وعضواً فى مجالس إدارات عدة شركات أجنبية ، بلغ عددها خمساً وعشرين شركة[19] – وفى جلسة (مجلس الشيوخ) فى ٦ فبراير ١٩٤٠ ، طُرح المشروع ، وبعد التداول فى لجان المجلس وجلساته ، منذ ١٧ أبريل وحتى يوليو ١٩٤٠[20] ، وهى فترة طويلة للغاية ، كان رئيس المجلس المذكور ، لا يرغب فى إقراره ، وحتى لا يُغضب الفرنسيين والإيطاليين والإنجليز ، وغيرهم من الأجانب ، الذين لهم إرساليات تنصيرية فى مصر .

ولكن الحكومة المصرية (حكومة على ماهر) ، رأت ، أن واجبها أن تتبنى هى بنفسها هذا المشروع . وتتقدم به . ولكن يبدو أن نفوذ (محمد محمود

خليل) ، رئيس مجلس الشيوخ ، كان خطيرا للغاية ، فوقف المشروع ، أرجئ لفترة من الوقت . مما دفع صحيفة (مصر الفتاة) ، إلى إحياء لمشروع ، بأسلوب صحفي بارع ، عندما نشرت تقول : « ان حكومة على ماهر ، سطت على مشروع الدكتور سليم »[٢١] . وعاد المشروع يُطرح مرة أخرى ، على مجلس الشيوخ ، رغم أنف (محمد محمود خليل) !!

وفى جلسة مجلس الشيوخ ، بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٤٠ ، نوقش مشروع الدكتور سليم ، الذى كان يتضمن فى مادته الأولى : « منع الدعوة الدينية خارج الأماكن المُعدة لإقامة الشعائر » . وفى (المادة الثانية) : « ان تكون الدعوة الدينية قاصرة ، على أبناء الدين نفسه ، ويُحظر الدعوة أمام غير أبناء الدين ، ويُحظر إشتراك التلاميذ فى دروس غير دينهم ، أو سماع الآراء والخُطب الخاصة بدينٍ آخر »[٢٢] . وبطبيعة الحال ، كان المقصود بالدعوة الدينية ، (نشاط المُنصرين الأجانب) .

لكن شمولية عبارة (الدعوة الدينية) ، كما يدعي البعض ، قد أثارت بعض أعضاء المجلس مسلمين وأقباط[٢٣] ،. وكان ذلك بتوجيه ، من رئيس المجلس (محمد محمود خليل) ، فقد أوعز إلى (توفيق دوس) ، وهو قبطى ، لأن يقول : « ان سبب التفكير فى هذا المشروع هو حوادث (التبشير) التى أثارت سخط المصريين على إختلاف معتقداتهم ، وإن إعتناق فرد لدين غير دينه يعتبر فتنة ، وأن ما يؤخذ على مشروع القانون هذا ، أن نص (مادته الأولى) ، من شأنه (منع تلاوة القرآن فى الإذاعة) ، ومن شأن نص (مادته الثانية) ، « منع المسلمين من مجاملة إخوانهم المسيحيين فى الكنائس » ، ثم أخذ يهاجم (المبشرين)[٢٤] » .

كما تحدث النائب (وهيب دوس) ، وهو الآخر قبطى ، قائلاً : « اننى أوافق على فكرة المشروع ، ولكن المادتان الأولى والثانية منه ، تؤديان إلى

الفتنة »[٢٥] . أية فتنة يا حضرة النائب المحترم ، أنتم أى أقباط مصر ، لستم المقصودون بهذا المشروع ، المقصود فقط (المبشرون) ، الأجانب ، الإرساليات التنصيرية ؛ إلّا إذا كنت وأخيك من المؤيدين للنشاط التنصيرى الخطير ، لهذه المؤسسات الأجنبية ، بين المسلمين !!

وقال العضو (أحمد يوسف الجندى) - الذى كان زعيماً للمعارضة الوفديّة فى ذلك الوقت - مُعلقاً على كلام (الأخوان دوس) ،: « ان منع الدعوة الدينية عامة حسبما ورد بالمشروع ، قد لا يتفق مع الدين الإسلامى » . فأجاب عليه (الشافعى اللبان) - الذى كان حاضراً الجلسة ممثلاً عن وزارة الداخلية - « بأن المنع لا ينسحب على الدعوة الإسلامية »[٢٦] .

وأمام هذه المناقشات ، والآراء المتباينة ، والتى قُصد بها عرقلة مشروع « الدكتور سليم) ، رأى المجلس ، ورئيسه (محمد محمود خليل) ، « إعادة المشروع إلى لجنة العدل ، لمزيد من العرقلة ، بدعوى « دراسته ، دراسة مستفيضة ، بسبب ما أبدِّى عليه من تحفظات من جانب الأقباط المصريين »[٢٧] . وهكذا ، نجح (محمد محمود خليل) ، « الفرنسى الإيطالى المصرى » ؛ وبمعاونة الأقباط بالمجلس ، فى عرقلة مشروع « الدكتور سليم » ، داخل مجلس الشيوخ ؛ فقد ظل المشروع حبيس الأدراج ، حتى عاد - مرة أخرى - للظهور مع بداية عام ١٩٤٣ ، ورحيل (محمد محمود خليل) ومعاونوه من الأقباط ، ليُطرح فى المجالس النيابية ، إلى جانب مشروع آخر ، أعدته ، حكومة الوفد (٢٦ مايو عام ١٩٤٢ - ٨ اكتوبر عام ١٩٤٤) ، من أجل القضاء على نشاط الإرساليات التنصيرية .

حكومة مصطفى النحاس (٢٦ مايو عام ١٩٤٢ - ٨ اكتوبر ١٩٤٤)

وأجريت الإنتخابات فى مارس عام ١٩٤٢ ، وفاز الوفد بأغلبية كبرى . وآلت إليه مسئولية الحكم . وقد تمت فى عهد هذه الحكومة بعض الأعمال التى تنم عن إتجاهات شعبية ؛ فقد أنشئ ديوان المحاسبة . ووضع قانون لنظام هيئات البوليس ، وجعل التعليم الإبتدائى مجاناً ، وصدر قانون يُلزم الشركات باستخدام اللغة العربية ، وصدر قانون إستقلال القضاء ، فضلاً عن إصلاحات أخرى .

وقد نشرت صحيفة (البلاغ) فى أبريل عام ١٩٤٣ ، « أن الحكومة أعدت مشروعاً للقضاء على الإرساليات (التبشيرية) الأجنبية ، وتم تشكيل صياغة الآداب ، برئاسة وكيل وزارة الشئون الاجتماعية ، وكلفت هذه اللجنة ، بإعداد المشروع . وقد تولى قسم القضايا الحكومية صياغته من الناحية القانونية ، حتى يتسنى عرضه على (مجلس الوزراء) ، ثم (البرلمان) »(٢٨) .

نصوص مشروع الحكومة الوفديّة

وقد جاءت نصوص هذا المشروع ، فى شكلها العام ، صورة طبق الأصل ، من مشروع « الدكتور عبدالخالق سليم » - عضو مجلس الشيوخ - الذى سبق وتقدم به للمجلس فى فبراير عام ١٩٣٩ . ومع ذلك نذكر نصوص مشروع الحكومة الوفديّة :

المادة الأولى : لا يتم الترخيص بإنشاء كنائس جديدة ، إلّا بأمر ملكى .

المادة الثانية : عدم جواز إعداد أماكن (للدعوة الدينية) أو للخطابة ، يتواجد فيها أبناء أديان وعقائد متباينة .

المادة الثالثة : يحظر (الدعوة) أمام غير أبناء الدين .

المادة الرابعة : عدم جواز (الدعوة الدينية) أو الخطابة ، داخل المنشآت المخصصة للأغراض الإنسانية ، كالمستشفيات ، والمنشآت الصناعية أو التجارية .

المادة الخامسة : عدم جواز إشتراك التلاميذ ، أو تركهم يشتركون فى دروس دينية غير دياناتهم ، أو توزع كتب أو نشرات عليهم تتعلق بدين آخر غير دينهم ، فى معاهد التعليم ، كالمدارس والجامعات .

المادة السادسة : « إلغاء الخطب (الوعظ) .، وعدم جواز توزيع نشرات (دينية) فى المحال ووسائل المواصلات ، والمحافل العمومية ، تتضمن طعناً أو مساساً بدين من الأديان » .

المادة السابعة : « لا يجوز – تحت أى ظرف من الظروف – إغراء شخص أو إكراهه على (صلاة) أو (وعظ) يتنافى مع عقيدته الدينية ، سعياً وراء تحويله عنها » .

المادة الثامنة : إعتبار كل مولود مجهول الأب ، مُسلماً .

المادة التاسعة : ولا يجوز « لمؤسسات الأحداث » ، تغيير ديانات الناشئة . ومسؤليتها أمام الحكومة ، إذا ما حدث غير ذلك !!

المادة العاشرة : « تُقرر غرامة مالية ، أو يتقرر السجن ، كأحد العقوبات ، لمن يخالف هذه الأحكام »(٢٩) . على أن هذا المشروع ، لم يظهر هو الآخر ، إلى حيز التنفيذ .

وفى منتصف عام ١٩٤٤ ، نشرت صحيفة (الإخوان المسلمين) ، « أن الوضع إستمر على هذا المنول حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، وهدأ بعد ذلك نشاط الإرساليات الأجنبية ، بسبب صعوبة المواصلات ، وصعوبة إيفادهم من

بلادهم إلى مصر »[٣٠] . علاوة على أن ظروف الحرب فى مصر ، جعلت كثيراً من القيادات التنصيرية ، ترحل على وجه السرعة . ويبدو هذا الأمر واضحاً من خلال قراءة الوثائق الأمريكية والبريطانية .

توقف الممارسة العملية للإرساليات التنصيرية

« عندما سقطت (طبرق) يوم ٢١ يونية عام ١٩٤٢ فى أيدى (روميل) ، وبدا للعيان أنه قادم - لا محالة - لدخول القاهرة ، بدأت المفوضية الأمريكية فى مصر ، إعداد خطط إجلاء الرعايا الأمريكيين !! »[٣١] . ففى إحدى برقيات (الخارجية الأمريكية) ، إلى الوزير الأمريكى المفوض فى مصر « أحاط وزير خارجية الولايات المتحدة - كوردل هال - يوم ٢٣ يونية ١٩٤٢ ، وزيره فى مصر (الكسندر) ، بضرورة إنهاء عقود العاملين ، ورحيل الموظفين الأمريكيين ، والزوجات ، والأطفال ، (والعاملين الأجانب الذين ترون أن خدماتهم أساسية تماماً) ، ودفع نفقات سفرهم بالطائرات ، ويجب أن تأخذوا معكم الملفات والسجلات والرموز السرية ، والأختام ، والشفرات »[٣٢] ، وبطبيعة الحال ، رحل لفيف من هؤلاء المُنصرين الأجانب ، الأمريكيين والبريطانيين ، فى أعقاب معركة العلمين (١٥ - ٢٠ يوليو ١٩٤٢) ، على الرغم من أن روميل لم ينجح فى الإستيلاء عليها !!

ومع نهاية الأربعينيات ، كانت كل الإرساليات التنصيرية الأجنبية - تقريباً - قد أغلقت أبوابها ، وبذلك إنتهت الممارسة العملية للتنصير الأجنبى فى مصر . بعد أن صالت وجالت فى طول البلاد وعرضها - قرابة قرن من الزمان - أثارت خلاله الوجدان الدينى ، والحماسة الإسلامية ؛ فدعمت - عن وعى - التيار الإسلامى السياسى فى ثلاثينيات هذا القرن ، بعد أن لقيت مقاومة عنيفة وشرسة ، من جانب القوى الشعبية الإسلامية المصرية . إنها فترة

تاريخية عصيبة ، كان خلالها النفوذ الإمبريالى يجثم على الصدور ، وكان بإمتيازاته الخاصة ، يُقيدُّ حرية حركة القوى الشعبية الإسلامية : ويُحدُّ من جهادها فى مقاومة أعداء الإسلام والمسلمين .

وإذا كانت الممارسة العملية للتنصير قد توقفت تماماً بحلول عام ١٩٤٤ ، فإن الحركة المسكونية المسيحية العالمية ، لم تتوقف عن محاولاتها معاودة النشاط التنصيرى فى مصر ، وفى شكل جديد ، وتحت أردية شبه قانونية !! إنها مرحلة تحول النشاط التنصيرى فى مصر ، من (الممارسة العملية المباشرة) إلى (الممارسة غير المباشرة) .

هوامش الفصل الثانى عشر

(١) محفوظات إرساليات الكنيسة العالمية ، لندن .

Bishop L.H. Gwynne's diaries; 3 October, 1933.

(٢) Carter, B.L.; OP. cit.; P. 29.

(٣) F.O.; 371/17032, J 2988/1552/16.

(٤) كان (والتر سمارت) متزوج من إبنة (فارس نمر) صاحب جريدة (المقطم) ، الناطقة بلسان الإرساليات الأجنبية ، والإحتلال ، على الرغم من صدورها باللغة العربية .

F.O.; 141/752. 376/3/36.

(٥) Ibid,

(٦) Ibid,

(٧) فى أعقاب تشكيل (على ماهر) للوزارة ، بادر بتصفية بعض المشاكل التى تركتها الوزارة السابقة (وزارة محمد توفيق نسيم) .

أنظر :- رشوان محمود جاب الله - على ماهر ، الهيئة العامة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص/٩٧ .

(٨) F.O.; 141/702, 225/3/32.

(٩) رشوان جاب الله - المرجع السابق . ص/٩٧ - ٩٨ .

(١٠) F.O.; 141/613; 376/3/36.

وأنظر كذلك : F.O.; 141/752, 376/3/36.

(١١) F.O.; 141/613, 376/24/36.

(١٢) صحيفة (الثغر) ، ١٠ أبريل ، ٢٦ أبريل عام ١٩٣٧ .

(١٣) صحيفة (مصر الفتاة) ، ١٧ مايو عام ١٩٣٧ .

(١٤) !!

(١٥) محسن محمد – التاريخ السرى لمصر .. دار المعارف ، القاهرة ، ص/٧٣ .

(١٦) طارق البشرى – الأقباط والمسلمون فى إطار الجماعة الدينية . ص/٤٨٦ .

(١٧) صحيفة (النذير) ، ٢٧ صفر ١٣٥٨ (١٩٣٩) .

(١٨) صحيفة (مصر الفتاة) ، ٨ أبريل ١٩٣٩ .

(١٩) محسن محمد – المرجع السابق . ص/٩٧ .

(٢٠) مضابط مجلس الشيوخ ، جلسات ٦ فبراير ، ١٧ أبريل ، ١٣ يونية ، ٢٠ يونية ، ٣ يوليو ١٩٤٠ .

(٢١) صحيفة (مصر الفتاة) ، ١٤ مارس ١٩٤٠ .

(٢٢) مضبطة مجلس الشيوخ ، جلسة ٢٧ مايو ١٩٤٠ .

(٢٣) طارق البشرى – المرجع السابق . ص/٤٨٧ .

(٢٤) مضبطة مجلس الشيوخ ، جلسة ٢٧ مايو ١٩٤٠ .

(٢٥) المصدر السابق .

(٢٦) نفس المصدر السابق .

(٢٧) نفس المصدر السابق .

(٢٨) صحيفة (البلاغ) ، ٤ أبريل عام ١٩٤٣ .

(٢٩) صحيفة (الإخوان المسلمين) ، ١٥ مايو عام ١٩٤٣ – (١١ جمادى الأول ١٣٦٢ هـ) .

(٣٠) صحيفة (الإخوان المسلمين) ، ٢٠ مايو عام ١٩٤٤ – (٢٧ جمادى الأول ١٣٦٣ هـ) .

(٣١) محسن محمد – التاريخ السرى لمصر . ص/٣١٦ – ٣١٧ .

(٣٢) محسن محمد – نفس المصدر . ٣١٧ – ٣١٨ .

الفصل الثالث عشر
إستمرار النشاط التنصيرى فى مصر من خلال الكنيسة الوطنية (١٩٤٥ - ١٩٧٥)

- أصداء الحركة المسكونية المسيحية العالمية فى مصر .
  - (زاهر رياض) مُنصراً .
  - أحد أساطين التنصير ، من الأقباط المصريين .
  - أستاذ جامعى يقوم بتدريس كتابات (تبشيرية) لطلبة الجامعات المصرية .
- موقف الكنيسة المصرية من حركة التنصير العالمية .
- التيار الليبرالى ، القوة الثالثة داخل المجتمع القبطى .
- تواصل جسور التعاون بين الكنيسة والهيئات التنصيرية العالمية .
  - المحفل العام للكنيسة المشيخية المتحدة .
  - الإتحاد العالمى للكنائس المشيخية .
  - مُجمع كنائس الشرق الأدنى (الشرق الأوسط) .
  - مجلس الكنائس العالمى .
  - مجلس كنائس كل أفريقيا .

بعد الحرب العالمية الثانية ، ومع تزايد المدّ الوطنى ، تهاوى النظام الإستعمارى فى كثير من المناطق العربية الإسلامية ؛ وكانت مصر إحدى هذه المناطق ؛ وكان من المحتم أن ينتهى عصر الممارسات العلمية (المباشرة) للإرساليات التنصيرية نهائياً .. ولكن هذا لا يعنى نهاية نفوذها -؛ فكما حدث بالنسبة للإستعمار التقليدى (القديم) ، كان لابد من تحول فى صور التسلط ، تخفى الوجه الأبيض السافر ، مع إستبقاء السيطرة الغربية الحقيقية -؛ تماماً مثلما فعلته الإرساليات التنصيرية .

يقول الدكتور (بول ابرخت) - رئيس قسم الكنيسة والمجتمع بمجلس الكنائس العالمى - « أن مركز الكنائس الغربية داخل أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، حدثت له ظاهرة تشبه ما حدث للإستعمار السياسى هناك . فكما أن الإستعمار الغربى أخلى الطريق للدولة المستقلة ، أخلت الإرساليات مكانها لتأخذه الكنيسة الوطنية الوليدة . والقائد الوطنى للكنيسة الأهلية ، أصبح يحتل مكان (المُبشر) الأجنبى الوافد من الغرب . وعوَّض مجالس الإرساليات ، ظهرت مجالس الكنائس . وكما أن التغيير السياسى جعل وزارة المستعمرات وضعاً متخلفاً ، إحتاج لأن يسلم سلطاته إلى منظمة علاقات مشتركة (كومنولث) أو إلى وزارة الخارجية ، هكذا يتعين على الإرساليات الغربية أن تعيد صياغة علاقاتها مع الكنائس المستقلة حديثاً »(1) . هذه شهادة رئيس قسم الكنيسة ، بمجمع الكنائس العالمى . وأحد أساطين المُنصرين الأجانب ؛ فهل حدث فى مصر مثل هذا الأمر ؟!!

لقد كان تأليف (مجلس الكنائس العالمى) - الذى يُشرف على محاولة تنصير العالم قبل عام ٢٠٠٠ - بعد الحرب العالمية الثانية ، وعقده أول مؤتمراته فى (هولندا) عام ١٩٤٨ ، ثم عقد مؤتمره الثانى فى عام ١٩٥٤ بالولايات المتحدة ، وكان مؤتمره الثالث ، فى عام ١٩٦١ ، بالعاصمة الهندية (نيودلهى) ، بداية التحولى بالنشاط التنصيرى ، من (الممارسة العملية

المباشرة) إلى (الممارسة غير المباشرة) ، عن طريق الكنائس الوطنية ، وبعض المؤسسات الإجتماعية والثقافية والتعليمية الأخرى .

ومن أجل ذلك ، كلف (مجلس الكنائس العالمى) ، فريقاً من العاملين به ؛ بإعداد دراسات خاصة عن التغيرات السياسية والإقتصادية والاجتماعية ، داخل الدول التى إستقلت حديثاً فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وعقدت من أجل هذه (المهمة المقدسة) ، عديد من المؤتمرات ، ولجان البحث ، وصدرت القرارات والنشرات ، والكتب ، التى تحدد اتجاهات الحركة التنصيرية العالمية ، فى ثوبها الجديد ، الذى تخفى خلف الكثير من المشروعات الإنسانية البراقة ، ومن خلال بعض الحكومات ، والقادة ، والعناصر المثقفة ، ومن خلال الكنائس الوطنية ، والمؤسسات التربوية ، والصحافة والإعلام !!

وعلى عكس ما كان يحدث قبل الحرب العالمية الثانية ، وفى أثناء قيام الإرساليات التنصيرية ، بنشاطها العملى المباشر ، نجد دعوة (مجلس الكنائس العالمى) ، يطور من إستراتيجية التنصير المباشر ، ويتجه فى (صراحة فجة) ، إلى الكنائس داخل البلاد المستقلة حديثاً ، ويطلب إليها أن تتولى هذه المهمة ، وأن تتدخل فى سياسة بلادها . وإخترع القائمون على نشاط هذا المجلس التنصيرى الخطير ؛ نظرية لاهوتية تقول : « بأن نشاط الدولة – أى دولة – فى كل مناحيه السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، هو تحت سلطان (الرب) ، ولابد للكنائس من أن تُبدى رأيها فى هذا النشاط ، بل وتعمل على توجيهه الوجهة التى تتفق وإرادة (الرب) . وفى هذا السبيل ، لابد من إقامة المعاهد ، والمؤسسات التابعة للكنيسة لدراسة الحياة الحكومية والنشاط السياسى فى البلد ، وتأليف (تنظيم) يضم رجال اللاهوت ، وخبراء السياسة والإقتصاد من المسيحيين ، لتحديد إتجاه الكنيسة . وهنا لابد من الإستعانة ؛ بخبرة إرساليات (التبشير) الغربية ، حتى يكون إتجاه الكنيسة داخل الدولة المستقلة

حديثاً ، متفقاً مع إتجاه (مجلس الكنائس المسيحية العالمى)»[٢] ؛ الذى يجمع بين دفتيه دعاة التنصير فى العالم كله .

(زاهر رياض) مُنصراً

وهكذا عادت نشاطات الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، فى ثوب جديد ، ومن خلال الكنائس الوطنية داخل البلاد التى إستقلت حديثاً ، فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ففى مصر – وهى إحدى الدول التى إستقلت حديثاً – (فى أعقاب الحرب العالمية الثانية) – وجدنا أصداء لإتجاهات (مجلس الكنائس العالمى) ، الخاصة بعودة نفوذ وعمل إرساليات التنصير الأجنبية ، بطرق غير مباشرة – وقد ظهرت هذه الأصداء ، فى كتابات لبعض (صفوة) المفكرين من الأقباط المصريين ، مع بداية ما أطلق عليه (فترة التحولات الإشتراكية) ؛ ١٩٦١ . تلك الفترة التى ، حاولت خلالها القيادة السياسية ، توظيف الدين لخدمة أهدافها وأغراضها السياسية .

عندما بدأ الدكتور (زاهر رياض) – وهو أستاذ للتاريخ الحديث – يؤلف الكتب وينشر المقالات ، فى بعض الصحف والدوريات ، للإشادة بجهود الإرساليات التنصيرية فى أفريقيا . فأخذ هذا (الأستاذ) يدعَّى « أن العامل الأكبر فى حركة التحرر الوطنى داخل أفريقيا ، كان التعليم – ولم تبدأ الجهود من أجل القيام بهذه المهمة إلّا حين قدم (المبشرون) الأوربيون ، فى بداية الأربعين الأولى ، للقرن التاسع عشر »[٣] ، كتب هذا تحت عنوان (أثر الكنيسة القبطية فى بعث القومية الأفريقية » .

وحين يصل (زاهر رياض) إلى مشاكل ، ما بعد الإستقلال ، نجده يعرض صورة قاسية للحياة فى الدول الأفريقية ، بعد أن غادرها (المبشرون) ، والمستعمرون ، فهو يقول فى هذا الصدَّد : « والوطنيون مازالوا يتسكعون فى

شوارع المدن الصناعية بحثاً عن عمل ، والجوع القاتل يطاردهم مما يهدد المجتمع شرَّ التهديد ؛ بل يهدد أيضاً عواطفهم الوطنية »[٤] . وكيف إذن الخروج من دائرة هذا التخلف ؟

يقول (زاهر رياض) : « ان التنمية الإقتصادية بالنسبة لأفريقيا ، تعتبر ضرورة حتمية ، ولكننا نعرف أيضاً – وفى نفس الوقت – ان الاتجاه إلى التصنيع ، وخاصة إذا كان تصنيعاً سريعاً يؤدى إلى إنهيار المُثل الإنسانية »[٥] .!! ثم يصل (زاهر رياض) إلى نتيجة خطيرة للغاية ، تميط اللثام عن توجهات (مجلس الكنائس العالمى) ، فى النصف الثانى من القرن العشرين ، عندما يقول : « ، وإذا أريد أن يكون الإتجاه إلى التنمية مُثمراً ، لابد أن يكون سريعاً ، وأن يكون فى قدر كبير ، وكذلك لا يرمى إلى الربح الفاحش ، بل إلى ربح يسير . فأين هى هذه الجهة التى تستطيع أن تضحى بالمال ، من أجل إسعاد البشر ، دون أن يرنو بصرها إلى الربح الفاحش : الحق انه لا يوجد منَّ ينتظر منه القيام بهذه الخدمة ، إلّا الكنيسة »[٦] ، فهل هذا كلام منطقى أيها (الأستاذ) !!

وإذا سايرنا (زاهر رياض) ، فى هذه الدعوة الصريحة لعودة النشاط التنصيرى الأجنبى ، يثور التساؤل ، ومن أين المال والخبراء للكنيسة كى تقوم ؛ بتنمية إقتصادية سريعة وكبيرة ، دون تحقيق ربح فاحش ؟.. نجد الإجابة لديه جاهزة ، كالاتى : « الكنيسة الوطنية التى كونتها الإرساليات (التبشيرية) ، تحدوها الثقة المتبادلة بينها وبين أمها الكنيسة التابعة لها ، لا تتردد فى الإستعانة بالفنيين الأجانب »[٧] . وبطبيعة الحال ، من المُنصرين الأجانب – وهكذا يظل التواصل والإرتباط ، بين النشاط التنصيرى الأجنبى ، والمستعمرات السابقة ، ولكن فى صور وأشكال جديدة ، تتفق والمرحلة الحالية من إستراتيجية الحركة التنصيرية الغربية ، والذى إصُطلح على تسميتها « بالمعونات والإغاثة » !!

أحد أساطين التنصير من الأقباط المصريين

وثمة كاتب آخر ، يردد نفس إتجاهات (مجلس الكنائس العالمى) ، وهو القس (صموئيل حبيب) ، ففى كتابه عن (الكنيسة فى مجتمع متطور) ، والذى صدر فى القاهرة ، عام ١٩٦٥ نجده يردِّد فيه الأفكار التى تضمنتها قرارات ودراسات هذا المجلس التنصيرى الخطير ، وقد أثبت (صموئيل حبيب) فى نهاية دراسته ، وضمن المراجع التى إستند إليها ، ما أصدره المجلس التنصيرى ، من كتب ، ومنشورات فى شأن مسألة (ضرورة عودة نفوذ الإرساليات (التبشيرية) الأجنبية) ، من خلال الكنيسة داخل البلاد التى حصلت على إستقلالها !!(٨) .

والقس (صموئيل حبيب) ، أحد رواد الحركة المسكونية المسيحية العالمية فى مصر ، وله تاريخ حافل فى خدمة الحركة التنصيرية العالمية . فمن هو هذا القبطى المصرى ، المتحمس لعودة نشاط الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى مصر ؟

ولد (صموئيل حبيب) بمدينة (الوسطى) ، من أعمال محافظة بنى سويف — فى ٢٨ فبراير عام ١٩٢٨ . وتربى وتعلم فى المدارس والمعاهد التنصيرية ، والتى كانت تابعة للإرساليات الأجنبية ، والحركة المسكونية المسيحية العالمية . فتخرج فى (كلية اللاهوت) الإنجيلية بالقاهرة عام ١٩٥٠ ، ثم التحق بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، حيث درس علم النفس بكلية التربية ، وأوفدته الإرسالية الأمريكية إلى جامعة (سيراكيوز) ، بنيويورك عام ١٩٥٥ لدراسة الصحافة بها . وهى من الجامعات المعروفة بنشاطها التنصيرى ضد المسلمين فى أفريقيا والشرق العربى ، كما درس (بكلية اللاهوت) ؛ بسان فرانسيسكو ، ثم وكان (حبيب) قد بدأ نشاطه التنصيرى فى مصر ، عام

١٩٤٨ ، من خلال عمله بالكنيسة الإنجيلية في منطقة (تندة) بالقرب من (ملوى) - إحدى مراكز محافظة المنيا - ثم باشر عمله التنصيرى - كذلك - في منطقة (أولاد نصير)[٩] - وهى قرية بالقرب من (سوهاج) ؛ وعُين بعد ذلك ، لنشاطه الإيجابى فى مجال التنصير ، سكرتيراً عاماً (للتبشير) المسيحى بمصر والسودان فى أبريل عام ١٩٥٠ ، وسكرتيراً عاماً « للجنة النشر المسيحى بالكنيسة الإنجيلية » . وعندما دخلت الكنيسة ، بكل ثقلها ، كبديل للحركة التنصيرية العالمية ، فى مجال (التبشير) فى مصر ، رسمياً من خلال ، ما أطلق عليه (مجال الخدمة الإجتماعية) ، فى سبتمبر عام ١٩٦٠ ، عُين (حبيب) مديراً عاماً للهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الإجتماعية ، فأنشأ (دار الثقافة المسيحية) للنشر التنصيرى ، وهى من أكبر دور النشر التنصيرى فى الشرق العربى ، ولها مكتبات للتوزيع ، فى القاهرة والمنيا وأسيوط وشبرا .

وأسس (صموئيل حبيب) ، الصحافة التنصيرية فى مصر المعاصرة . فأنشأ مجلة (رسالة النور) فى عام ١٩٥٦ ، ومجلة (أجنحة النسور) فى عام ١٩٥٩ ، ومجلة (الهدى) فى عام ١٩٧٦ . ثم شغل مناصب خطيرة وحيوية ، فى مجال التنصير ، منها أمين عام (سنودس النيل الإنجيلى) للفترة من عام ١٩٧٦ - ١٩٨٢ ، ثم رئيس مجلس الخدمات ، لذات المجلس ، (سنودس النيل الإنجيلى) ، وكان عضواً بارزاً باللجنة المركزية ، (لمجلس كنائس الشرق الأدنى) ، لمدة ثلاث سنوات . وهذا المجلس المشبوه ، معروف بنشاطه التنصيرى فى مصر والشرق العربى الإسلامى . وعضو لجنة النشر ، بالمجلس المذكور لسنوات عديدة . ونائب رئيس (الاتحاد العالمى للكنائس المشيخية) بالولايات المتحدة ، وذلك منذ عام ١٩٧٧[١٠] . وفوق كل ذلك له عشرات الكتابات ، والمؤلفات ، عن الكنيسة التبشيرية فى مصر .

أستاذ جامعي يقوم بتدريس كتابات (تبشيرية) لطلبة الجامعات المصرية

وكاتب ثالث ، أيضاً ، قبطي مصري ، يقوم بتدريس كتابات (تبشيرية) لطلبة الجامعة المصرية ، ففي إحدى الكتب المقررة على طلاب الفرقة الرابعة بكلية التربية (جامعة المنصورة) ، وهو كتاب (التربية ومشكلات المجتمع) ، لمؤلفه الدكتور (أميل فهمي حنا شنودة) ، وكيل الكلية ورئيس قسم أصول التربية بها ؛ يتضمن الكتاب عبارات وتصورات تمثل حقيقة التشويه والتزييف الفكرى ، الذى يمارس فى كثير مما يسمى بالدراسات الإنسانية ضد الإسلام .

فالأستاذ الجامعي (شنودة) عندما يتحدث فى كتابه عن النواحى الإقتصادية فى المجتمع ، « يشبه بناء المسجد ببناء الهرم ، ويصفه ؛ « بأنه عملية قد تكون ذات فائدة روحية » – على حد قوله – « لكنها ليست ذات فائدة إقتصادية كمشروع زراعى مثلاً !! كما يذهب الدكتور (شنودة) إلى وصفه لما أسماه « بالثقافة الإسلامية التقليدية ، بأنها تتم بغلبة الجانب التأملى على الجانب الموضوعى » . وهذه عبارات مطاطة ، غير محددة ، المراد منها هو التضليل . ثم يستمر (شنودة) فى تضليله ، مُدعياً أنه توجد مشكلة تسمى (تعدد الزوجات) .– وقد ذكر هذا فى باب يفترض أنه يدور حول كيفية تحديد المشكلات أو تعريفها – فكيف يا دكتور ، ولماذا إكتشفت انه توجد – ما أسميته – (مشكلة تعدد الزوجات) ؟ وعلى أى أساس نظرى أو دينى أسميتها مشكلة ؟!!

والواقع أن تحديد (الدكتور) لهذا الأساس الدينى ، تعدد الزوجات ، يخالف الإسلام ، ويتوافق مع الأساس التنصيرى . أى أنها مشكلة حسب

تصورات غير المسلمين ، وليست مشكلة فى الإسلام – ويظهر مفهوم (شنودة) الضحل للمشكلات عندما يتعرض لمشكلة ، أطلق عليها (بالسفور والحجاب) ؛ فالسفور يُمثل مشكلة فعلاً فى مجتمع الحجاب والعكس . وكل تعريفه للمشكلة يتلخص فقط ، « فى أنها السلوك المخالف لوضع عام » . وهذا تعريف قاصر ، يتجاهل الجوانب المختلفة التى تتضافر لتخلق مشكلة !!(١١)

وهكذا يستمر (الدكتور شنودة) فى المغالطات وسوء إستخدام المصطلحات والسطحية ، فى محاولة من جانبه ، لإثبات صورة غير صحيحة عن الإسلام ، لخدمة المخطط التنصيرى ، بترسيخ عبارات عامة ، فى ذهن الشباب الجامعى ، والقارئ ، يرددها بعد ذلك فى حياته دون تدبّر ؛ وهذا يكفى (زويمر) – أحد أساطين التنصير الأمريكى – حين قال : « إن تبشير المسلم يجب أن يكون بلسان من أنفسهم ، ومن بين صفوتهم . فإن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أبنائها » – « ان المسلم لا يمكن أن يكون مسيحياً مطلقاً ، ولكن الغاية هى إخراج المسلم من الإسلام فقط . ليكون إما ملحداً ، أو مضطرباً فى دينه ، وعندها لا يكون مسلماً ، وهذه أسمى مراتب الإنتقام من الإسلام » . هكذا قال (زويمر) ؛ وهكذا يفعل الدكتور (شنودة) !!

وخلاصة القول : ان كتاب (التربية ومشكلات المجتمع) ، لا يمت بصلة للبحث العلمى الأكاديمى الحرّ النزيه ، وإنما الكتاب محاولة مفضوحة لتشكيل العقول ضد الإسلام ، بكم متهافت علمياً من الملاحظات ، تُكتب وتُلقن لطلاب الجامعات المصرية ، من أبناء المسلمين ، بصورة مذهبية ضاربة عرض الحائط ، بأصول البحث العلمى الجاد . ومن أجل « إخراج المسلم من الإسلام ، ليكون إما مُلحداً أو مضطرباً فى دينه » .

وقد إحتج خريجو كلية التربية – جامعة المنصورة ، على الكتابات (التبشيرية) التي يدرسها الطلبة على يد (أميل حنا شنودة) ؛ وقالوا : « بأن هذا تحدى لمشاعر الطلاب المسلمين فى دولة الإسلام »(١٢) .

موقف الكنيسة المصرية من حركة التنصير العالمية

عندما أصبح إرتباط (الحركة المسكونية المسيحية العالمية) فى الغرب ، بالرأسمالية العالمية ، أمراً وثيقاً للغاية ، ملكت (حركة التنصير العالمية) ، وملكت كلاهما بيدها (الصليب) ، و (التبشير) و (الوحدة المسيحية) ، لتكون أدوات فى يدها أو (أسلحة) تتقدم بها لغزو العالم الإسلامى ، فى المشرق والمغرب ، لتنصيره قبل عام ٢٠٠٠ ، وتحويل شعوبه إلى حظيرة النصرانية - كما يزمعون !!

وأخذت (الحركة المسكونية) ، بكل تنظيماتها ، التى مازالت فى أوج قوتها ونشاطها التنصيرى ، داخل وحدات العالم الإسلامى (مشرقة ومغربة) ، تمارس نشاطها ، مُدعمة بالمعونات المالية (الفلكية) ، والخبرة العلمية ، والتقنية ، مُحتمية بكل أساليب (الإخفاء والتمويه) وبواسطة عملاء ، من أبناء الأقليات التى تتعايش ، بين ديار المسلمين ، وعلى خيرات وسماحة الإسلام .

وأخذ النشاط المسكونى للشباب القبطى ، يظهر فى مصر مع نهاية عام ١٩٦٥ ، عندما عقدت حلقة الدراسات الأولى ، لقادة الشباب القبطى ، من الطوائف الثلاث ، فى مدينة الأسكندرية ، خلال الفترة من ٨ - ١٤ سبتمبر عام ١٩٦٥ ؛ فقد شارك فى هذه الحلقة ، ٢٥ من قادة الأقباط الأرثوذكس ، ومثلهم من الإنجيليين ، وخمسة فقط من الكاثوليك[١٣] . وقد ساهم فى الإعداد لهذه الحلقة ، مكتب العلاقات المسكونية بالشرق الأوسط ، التابع لقسم الشباب (بمجلس الكنائس العالمى) و (الاتحاد العالمى للطلاب المسيحى) . وجميع تلك المنظمات الغربية تعمل فى مجال التنصير العالمى ، بين المسلمين فى الشرق العربى الإسلامى ، وفى مصر - بصفة خاصة . وتوالت بعد ذلك ، نشاطات الشباب القبطى المصرى ، المسكونى فى كافة أنحاء مصر ،

من خلال الجمعيات والنوادى المسيحية ، المنتشرة فى كل الأقاليم والمدن المصرية .

وهنا يثور التساؤل .. من هم هؤلاء الشباب القبطى ، وما هو موقف الكنيسة المصرية من « الحركة المسكونية » التنصيرية العالمية ؟!!

ولعلنا الآن نملك مؤشرات الإجابة ؟ ولكن بعد العودة قليلاً إلى الوراء !! فالكنيسة القبطية ، ومنذ أن دخلت (الإمبراطورية الرومانية) فى المسيحية ، على يد الإمبراطور (قسطنطين) ، وهى كنيسة محافظة تملك عقيدة خاصة بها . وعندما حاولت (الامبراطورية الرومانية) أن تخلط بين (ما لقيصر وما لله) ، رفضت الكنيسة القبطية ذلك ، على يد (الأنبا أثناسيوس) ، وكان ذلك فى عهد الامبراطور (قسطانطيوس) ، الذى أخذ يطارد (أثناسيوس) الطيب ، الذى رفض الإنصياع لأهواء (روما) . ورصد جائزة لمن يأتيه برأسه . وعندما وجد (أثنا سيوس) نفسه مطارداً – ولمدة عشرين عاماً – لجأ إلى الرهبان والفلاحين ، فحموه وأكرموا وفادته .

وقد كتب (أثناسيوس) للإمبراطور البيزنطى يقول : « لا تقحم نفسك فى المسائل الكنسية ، ولا تصدر إلينا أمراً بشأن هذه المسائل . لقد أعطاك الله المملكة ، وعهد إلينا بأمور الكنيسة – وليس مسموحاً لنا أن نمارس حكماً أرضياً ، وليس لك سلطان أن تقوم بعمل كنسى » . ومنذ ذلك الوقت – تقريباً – غدت الكنيسة القبطية مستقلة ، بعيداً عن الكنيسة الرومانية ، وغدا إسم (أثناسيوس) علماً بارزاً ، من أعلام القبطية الأرثوذكسية !!

وبطبيعة الحال ، تعرضت الكنيسة القبطية ، لصنوف شتى من الإضطهاد والعنت ، نتيجة لرفض راعيها (الطيب الثائر) ، الخضوع لسلطان

الإمبراطورية البيزنطية . وهكذا إستمرت الكنيسة القبطية فى مصر ، تمارس إستقلالها ، رافضة كل محاولات الإندماج فى الكنائس الرومانية ، لأن الكنيسة القبطية المصرية ، كانت تمتلك عقيدة خاصة بها ، تختلف عن عقائد الكنيسة الرومانية وأخذت الكنيسة القبطية فى الحفاظ على تراثها ، الذى أصبح علماً عليها ، وهو الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية ؛ وحتى عندما ظهر الصليبيون فى المنطقة ، تضافرت جهود أقباط مصر مع جهود المسلمين ، فى التصدى لهذا الخطر الصليبى الأجنبى ، لأن الحملة الصليبية على مصر ، كانت تستهدف تذويب الكنيسة القبطية المصرية فى الكنيسة الأوربية ، كما استهدفت الإسلام والمسلمين . ولم يُسمح للأقباط المصريين ، بزيارة بيت المقدس . وبذلك لاقت الكنيسة القبطية نفس المصير الذى تعرض له المسلمون ، أثناء الحملات الصليبية ؛ وذلك يرجع إلى أن الأقباط أدركوا – ومنذ البداية – أن الصليبيين كانوا يعتبرون أقباط مصر (هراطقة) ، وأن عقيدتهم حول طبيعة السيد المسيح ، نوعاً من (الهرطقة) الدينية ، لا تقل فى نظرهم سوءاً عن (هرطقة) المسلمين !!

واستمرت الكنيسة القبطية ، دائماً ، فى خطها العام ، كنيسة مستقلة – من ناحية – ومستهدفة للتهذيب من جانب الكنائس الأوربية – من ناحية أخرى –، وحتى عندما جاءت الحملة الفرنسية الإستعمارية على مصر ، عام ١٧٩٨ ، لم تستجب الكنيسة القبطية للتعاون مع فرنسا ، وحتى عندما دخل الإستعمار البريطانى إلى مصر فى عام ١٨٨٢ ، كان موقف الكنيسة كما هو ، لم يتغير . إلّا أنه ، ومنه عام ١٩١٠ ، قد حاولت الإمبريالية العالمية ، وتحت مظلة (المجلس المسكونى المسيحى العالمى) ، إستخدام سلاح التنصير ، لزرع كنائس مرتبطة به فى التربة المصرية ، كنائس غير أرثوذكسية . ولكن الكنيسة القبطية قاومت هذا التحدى ، وتصدت لتلك الإرساليات التى كانت تشكل خطراً على عقائدها ؛ فالإرساليات التنصيرية الأجنبية ، كانت فى معظمها

بروتستانتية ، ووفدت للعمل ضد الإسلام والأرثوذكسية ، الأمر الذى جعل البطريريك (كيرلس الرابع) ، يقوم بشراء مطبعة لمواجهة هذا التحدى !!(١٤) .

هكذا كان هو الخط الرئيسى للكنيسة القبطية المصرية ، كنيسة مستقلة فى عقائدها ، تختلف إختلافاً كاملاً عن الكنيسة الأوربية . كنيسة ذات تراث مُحدد ، فى الإبتعاد برعاياها عن الصراع السياسى والدينى . كنيسة عريقة ، وأقدم من كل الكنائس الأوربية ، كنيسة عانت من الإضطهاد ، ومحاولات التذويب على يد الرومان ، والصليبيين ، والإمبريالية الفرنسية والإنجليزية هذا هو الخط الرئيسى للكنيسة المصرية ، عبر التاريخ !!

ولكن كان بجوار هذا الخط الرئيسى ، المتميز للكنيسة القبطية المصرية ، خط آخر ، خطير للغاية . وان كان (هامشى) ، إلا أنه كان ذا دور بارز فى أمر الإستجابة للإرساليات التنصيرية ، منذ وفودها إلى مصر ، وبعدها للحركة المسكونية العالمية ، التى هى نفسها الحركة التنصيرية العالمية . ان ذلك (الخط الهامشى) ، كان يتمثل ومنذ البداية فى حركة بعض الأقباط المصريين ، الذين إرتبطوا بالإرساليات التنصيرية الأجنبية ، وهم أعداء الأمة المصرية ، مثل (المعلم يعقوب) ، قائد الفيلق القبطى ، المرتبط بالحملة الفرنسية ضد الشعب المصرى ، وكذلك ، جميع الذين خدموا الإرساليات التنصيرية الأجنبية فى الصعيد والقاهرة والوجه البحرى ، وأيضاً (بطرس غالى) ، الذى إرتبط بالإستعمار البريطانى ، وترأس (محكمة دنشواى) ، وكان جزاؤه ، أن تم إغتياله على يد (إبراهيم الوردانى)(١٥) ، وتبعه على نفس الخط (يوسف وهبة باشا) ، وهو قبطى آخر ، غير أن إغتياله كان — هذه المرة — على يد قبطى مثله ، هو (عريان سعيد)(١٦) ، الذى كان من أتباع خط الكنيسة (المحافظ) .

وكان هذا الخط الهامشى ، المعادى للأمة المصرية ، هو المسؤول دائماً عن كل الأحداث المؤسفة ، التى حدثت فى كل التاريخ المُسجل لنشاط الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، فى الصعيد والوجه البحرى ، إبتداءاً من عام ١٨٦١ ، و (حادثة قوص ١٨٦٧) وحتى ١٩١٠ ، مروراً بحوادث ١٨٧٥ و١٨٨٢ و١٩٠٦ !!

وبات للعيان ، أن الكنيسة القبطية بداخلها تياران ؛ تيار (محافظ) ، وهو الخط الرئيسى الذى يتمثل فى رجال الدين وعامة الشعب القبطى ، ومهمته المحافظة على تراث الكنيسة ، فى الإستقلال ، والفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية ، وغيرها من المسلمات التى ميزّت الكنيسة على طول تاريخها الطويل ، ومازال هو الخط الرئيسى فى جسم المجتمع القبطى ، وسيظل دائماً هو السمة المميزة له .

وأما التيار (الهامشى) ، فهو لا يثير أى مرارة لدينا ، على الرغم من كل ما فعله ، فى خدمة الإرساليات التنصيرية الأجنبية وغيرها ، حيث أنه خط عميل لا يعكس أبعاداً كبيرة داخل المجتمع القبطى ، ولقد أطلق عليه المؤرخ المصرى (عبدالرحمن الجبرتى) ، « **أسافل القبط** » ، وهم قوة لا يُعتد بها .

(التيار الليبرالى) ، القوة الثالثة داخل المجتمع القبطى

ولكن بعد عام ١٩١٠ ظهرت (قوة ثالثة) ، داخل المجتمع القبطى فى مصر ، كانت من صنيعة الظروف الدولية ، وهم (المثقفين) الأقباط ، الذى يحلو لهم أن يطلقوا على أنفسهم (الليبراليين) داخل الكيان الكنسى . وهؤلاء هم الذين تعلموا ودرسوا فى المدارس والمعاهد الإرسالية الأجنبية ، فأطلقوا عليهم (الإنتلجسيا)[١٧] .

وكان إختيار الحركة التنصيرية العالمية ، بالإشتراك مع الإمبريالية العالمية ، لهذه الفئة ، من الأقباط المثقفين ، لتحريكها لصالحهم أمراً فى غاية الخطورة .. فقد كان الإختيار يرجع لعدة أسباب منها ، أن هذه الفئة ، كانت تملك المال والعلم (النفوذ) ، وأنها لا تتمسك بالتراث القبطى الطبيعى ، ويدعون التحرُّر ، حيث أن معظمهم قد تعلم فى الغرب ، وكان ولاءها للحضارة الأوربية أكبر من ولائها للكنيسة ، ومن هنا كانت مصالح (المثقفين) الأقباط ، الإقتصادية والإجتماعية ، ترتبط بالحركة التنصيرية العالمية ، والإمبريالية .

وكان هذا (التيار الليبرالى) ، المثقفون الأقباط ، المعادى للإسلام والمسلمين ، هو المسؤل دائماً عن الحوادث التى وقعت منذ ١٩٣٠ و١٩٣٣ ، وحتى عام ١٩٨٦ ، فى مجال التنصير بين المسلمين ، مما جعل (الأكليروس) الذى يمثل الكنيسة القبطية المحافظ ، يتصدى لهذا التيار !!

ولقد كان أول ظهور لتلك (الفئة الجديدة) ، كقوة مضادة ، للتيار المحافظ فى الكنيسة القبطية عندما إستطاعت (الإنتلجسيا) القبطية ، أن تفرض نفسها على المجالس الملِّية التى أدخلها البطريرك (الأنبا كيرلس الخامس) ، للإشراف على الشئون المالية والمدنية للكنائس ؛ وكان يرأس تلك المجالس — فى ذلك الوقت — (بطرس غالى) ، الذى أثار إغتياله ، أول محاولة لهذه (الإنتلجسيا) للنفوذ داخل قطاعات المجتمع القبطى .

ومنذ ذلك الوقت ، أخذ الصراع يحتدم بين (رجال الدين) ، الذين يمثلون الكنيسة القبطية المحافظة على التراث ، وبين تلك الفئة الجديدة (الإنتلجسيا) ، ممثلة فى المجالس الملّية . وقد تجلى هذا الصراع ، فى محاولة تلك المجالس التحكم فى شئون الكنيسة ، مما دفع (الأنبا كيرلس الخامس) إلى التصدى لها . وكان لفيف من (المثقفين) الأقباط ، ومعهم (بطرس غالى) ، وهم فى نفس

الوقت اغلبية المجلس الملىّ ، قد تآمروا على البطريرك (كيرلس الخامس) ، بالتعاون مع قادة الإرساليات التنصيرية الأجنبية ، والسلطات البريطانية ، وإستصدروا قراراً ؛ بتعيين بطريرك آخر بدلاً من (كيرلس الخامس) ، غير أن رجال الدين (الأكليروس) ، ومعهم الشعب القبطى ، وقفوا ضد هذا القرار ، ومنعوا البطريرك الجديد ، من دخول البطركخانة ، وأخذوا يهتفون ضده ، « إرجع يا محروم » !

من هنا كان أول صدام عنيف بين (التيار المحافظ) وبين (التيار الليبرالى) الجديد ، داخل كيان الكنيسة القبطية المصرية ، حيث إنتصر فيه (التيار المحافظ) ، الذى يمثل الكنيسة القبطية المحافظة على التراث . لقد عاد (كيرلس الخامس) بإرادة الشعب القبطى ، وشاركوا جميعاً - جنباً إلى جنب - فى ثورة الشعب المصرى عام ١٩١٩ ، مع المسلمين ضد الإنجليز ، الذين كانوا يحمون النشاط التنصيرى فى البلاد .

وأمام هذه الصحوة لرجال الدين (الأكليروس) ، (المحافظ) ، ومعهُ الشعب القبطى ، إكتشف (التيار الليبرالى) - (الإنتلجسيا) ، أنه لا مفر من السيطرة على (الإكليروس) ليتسنى له النفاذ إلى قاع المجتمع القبطى ، وتنفيذ مُخططه ، إستناداً إلى ما تمثله ، قيادات (رجال الدين) من قوة مادية ومعنوية ، أثبتت الأيام دائماً مدى صلابتها .

ومن هنا - ومع نهاية الحرب العالمية الثانية - بدأ لفيف من الشباب القبطى ، خريجى كليات الهندسة والحقوق والآداب (أقسام الفلسفة والتاريخ) ، يقدمون أنفسهم إلى الأديرة طالبين الإلتحاق بسلك الرهبنة ، وهكذا بدأ (التيار الليبرالى) - (الإنتلجسيا) - القبطى يعمل جاهداً من أجل إختراق (الأكليروس) ، والسيطرة عليه . وفى نفس الوقت ، أخذت قيادات (التيار الليبرالى) تنشئ جمعيات ، تعمل فى النشاط المسيحى ، مثل

(جمعية الأمة القبطية) – التى أصدرت الكثير من المنشورات تُطالب فيها « بالحكم الذاتى »[١٨] ؛ وتعمل فى المهجر (الولايات المتحدة وكندا وإستراليا وأوربا) ، لجمع الأموال ، لكسب مزيد من النفوذ السياسى !!

وكانت إحدى محاولات (التيار الليبرالى) ، الدائبة فى الوصول إلى أغراضه ، فى عام ١٩٥٩ ، عندما تضافرت جهود (الإنتلجسيا) القبطية ، وتم إنتخاب (البابا كيرلس السادس) ، ولكن هذا البطريرك لم يكن يمثلهم تماماً ، وإن كان – فى ذات الوقت – قد فتح لهم الباب واسعاً للنفوذ والسيطرة داخل المجتمع القبطى ، عبر (مدارس الأحد)[١٩] ، التى أسسوها ، وعبر الصحافة التنصيرية ، التى كان يديرها ويشرف عليها (صموئيل حبيب)[٢٠] ، وعبر إنشاء (أبرشيات) جديدة ، يتولون رئاستها أو السيطرة عليها – وعبر إنشاء علاقات واسعة مع (مجلس الكنائس العالمى) المشبوه بنشاطه التنصيرى بين المسلمين ، والمرتبط بالمخابرات المركزية الأمريكية ، من خلال عقد حلقات الوعظ أو إنشاء المعاهد المتخصصة .

تواصل جسور التعاون ، بين الكنيسة والهيئات التنصيرية العالمية

وبوصول (الأنبا شنودة) ، إلى منصب البطريرك ، سيطرت (الإنتلجسيا) القبطية ، على الكنيسة المصرية ؛ ليصبح (التيار الليبرالى) ، هو المُسيطر على الخط الرئيسى للكنيسة المصرية ، ويتراجع (التيار المحافظ) ، والذى يُمثله (الأنبا غريغوريوس) ، أسقف عام الدراسات اللاهوتية والثقافة القبطية ، وتفاقم الخلاف بين (التيار الليبرالى) وبين (التيار المحافظ) .

وكانت علاقة الكنيسة المصرية ، قد بدأت بالهيئات والمنظمات التنصيرية العالمية ، منذ عام ١٩٢٨ ؛ عندما أخذ (التيار الليبرالى) يتبلور ، كقوة ضغط لها نفوذها ؛ وعندما شارك أول قبطى مصرى ، ينتمى إلى (الإنتلجسيا)

القبطية ، وهو (مترى صليب الدويرى) فى إجتماعات (**المحفل العام للكنيسة المشيخية المتحدة**) ، وهذا المحفل أحد المؤسسات (التبشيرية) الخطيرة ، على مستوى العالم .

ثم أخذ لفيف من أعضاء المجالس الملِّية ، وهم من أنصار (التيار الليبرالى) ، يتوافدون لحضور كافة مؤتمرات هذا المحفل التنصيرى ، خلال سنوات ١٩٤٨ و١٩٥٠ و١٩٥٢ ، و١٩٥٣ و١٩٥٤ و١٩٥٥ و١٩٥٨ . وفى عام ١٩٥٩ كان القس (فايز فارس) ، عضواً فى مجلس (العلاقات المسكونية للكنيسة المشيخية المتحدة) ؛

كما شاركت الكنيسة فى دورات (**الإتحاد العالمى للكنائس المشيخية**) ، والتى تُعقد مرة كل ست سنوات . ففى دورة هذا الإتحاد ، الأول (أغسطس ١٩٥٩) بالبرازيل ، كان القس (لبيب مشرق) ، ممثلاً عن الكنيسة المصرية[٢١] . وفى دورته الثانية (أغسطس ١٩٦٤) ، بالمانيا ، كانت السيدة (لندا شلبى) ، رئيسة رابطة سيدات الكنيسة ، والقس (لبيب مشرق) ، ممثلاً الكنيسة المصرية[٢٢] . وفى دورة الاتحاد الثالثة (أغسطس ١٩٧٠) بكينيا ، كان القس (صموئيل وهبى وكمال يوسف) ممثلاً مصر فى هذه الدورة .

وفى دورة الاتحاد الرابعة (أغسطس ١٩٧٧) ، بأسكتلندا ، إنتخب (صموئيل حبيب) ، أحد رواد الحركة المسكونية فى مصر ، نائباً لرئيس هذا الإتحاد خلال الفترة من (١٩٧٧ – ١٩٨٢) . كما حضر (حبيب) إجتماعات اللجنة التنفيذية للإتحاد ، والتى عُقدت فى (سيول) ، بكوريا الجنوبية ؛ فى الفترة من (٣ – ٨ سبتمبر ١٩٧٩) ، كما حضر إجتماعاتها التى عقدت فى (برستون) ، بالولايات المتحدة ، فى أغسطس ١٩٨٠[٢٣]

وكانت العلاقات وطيدة بين الكنيسة المصرية وبين (**مُجمع كنائس الشرق الأدنى**)[٢٤] ، فمنذ تأسيسه فى عام ١٩٢٦ ، والكنيسة الإنجيلية المصرية ، تشارك فى أعماله ، بصفة (مراقب) ، ولكن بعد الإنضمام إليه رسمياً فى عام ١٩٥٥ ، أصبحت المشاركة إيجابية ، والتعاون على مستوى عال ، فى مجال التنصير داخل مصر . فقد كان (لبيب مشرق) ، وهو أحد مؤسسى هذا المُجمع ، قد شارك مع المُنصر الأمريكى (تشارل ، واطسون) ، الإجتماعات التمهيدية مع بداية تكوينه[٢٥] .

وفى إجتماع اللجنة التنفيذية للمجمع ، بالقاهرة عام ١٩٥٤ ، إنتخب القس المصرى (لبيب مشرق) نائباً لرئيس المجمع . كما أعيد إنتخاب (لبيب مشرق) رئيساً للمجمع فى عام ١٩٥٥ ، ولمدة ثلاث سنوات .

وفى دورة المجمع (٢٢ - ٢٤ أبريل ١٩٥٨) ، كان للكنيسة الإنجيلية المصرية ، دوراً خطيراً ، حيث إنتخب القس المصرى (جرجس جريس) ، ممثلاً للمجمع فى (مجلس المرسليات المسكونى)[٢٦] .!! ومنذ عام ١٩٥٩ ، ومهمة التنصير موكلة رسمياً ، إلى الكنيسة الإنجيلية فى مصر ؛ فقد نظم المجمع ، مؤتمراً تنصيرياً ، فى يوليو ١٩٥٩ ، حضره من مصر ، عدد من الأقباط المصريين ، هم (أخنوخ يوسف ، وغايس مجلع ، وصداق قلتة ، وعزيز توما ، ونصيف طانيوس)[٢٧] .

وقد برز نشاط (مجمع كنائس الشرق الأدنى) ، فى مجال (التبشير) فى مصر ، بصورة ملحوظة خلال الفترة ١٩٥٠ وحتى وقت قريب جداً ، من خلال نشر أعوانه للكتاب المقدس ، وزرع المراكز الثقافية ، لجذب الشباب المسلم إليه ، ومن خلال محطة (إذاعة صوت الإنجيل) ، التى أخذت تبث سمومها ضد المسلمين والإسلام ، من أستوديوهاتها ، فى (أديس أبابا) بالحبشة ، منذ ٢٦ فبراير عام ١٩٦٣ - وكان يمثل الكنيسة المصرية ، فى لجنة

هذه الإذاعة ، كل من (فريد منقريوس ، وفهيم جرجس ، وعياد زخارى)[28]

ومنذ عام ١٩٧٤ تغير اسم (مجمع كنائس الشرق الأدنى) ، إلى اسم (مجلس كنائس الشرق الأوسط) ، وكان يمثل الكنيسة المصرية فى لجنته (التبشيرية) ، القبطى (فايز فارس) ، راعى الكنيسة الإنجيلية الثانية بالمنيا ، وقد إنتخب هذا القس ، من قبل رئيساً لهذا المجمع خلال الفترة من (١٩٧٠ – ١٩٧٤)[29] . وهكذا كانت الكنيسة المصرية ، فى علاقاتها مع (مجلس كنائس الشرق الأدنى) ، وحتى عام ١٩٨٦ !! علاقة تعاون وطيد فى مجال التنصير ، بكافة الوسائل ، داخل مصر .

أما علاقة الكنيسة (بمجلس الكنائس العالمى) ، فترجع إلى بداية تأسيسه فى عام ١٩٤٨ ، عندما عقد دورته الأولى ، فى (إمستردام) بهولندا ، فقد حضرها عن الكنيسة الإنجيلية المصرية ، القس (وهبى بولس) ، غير أن المشاركة الفعالة والإيجابية كانت فى عام ١٩٦٣ ، عندما إنضمت الكنيسة رسمياً ، لعضوية هذا المجلس[30] . ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم ، وجسور التعاون وطيدة بين الكنيسة المصرية ، وبين هذا المجلس التنصيرى الخطير ، فقد مثل القس المصرى (البرت أستيرو) ، الكنيسة الإنجيلية ، فى لجنته المركزية ، عن الفترة من (١٩٧٥ – ١٩٨٣) !!

وأخيراً – وليس بآخر !! (مجلس كنائس كل أفريقيا) ، لقد شاركت الكنيسة المصرية ، فى كل أعماله التحضيرية ، فى مجال التنصير ، منذ عام ١٩٦٣ ، عندما قرر (السنودس) فى عام ١٩٦٣ ، إيفاد القس (اسكندر أبسخيرون وحبيب حكيم) لحضور إجتماعات هذا المجلس ، التى عقدت فى العاصمة الأوغندية (كمبالا) . كما شاركت الكنيسة فى الدورة الثالثة للمجلس ، والتى عقدت فى (لوزاكا) بزامبيا ، خلال الفترة من (١١ –

١٤ مايو ١٩٧٤) . فقد تشكل وفد الكنيسة الإنجيلية من كل من (نصيف طانيوس ، بولس سيدهم ، منير ويصا ، والسيدة (حياة مشرق) . وفى دورة المجلس الرابعة ، التى عقدت فى (نيروبى) بكينيا ، خلال الفترة من (٢ - ١٢ أغسطس ١٩٨١) ، حضر عن الكنيسة المصرية كل من (صموئيل حبيب ، ومنيس عبدالنور)[٣١] .

وعندما مات (البابا كيرلس السادس) فى عام ١٩٧١ ، وخلفه على البطريركية (البابا شنودة) ، ممثلاً (للتيار الليبرالى) ، كان من الطبيعى أن تسيطر (الإنتلجنسيا) المنظمة سيطرة كاملة على توجهات الكنيسة المصرية. وأخذ هذا التيار ، ومنذ عام ١٩٧٢ ، يرتبط ، وبقوة (بمجلس الكنائس العالمى) ، وبكافة المنظمات الأجنبية ، التى تعمل فى مجال التنصير ، ضد المسلمين فى مصر ، مخالفاً بذلك التعاون ، كل تراث الكنيسة القبطية العريقة ، فى محاولة من جانبه ، « للإستقلال الذاتى » ، ولضرب العالم الإسلامى ، الضربة النهائية ، كما يتوهمون.

هكذا أخذت الكنيسة الوطنية فى مصر ؛ القيام بمهمة (التبشير) عن طريق (الممارسة غير المباشرة) ، نيابة عن (الحركة التنصيرية العالمية) ؛ وحصل (الأنبا شنودة) ، رئيس الكنيسة القبطية المصرية ، على جائزة (بروانتج) ، وهذه الجائزة تقدمها إحدى الهيئات (التبشيرية) الأمريكية ، لمن يقوم بنشاط بارز فى خدمة (التبشير) ، ونشر الدين المسيحى[٣٢] !!

وهكذا نجحت أجهزة التنصير العالمية ، فى تطوير مفاهيمها الصليبية فى مصر ، كما فى الشرق الإسلامى ، لتكتفى بالإفساد العقلى ، والسيطرة الوجدانية ، بعد أن تأكدت ، أنه يستحيل على المسلم المراد (تبشيره) - فى مصر - أن يستبدل (« القرآن الكريم ») ، بكفارة (الصليب) !! إنها محاولة خطيرة ، لإخراج المسلم المصرى عن دينه !!

ومن هنا أخذت ثلاث قوى عالمية خطيرة ، تعمل فى إتساق - لا تناقض فيه على الإطلاق - من أجل هذه الغاية - فقد تحالفت (القوى الصليبية) مع (القوى الإمبريالية الرأسمالية) مع (اليهود) ، ولكل دورها وغايتها فى إنجاز الوضع المطلوب ، إفساد العقل المسلم ، والسيطرة الوجدانية ، والسياسية ، فى مصر ، (فالقوى الصليبية) ، تعمل ليل نهار ، فى صورة (مبشرين) و (مستشرقين) ، فى المدارس والجامعات ، والمستشفيات ، والمؤسسات الثقافية ، والمؤتمرات - الحوار بين الأديان - والبحوث المشتركة !!

والقوى (الإمبرالية الرأسمالية) ، بخلفيتها المقهورة ، وميراثها الحاضر ، وهويتها الصليبية ، فى صورة الجواسيس والعملاء فى السفارات والمراكز صانعة القرار ، والجيوش والأساطيل (عبر المناورات المشتركة) - (النجم الساطع) !!

والقوى اليهودية ، أخذت تعمل - منذ (كامب ديفيد) - فى صورة الدونمة ، والماسون ، والكتاب والصحيفة ، والمحفل ، والتنظيم والنساء ، وبيوت المال !!

ولكل من القوى الثلاثة مصلحة ، فى تطويق ، ثم تحطيم الدولة المصرية ، الجامعة لوحدة العرب المسلمين ، القوة الثالثة ، فى عالمنا المعاصر !!

ولا تزال منظمات التنصير الأجنبية ، ومؤتمراتهم المختلفة تمارس نشاطها (التبشيرى) ضد المسلمين والإسلام ، فى السرّ والعلانية ، لا فى (مصر) وحدها ، ولكن فى كل دول العالم الإسلامى ، من أجل القضاء على الإسلام أو التقليل من أهميته وفاعليته ، وإلقاء الشك والحيرة فى وجدان المسلم المثقف ، وهو ما يحدث اليوم فى مصر !!

هوامش الفصل الثالث عشر

(١) Arbecht, Paul; The churches and Rapid Social change, New York, 1961; P. 65.

(٢) Ibid; P.P. 83 - 86, 212.

(٣) مجلة (مدارس الأحد) ، السنة (١٧) ، العدد الأول .

زاهر رياض – أثر الكنيسة القبطية فى بعث القومية الأفريقية . (مقال) .

(٤) مجلة (مدارس الأحد) ، السنة (١٩) ، العدد الأول .

زاهر رياض – مشاكل أفريقية . (مقال)

(٥) مجلة (مدارس الأحد) ، السنة (١٩) ، العددوان (التاسع والعاشر)

زاهر رياض – التخلف الإقتصادى . (مقال)

(٦) المصدر السابق . العددان (التاسع والعاشر) .

(٧) وليم سليمان (دكتور) – تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى . ص/١٠٠ – ١٠١ .

(٨) المرجع السابق . ص/١٠١ .

(٩) أديب سلامة – المرجع السابق . ص ١٢٤ .

(١٠) المرجع السابق . ص/١٢٥ – ١٢٩ .

(١١) المختار الإسلامى ، مجلة شهرية (القاهرة) ، العدد ٣٥ – شعبان – رمضان عام ١٤٠٥ هـ ، مايو – يونية عام ١٩٨٥ . ص/٦٥ – ٦٨ .

(١٢) المختار الإسلامى ، العدد (٤١) ، رجب ١٤٠٦ هـ (أبريل ١٩٨٦) . ص/٩٥ .

(١٣) أديب حبيب سلامة – المرجع السابق . ص/٢٣٦ – ٢٣٧ .

(١٤) محمد مورو (دكتور) – ملف الكنيسة القبطية ، (المختار الإسلامى) ، العدد

(٣٨) ، نوفمبر – ديسمبر ١٩٨٥ . ص/٦٠ – ٦١ .

(١٥) محمود متولى (دكتور) – مصر .. وقضايا الإغتيالات السياسية ، كتاب الحرية ، (٦) ، جـ١ القاهرة ، ١٩٨٥ . ص/٧٤ – وما بعدها .

(١٦) المرجع السابق . ص/٢١٣ – ٢١٧ .

(١٧) محمد مورو (دكتور) – المرجع السابق . ص/٦٠ .

(١٨) المرجع السابق . ص/٦١ .

(١٩) عرفت الكنيسة الإنجيلية هذه المدارس فى مصر ، منذ عام ١٩١٤ ، وعرفتها الكنيسة القبطية حوالى عام ١٩٢٥ على يد (حبيب جرجس) . لمزيد من التفاصيل إرجع إلى :

سليمان نسيم وكمال حبيب – فى التربية المسيحية ، القاهرة ، ١٩٦٤ . ص/٤٧ .

(٢٠) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٢٣٦ .

(٢١) مجلة الهدى ، ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٠ .

(٢٢) مجلة الهدى ، ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٤ .

(٢٣) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٢٧٨ .

(٢٤) إجتمع هذا المجلس لأول مرة ، فى عام ١٩٢٧ ، فى (حلوان) إحدى ضواحى (القاهرة) ، حيث كان هدفه الأساسى ، تعزيز أسباب التعاون بين الكنائس العالمية فى مجال التنصير ، بين المسلمين فى الشرق الأدنى وكان أول من تولى رئاسة هذا المحفل هو المنصر (روبرت ويلدر) ، وتبعه (المنصر الأمريكى) إرل الدر ، ثم فى عام ١٩٥٤ ، القبطى المصرى (حبيب سعيد) .

لمزيد من التفاصيل ارجع إلى :

Elder, A.; OP. cit.; P.P. 322 - 225

(٢٥) من بين هذه الإجتماعات ، إجتماع (برمانا) بلبنان فى ١٧ مارس ١٩٣٩ أنظر : أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٢٨٩ .

(٢٦) مجلة الهدى ، ١٧ مايو عام ١٩٥٨ .

(٢٧) مجلة الهدى ، ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٠ .

(٢٨) أديب نجيب – المرجع السابق . ص/٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٢٩) أديب نجيب – نفس المرجع السابق . ص/٢٩٥ .

(٣٠) إنضمت الكنيسة الإنجيلية فى مصر ، إلى عضوية هذا المجلس ، عندما قرر (المجلس

المل) (السنودسى) فى إلتئامه بالمنيا خلال الفترة (من ٢٧ مارس إلى ٢ أبريل ١٩٦٣)
أنظر الخبر المنشور فى : مجلة الهدى ، ٦ يوليو ١٩٦٣ .

(٣١) أديب نجيب سلامة – المرجع السابق . ص/٣٩٧ .

(٣٢) المختار الإسلامى ، العدد (٢٦) ، رمضان ١٤٠١ هـ – يوليو عام ١٩٨١ .

الفصل الرابع عشر

موقف الحكومة المصرية من النشاطات التنصيرية الأجنبية (١٩٧٦ - ١٩٨٦)

- التنصير فى قاهرة المُعز ١٩٨٤ .
- حكومة القاهرة تستقبل « المبشرين » رسمياً !!
- الكنيسة المصرية قلعة للتنصير الأجنبى .
- منظمة تنصيرية أجنبية تعمل فى قلب القاهرة .
- ماذا فعل المسلمون ؟!!
- الأمل المنشود !!

إن عناصر كثيرة قد تجمعت الآن ، في موقف عدائي للإسلام ، تريد أن تقضي عليه القوى الصليبية ، والقوى الإمبريالية الرأسمالية ، والقوى اليهودية ، وكل قوى من هذه الثلاث وضع خطة مدروسة مستقلة أو متعاونة مع الآخرين لهدم الإسلام فى جانبه الأخلاق ، ولهدمه فى جانبه العقائدى ، ولهدمه فى جانبه التشريعى .. واصطنعت هذه القوى معاول من الداخل – لا فى مصر وحدها وإنما فى مختلف الدول الإسلامية – تتخذ صورة المقالات أو الكتب أو الإذاعات للعمل على التحلل الأخلاق ، والتشكيك العقدى ، والنيل من التشريع الإسلامى .

لقد كتب كاتب معروف يقول : « ان من علامات التحضر ، أن يعرف الرجل ، وأن تعرف المرأة ، الرقص الغربى ، وأن يمارسه بالفعل » .

وكتب كاتب معروف آخر يقول : « العفة والبكارة وأمثال هذه المفاهيم ، إنما هى من علامات التأخر حينما يتمسك بها مجتمع من المجتمعات » .

وكتب كاتبون فى (الجنس) بلغة مثيرة متحللة .. وكتب كاتبون فى الإيمان بلغة متشككة أو منكرة فى صور تافهة عابرة ، أو فى صور خبيثة محرمة .

وإن الغرب المسيحى ، والحركة التنصيرية العالمية ، من وراء ذلك كله . فإن مآربهم التى يعملون عليها أن تنهار الدولة الإسلامية من الداخل ، أخلاقياً وعقديًّا وتشريعيًّا .. فإذا ما حدث ذلك – ولن يحدث إن شاء الله – إنتهى الإسلام كقوة فعالة فى مصر ، وبطبيعة الحال ، فى بقية الدول الإسلامية ، وفى العالم بعد ذلك ؛ وتغدو الدول الإسلامية فى تفكك وإنحلال ، ويتغلب على المسلمين كل دولة صغيرة ، بل كل دويلة إمبريالية .

ولكن التخطيط الغربى التنصيرى ، لم يكتف بمحاولة إضعاف المسلمين فى مصر من الداخل ، أو بتعبير آخر : إضعاف المسلمين المصريين عن طريق

(الكيف) – وإنما أيضاً أراد إضعافهم عن طريق (الكم) – أى عن طريق عددهم ، وذلك عن طريق « التبشير » بالمسيحية ويكفى فى ذلك أن نذكر عدة حوادث تبين المدى الهائل من العناية بهذا الجانب :

« إن الثورة المصرية (١٩٥٢) ، حينما أممت (قناة السويس) ، وأخذت فى دراسة دفاترها ، وجدت أنه تُخصص فى ميزانيتها « (ثلاثة ملايين) من الجنيهات سنوياً (للتبشير) بالمسيحية ، فى بلاد الشرق الأوسط »[١] . قناة حفرت بأيد مصرية ، فى أرض مصرية ، يخصص من دخلها ثلاثة ملايين كل عام ، لإضعاف شأن مصر والشرق ، ديناً وخُلقاً وتشريعاً .

إن (التبشير) بالمسيحية قائم على قدم وساق ، فى نشاط لا يفتر ، ومع ذلك ، فإننا نقرأ من آن لآخر ، فى الصحف والدوريات العربية : « أن التبشير فى أفريقيا أخفق » ؛ وهذا الأمر ، مجاف تماماً للحقيقة !!

يقول فضيلة الإمام الأكبر – رحمة الله – الدكتور عبدالحليم محمود ، تأمل فيما يلى :

« لقد تصادف ان جلس أحد الأشخاص مع زعيم من زعماء (التبشير) ، وجرهما الحديث عن (التبشير) ؛ فقال الشخص – وكان مسلماً دون أن يظهر ذلك – ولم تتمسكون (بالتبشير) فى أفريقيا ؟.. إننا نسمع من آن لآخر ان (التبشير) فى أفريقيا قد أخفق . ألا تتطلعون إلى أقاليم أخرى (« للتبشير) !!

وضحك الزعيم (المُبشر) ، وقال :

« إننا نحن الذين ننشر هذه الأخبار ، وننشرها فى مقابل دفع أجرة لها ، وذلك أن (التبشير) فى أفريقيا ناجح كل النجاح ، وبلغ من نجاحه أن أصبح شوكة فى ظهر (السودان) ، شوكة قوية تقلقه ، وتقض مضجعه ...، أما إذا

أردت معرفة السر ، أو بتعبير أدق ، الحكمة فى نشر هذه الأخبار ، فهاكها :

إننا حينما ننشر هذه الأخبار ، فذلك لفائدتين محققتين :

إحداهما : ان المسلمين حينما يقرأونها ، يستمرون فى نومهم قائلين : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ . فلا ينالنا من جانبهم معارضة أو أذى ..

أما الفائدة الثانية : فهى أن تنهال علينا التبرعات من أغنياء المسيحيين ، لأن المسيحيين – أينما كانوا – إنما يسرهم أن ينجح (التبشير) .. »[٢] هذه الحقيقة العارية ، أليست لطمة للإسلام والمسلمين !!

التنصير قائم فى قاهرة المُعزّ (١٩٨٤ – ١٩٨٦)

وفى مصر (١٩٨٤ – ١٩٨٦) ، ما يزال « التبشير » قائماً على قدم وساق .. ففى منتصف سبتمبر عام ١٩٨٤ ، « قامت إحدى شركات الإتصال التابعة لهيئة (تبشيرية) ، بالشرق الأوسط ، بإجراء مشاورات فى (القاهرة) للبحث فى نشاطات الكنائس والوكالات المختلفة فى هذا المجال »[٣] . ولم يتحرك أحد لا من الحكومة ، ولا من الأهالى !!

وفى شهر مايو ويونية عام ١٩٨٥ ، نشرت الصحف المصرية ، « أن فى مصر ، وبالذات فى الأحياء الفقيرة ، مراكز تسمى بمراكز الخدمة الإجتماعية ، تتبع الكنيسة الأسقفية ، تعمل بين التلاميذ والشباب ، فى مجال (التبشير) » . ويقول أحد (المبشرين) الأجانب فى (القاهرة) : « ان هذه المراكز تتبع أسلوب (التبشير) ، وتقديم الخدمة الإجتماعية ، فى آن واحد . وتأمل فى إيجاد كنيسة قبطية إنجيلية موحدة » . وأضاف هذا (المُبشر) : « وقد عُقد فى (القاهرة) مؤخراً – ولم يُحدد التاريخ – ما وصف (بإحتفال مسيحى) ، إستمر أربعة أيام موجه للمسيحيين بالإسم – حسب ما وصفهم – وتم فى هذا الإحتفال تعريف ، حوالى ٢٥٠٠ شخص بالإنجيل مما أدى إلى إتخاذ المئات

منهم قرار التعمق والإلتزام بالإيمان » . وصرّح كذلك ؛ « وربما يتم تعميم هذا الأسلوب على نطاق أوسع ، لإيصال (ماء الحياة) إلى هذا البلد الجاف المرهق »[٤] – حسب وصفه لمصر . ومع ذلك لم يتحرك أحد !!

وقرب منتصف أغسطس عام ١٩٨٥ ، « إتخذت بعض الهيئات (التبشيرية) العاملة فى الشرق الأوسط ، قراراً بعدم الإعلان عن نشاطها ؛ لإعتبارات أمنيةٌ – كما ذُكر –»[٥] . وقد تسربت أنباء عن نشاطات هذه المنظمات التنصيرية ، فى نهاية عام ١٩٨٥ ، تتمثل فى عقد دراسات للقادة المُنصرين والقسس فى مصر ، وإقامة صلات تراسل مع مسلمين مصريين ، باللغة العربية ، والتركيز على (التبشير) بالإذاعات ، وزرع عدة مدارس للإنجيل ، فى المدن والأقاليم المصرية !!

وتذكر تلك المنظمات والهيئات (التبشيرية) ، « أنها تلقى صعوبة فى العمل بين المسلمين فى الشرق الأوسط ، الذى يعتبر قلب العالم الإسلامى ، وأنها لذلك لجأت إلى فرض السرِّية على تحركاتها »[٦] . ضد المسلمين والإسلام فى مصر !!

وكانت صحيفة (الأهرام) – القاهرية – قد نشرت فى صفحتها الدينية ، فى أواخر شهر رمضان عام ١٤٠٥ هـ (يونية ١٩٨٥) ، ولأول مرة – النص الكامل لرسالة تتضمن ، ما يوصف بتهنئة (الفاتيكان) للمسلمين ، بمناسبة عيد الفطر . وقد تزامن هذا النشر ، مع توصيات أصدرتها بعض هيئات كنسية كاثوليكية مصرية ، « تدعو إلى تعريف المسلمين فى العالم بإهتمام (الفاتيكان) بهم ، من خلال ترويج رسائله ، ونشراته الدورِّية ، فى مجال ما يطلق عليه (الحوار بين الأديان) »[٧] . وهذا (الحوار) المزعوم ، هو وسيلة جديدة ، فى مخطط الحركة التنصيرية العالمية ، فى إطار تطوير الإستراتيجية (التبشيرية) العالمية . وقد أُنشأ من أجل هذا (الحوار) المزعوم عدة جمعيات تعمل فى

مصر ، منها (جمعية الإخاء الدينى) و (جمعية الإسلام والغرب)(٨) . ومع ذلك لم يتحرك أحد فى (الأزهر الشريف) فى مصر !!

وأمام صمت (الأزهر الشريف) ، وحكومة القاهرة ، أسس (مجلس الكنائس العالمى) ، وحدة دراسات مختصة ببحث شئون المسلمين ، فى مصر ، وتقديم الدراسات عن الأوضاع للمسلمين فى مصر ، للكنائس التى تدخل فيما يسمى (بحوار مع المسلمين) . ويقوم فريق العمل ، بهذه الوحدة ، بجولات فى المناطق الإسلامية ، فى العالم لجمع المعلومات اللازمة .

وفى تقرير ، لأحد أفراد هذه الوحدة التنصيرية ، وهو كبير الأساقفة (فرانسيس أرنيزى) ، حول (الحوار مع غير المسيحيين) ، قدمه فى شهر فبراير عام ١٩٨٥ ، إلى أحد مؤتمرات المنظمات والهيئات (التبشيرية) ، « حمل فيه على العديد من العلماء والمفكرين المسلمين ، ووصفهم بأنهم يقفون - عقبة كؤود - فى سبيل (الحوار) ، وبعضهم يترددون ؛ بينما يؤيده ، عدد من القادة فى المراكز العليا » !!

فما هذا (الحوار) الذى يراد فرضه بالقوة ، ضد الإسلام ، من جانب منظمات تنصيرية خطيرة ، تعمل ضد المسلمين فى مصر ، وفى غيرها من الدول الإسلامية . ومن هم هؤلاء القادة المسلمون ، المؤيدون لهذه المحاولة الخبيثة ، وهذا (الحوار) التنصيرى المزعوم ؟!!

« لقد قدَّم (مجلس الكنائس العالمى) - التنصيرى - خلال عام ١٩٨٥ ، مبلغ (مليون دولار) ، لما وصف « ببرنامج الخدمات التابع للكنيسة القبطية الأرثوذكسية) فى مصر . وخُصص هذا المبلغ لنشاطات البرامج التى ذُكر أنها « تتضمن إعداد القيادات والرعاية الصحية والشباب وتنمية المرأة ، وسكان المناطق (الوضعية) ، وإيجاد الوظائف ، وتقديم الخدمات الإجتماعية للمعوقين »(٩) . ولم تتحرك الحكومة المصرية ، ولا وزارة الشئون الإجتماعية .

وإن كانت فعلاً قد وافقت الحكومة والوزارة على ذلك ، فلماذا هذا الإزدواج بين برامج حكومة القاهرة ، وبين برامج الكنيسة القبطية المصرية ؟!!

ومن المؤكد ، أن هذا المجلس التنصيري (مجلس الكنائس العالمى) ، يعمد - وعن وعى - إلى ضخ الأموال إلى منطقة (الشرق الأوسط) ، من خلال لجنة المعونة بين الكنائس واللاجئين ، والخدمة العالمية ، وبالتعاون الوثيق ، والنشط ، مع (مجلس كنائس الشرق الأوسط) - وهو منظمة تنصيرية خطيرة ، هو الآخر - وتتراوح مشروعات (المجلس العالمى للكنائس) مع المشروعات الضخمة ، كتلك المنفذة مع الكنيسة القبطية المصرية ، إلى مشروعات صغيرة ، ذُكر « أن أحدها كان يتضمن شراء (حافلة) لنقل التلاميذ ، فى إحدى مدارس الحضانة ، بمدينة (بورسعيد) »[١٠] .

حكومة القاهرة تستقبل (المبشرين) رسمياً !!

نشرت الصحف المصرية ، (الأهرام) فى ٢٨ يوليو ١٩٨٥ ، خبراً ومعه صورة عن إستقبال (نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالى) ، (لمبشرة) نصرانية ، تدعى (الأم تيريزا) ، وذُكر ، « أن اللقاءات بينها وبين الحكومة المصرية ، تناولت بحث نشاطات (المُبشرة) فى مصر ، فى مجال (الخدمة العامة) »[١١] .

وهذه المُنصرة (الأم تيريزا) ، قد أحاطها الإعلام الغربى المسيحى والعالمى ، بدعاية واسعة النطاق ، كجزء من نشاطات (بابا الفاتيكان) التنصيرية ؛ وهذه (المبشرة) تعمل فى حقل التنصير فى (الهند) ، منذ سنوات ، وقد ركزت نشاطها على منطقة (الشرق الأوسط) ، فى السنوات الماضية ، منذ (١٩٧٥ - ١٩٨٥) ، حيث ذهبت إلى (لبنان) ، لتنظيم عملية ترحيل وتهجير أيتام المسلمين ، من الأطفال والصبية ، خلال الحرب

اللبنانية ، إلى أوربا بدعوى إيوائهم ، وكان الهدف الحقيقى إيداعهم ملاجىء الكنيسة ، وتنشئتهم على النصرانية ، أو إعطائهم لعائلات مسيحية لتربيتهم ، وتحويلهم عن الإسلام .

و (الأم تيريزا) — التى لقيت كثيراً من الحفاوة والترحاب فى (قاهرة المُعز) — لم تكن بعيدة عن فضيحة بيع عشرات من الفتيات الهنديات ، لإدخالهن فى الأديرة كراهبات ، بعد خلو هذه الأديرة ، من المتقدمات الأوربيات . كما شاركت المُنصرة المذكورة ، كذلك ، بنشاط واسع وخطير خلال الأشهر (يناير وفبراير ومارس ١٩٨٥) القليلة الماضية ، (فى عملية تنصير ضحايا المجاعة فى أثيوبيا وأرتريا والسودان ، بالخبز »[١٢] .

وهذه (المبشرة) الخطيرة ، كانت على صلة وثيقة ، بالرئيس الراحل (محمد أنور السادات) ، وزوجته . وكانت المُنصرة (تيريزا) قد جاءت إلى مصر ، خلال (عهد السادات) ، أكثر من مرة ، لتقيم عدداً من المشروعات التنصيرية ، تحت ستار ما يسمى (بالخدمة الإجتماعية) . وكان التركيز فى هذه المشروعات ، على (الأيتام والأطفال) من فقراء ، الأسر المسلمة .

وقد يتساءل البعض ، ما هى الصفة الرسمية (للأم تيريزا) ، التى تجعل (حكومة القاهرة) تستقبلها ، بكل هذه الحفاوة ؟!! وقد أجاب على هذا التساؤل ، (المختار الإسلامى) ، قائلاً : « من الواضح أن « الأم تيريزا » تأتى فى سياق متابعة مشروعاتها (التنصيرية) فى مصر ، والتى تُحاط بالكتمان »[١٣] ، من جانب المسئولين المصريين ، فى وزارة الشئون الإجتماعية ، والحكومة .

وهكذا يتم التنصير فى مصر ، تحت سمع وبصر الحكومة ، وكافة المسؤولين . مشروعات ، وهمية يدخل تحت إسمها هؤلاء المنصرون ، يلتحمون بأبناء الفقراء من المسلمين ، بدعوى (الخدمة الإجتماعية ، وخدمة المعوقين) !! ان النشاط التنصيرى الذى ألغته « معاهدة منترو » عام ١٩٣٧

ما يزال حتى نهاية عام ١٩٨٥ يتم فى قاع المجتمع المصرى ، بعد أن دخل من أوسع الأبواب الرسمية ، ويعمل ضد الإسلام وأبناء المسلمين ، فى هدوء وإطمئنان ، وبتشجيع من حكومة القاهرة !!

الكنيسة المصرية قلعة للتنصير الأجنبى

ونشرت صحيفة (الأخبار) - القاهرية - فى ١٨ أغسطس عام ١٩٨٥ ، تعليقاً (لجلال الدين الحمامصى) ، فى عموده (دخان فى الهواء) ، على زيارات (بابا الفاتيكان) المتعددة ، لبعض الدول الأفريقية ، من أجل دفع حركة التنصير العالمية ، داخل هذه البلدان . فقد ذكر (الحمامصى) : « أن الصحف الأمريكية تحدثت عن محاولات (البابا) وقف المدّ الإسلامى فى أفريقيا ، وأن هذا هو سبب زياراته الأخيرة ، حيث أصدر تعليمات بذلك » . ثم تساءل (الحمامصى) ، عما يفعله رجال الدعوة الإسلامية ، لمواجهة النشاط التنصيرى فى أفريقيا !![١٤] .

وقد ردّ عليه فضيلة الدكتور (عبدالودود شلبى) موضحا بعض العوائق فى سبيل الدعوة الإسلامية داخل بلادها نفسها - فى مصر . ثم قال : « هل يعلم الأستاذ الحمامصى ، ان الكنيسة الأرثوذكسية القبطية فى مصر ، تمارس نشاطاً تنصيرياً واسعاً ، فى السودان وأوغندا (حيث يُذبح المسلمون) ، وكينيا ، حيث تشارك فى أعمال (مجلس الكنائس الأفريقى) وحيث قام وفد من كبار الكهنة الأقباط بإستقبال وفد مصر - مؤخراً - إلى ما يسمى (مؤتمر المرأة) هناك ؟

إن الأموال تُجبى من الأقباط فى مصر ، وتذهبُ إلى هذه النشاطات ، بالمشاركة مع الكنائس الغربية الكبرى »[١٥] . وكان ردّ الدكتور (عبدالودود شلبى) ، كافياً لإثبات حرية الحركة ، فى مجال (التبشير) ، المتاحة للكنيسة

القبطية المصرية ، دون أن يدرى أحد من المسؤولين ، ودون أن تصادر الكنائس والجمعيات المسيحية ، لحساب وزارة الأوقاف !

ومع بداية عام ١٩٨٦ ، نشرت مجلة (البعثات التبشيرية الإنجيلية) ، التى تصدر فصلياً ، تقريراً خطيراً حول (تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر) ، فى محاولة من جانبها ، لتغطية تصرفات الكنيسة السافرة فى مجال التنصير ضد المسلمين فى مصر ، ذُكر فيه : « أن دعوة شيخ الأزهر الحالى ، لتطبيق الشريعة ، ستشعل الحرب الأهلية فى مصر ، لأن المسيحيين سيرفضون صراحة تطبيقها ولذلك فإن المسيحيون فى مصر ، يحتاجون إلى كل تأييد ممكن . خاصة بعد أن إنضم إليهم البروتستانت ، وأصبحوا ينتمون إلى الكنيسة الإنجيلية » . كما أورد التقرير – كذلك – « ولقد تلقت الكنائس فى مصر دفعة كبيرة فى نوفمبر عام ١٩٨٣ ، عندما أُدخلت الرابطة الإنجيلية إلى عضوية الروابط الإنجيلية العالمية ، التى تضم فى عضويتها خمسين دولة »[١٦] . ولم يذكر (التقرير) من أى جهة حصلت الكنائس على هذه الدفعة الكبيرة ، التى هى فى أغلب الظن أموال ، رُصدت – بلا شك لضرب الإسلام والمسلمين فى مصر . والجدير بالذكر ، أن (محفل الروابط الإنجيلية العالمية) ، إحدى المنظمات الخطيرة ، المتفرعة عن (الحركة المسكونية المسيحية العالمية) ، تعمل فى مجال التنصير على مستوى العالم الإسلامى ، وفى مصر !!

ويختتم (التقرير) فيقول : « وأن هناك صحوة فى كنائس البروتستانت فى مصر ، حيث تتزايد أعداد المهنيين من الرجال والنساء – ذوى المناصب الحكومية البارزة – الذين يكرسون كل جهود لنشاطات الكنيسة »[١٧] . أى أن الكنيسة تستعين كذلك بأصحاب النفوذ فى الحكومة ، لتدعيم نشاطها التنصيرى ، لتلك الكنيسة التى تسلمت مهمة التنصير ، فى مصر ، من (الحركة المسكونية المسيحية العالمية) !!

منظمة تنصيرية أجنبية ، تعمل فى قلب القاهرة

فى نفس الوقت – تقريباً – نشرت صحيفة (الأحرار) – المصرية – فى عددها الصادر فى (٥ مايو عام ١٩٨٦) تحقيقاً خطيراً للغاية ، فحواه : « أن فى قلب القاهرة ، منظمة تنصيرية ، تمارس نشاطها ضد الإسلام ، مهمتها (غسل مُخ) أطفال أحياء (مصر القديمة) ، وهذه المنظمة تدعى (فوستر بيزنس بلان إنترناشيونال Fouster Besens Blan International) ، وفروعها بالقاهرة يطلق عليه إسم (Blan international Egypt بلان إنترناشيونال إيجبت) ، ومدير المنظمة ؛ بفرع القاهرة هو الدكتور الصهيونى الأمريكى (ثيموثى فاريل Thimoth Faral) ، ومقره يقبع فى ٨ شارع متحف النيل ، بالمنيل . وعنوانه البريدى (ص . ب ٣١ – الملك الصالح) ، ورقم هاتف مكتبه (٣٦٢٠٠٢٥) ، وأما هاتف منزله ، فرقمه (٧٢٨٤٦٢) ، ويقوم بتمويل هذه المنظمة الخطيرة ، سبع دول مسيحية هى ، الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وهولندا ، وكندا ، وإستراليا ، وبلجيكا وأخيراً اليابان »(١٨) . وهذا التحقيق يعتبر لطمة عنيفة لحكومة القاهرة ، خاصة وأن الجهات المسئولة لم تنفى وجود هذه المنظمة التنصيرية الخطيرة فى القاهرة !!

ونشرت مجلة (المختار الإسلامى) ، فى عددها الصادر فى (مايو ١٩٨٦) – كذلك – « ان مؤسسة (تبشيرية) تدعى (منظمة نشر المسيحية فى الشرق الأوسط) ، نشأت فى عام ١٩٧٦ ، نتيجة لإتحاد هيئة المطبوعات (التبشيرية) العربية ، والإرسالية (التبشيرية) بلبنان ، والهيئة (التبشيرية) العامة للشرق الأوسط ، تدعى نشر المسيحية فى الشرق الأوسط ، وهدفها المُعلن فى مطبوعاتها ، هو نشر الإنجيل فى دول الشرق

الأوسط ، وغيرها من المناطق ، من خلال النشاطات التعليمية ، والرعاية الصحية ، والمطبوعات ، وغير ذلك من الوسائل ؛ ووسيلة هذه (المنظمة التبشيرية) إلى ذلك ، هي التعاون مع الكنائس والهيئات المسيحية في الأقليم أو الدولة التي تعمل فيها . وفي حالة عدم وجود كنيسة إنجيلية ، تعمل المنظمة — جاهدة — على إيجاد كنيسة تكون ملائمة للإقليم أو للدولة ، وأوضاعه الإجتماعية — وتتعاون — هذه المنظمة — مع جهات قبطية وغير قبطية في مصر ، ولبنان وسورية ، على طبع الكتب ، والمنشورات المسيحية باللغة العربية . والمنظمة تعمل الآن — (١٩٨٦) — في مصر ، من خلال المدارس التابعة (لسنودس النيل الإنجيلي)[١٩] ، في مجال التنصير ، بطبيعة الحال . وهي في طريقها لأن يكون لها فرع في القاهرة ، له مدير ، ومكتب ورقم هاتف !! وحكومة القاهرة ، في سُبات عميق !!

وقُرب نهاية عام ١٩٨٦ ، وفي أحد تقارير (مجلس الكنائس الإنجيلية) ، العاملة في أفريقيا ، يؤكد المجلس على : « أنه يجب مضاعفة الجهود لمواجهة الإسلام في أفريقيا » ، وإشتكى (المجلس) — « من أن أموال البترول تستخدم لنشر الإسلام » ، وأضاف ، « بأن الإسلام كان ينتشر في الماضي بالقسر ، أما الآن فإنه ينتشر ، بقهر الأموال البترولية »[٢٠] . الجدير بالذكر ، أن (مجلس الكنائس الإنجيلية) العاملة في أفريقيا ، يضم في عضويته ممثلين من مصر !!

وفي أواسط سبتمبر عام ١٩٨٦ ، عقد في (القاهرة) مؤتمر لكافة الكنائس الإنجيلية العاملة في أفريقيا ، وحضره ممثلون عن (كينيا وأوغندا وتنزانيا ونيجيريا ، وغرب أفريقيا ، وجنوب أفريقيا ، وزائير ، ومصر) . وهذا المؤتمر قام بتمويله ، بما يسمى (مجلس الكنائس العالمي) ، ذات النشاط التنصيري الرهيب في العالم الإسلامي . وقد لقيت هذه الوفود الترحيب والتشجيع رسمياً من حكومة القاهرة ؛ فماذا جرى في مصر الإسلامية !!؟

ماذا فعل المسلمون ؟

إن حركة التنصير الأجنبية العالمية ، تعمل بكل قوتها ، ضد الإسلام والمسلمين ، لا فى مصر وحدها ، وإنما فى كافة أنحاء العالم الإسلامى . « ان هنالك جيشاً جراراً قوامه (١٧ مليون) ، (مبشر) ، يعمل ليل نهار ، لإطفاء نور الله من على ظهر هذه الأرض ، وفق إستراتيجيات بعيدة المدى ، وتحت تصرفهم ميزانيات (فلكية) ، ينفقون منها بغير حساب ؛ فعلى سبيل المثال – لا الحصر – إستطاع المنصرون جمع (٩ مليارات دولار) ، من خلال الكنائس الأمريكية وحدها ، من أجل تنفيذ مخططاتهم لتنصير عدد من البلدان الفقيرة ، بحلول عام ٢٠٠٠ »[٢١] . إن هذه المعلومات الخطيرة ، عن إمكانات المُنصرين ، وتحركاتهم ضد الإسلام ، والحوادث الكثيرة السابقة ، التى حدثت وتحدث فى مصر ، فى مجال التنصير ، كلها تُمثل لطمة عنيفة لحكومة القاهرة – من ناحية – ولحكومات الدول الإسلامية ، ولأبناء الإسلام فى كافة أنحاء المعمورة ،– من ناحية أخرى .

فماذا أعدت (حكومة القاهرة) الإسلامية ، وأزهرها الشريف ، وأبناء الإسلام .. الستمائة مليون أو السبعمائة مليون مسلم فى العالم ، من أجل الإسلام ، ولمواجهة هذا الغزو التنصيرى الرهيب ؟!!

إن كل دولة أوربية أو غربية ، بل كل دويلة فى الغرب ، ترسل إرساليات تنصيرية فى كل أقطار العالم الإسلامية أو الوثنية .

وفى مقابل ذلك ، لم ترسل دولة إسلامية ، وحتى مصر بأزهرها الشريف ، من يبشرون بالإسلام . وهذه البعثات التى تخرج من البلاد الإسلامية إلى غيرها ، إنما هى بعثات تعليمية .. إنها تعليمية بحتة ، حتى لقد خلت من فكرة أن تكون بعثات تربوية .. إنها تعليمية ، تعلم الحساب والجبر والهندسة ، أو

تعلم الحروف الهجائية ، وليس فى أذهان المبعوثين مسألة الدين أو الخُلق أو التربية الإسلامية ..

ماذا فعل المسلمون ، للتصدى لهذه المؤامرة الغربية الكبرى والخطيرة ، والتى تحاك ضد الإسلام فى مصر ، والعالم الإسلامى ، بإمكانيات مالية وإدارية خرافية ؟!!

الأمل المنشود !!

أنا لا أريد – بطبيعة الحال – أن أكون نذير شؤم ، إنما قصدى أن أنبّه الأذهان إلى ما ينتظرنا من أخطار ، إن نحن سرنا على مألوف ما نسير عليه الآن ، الصمت والتجاهل !! فلن يكون بمقدورنا وقف هذا المدّ التنصيرى الخطير ، الذى يعمل فى تنسيق تام مع المصالح الغربية المسيحية المتغلغلة ، فى أقطار العالم الإسلامية ، مما يجعل أمر مساندة هذه المصالح الغربية المسيحية ، للحركة التنصيرية العالمية ، ضرورة حتمية ، مساندتها بشتى الوسائل المادية والعسكرية والتقنيّة .

أيها المسلمون !.. ان الله سبحانه سيحاسبكم على السلبيّة التى تسيرون على نهجها .. أيها الأثرياء!.. يا أصحاب الملايين ! ماذا أنفقتم من أجل وقف هذا الخطر ، ومن أجل التبشير بالإسلام ؟!!

وبعد :

فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وإن الأمل لكبير فى أن يوفق الله الأمة المصرية والإسلامية ، لإتخاذ طريقه قولاً وعملاً .. فإذا حققوا ذلك

فإنهم يومئذ يفرحون بنصر الله . ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾

فالصواب فى تقديرى ، إننا نواجه نشاطاً حركياً ينشئ لنفسه بالتدريج (وعياً آخر) ، وأوضاعاً حركية تنصيرية جديدة ، تعتمد على ما ترسخه فى الوجدان ، (وسائلها وأدواتها) فى مصر ، وهى الكنيسة المصرية . والحركة يجب أن تواجه بالحركة ، والكلام وحده لا يكفى إلا أن يكون ممهداً لتحرك أو منبهاً لموقف ولوضع . والحركة الإسلامية الشعبية المصرية ، عندما واجهت الهجمة التنصيرية الشرسة ، فى الفترة من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٤ ، كانت المواجهة بالتحرك الشعبى ، كان التصدى للمنصرين وأعوانهم ، وتألفت جمعيات لمحاربة التنصير ، معظمها كانت جمعيات (أهلية) ، منها (جمعية مقاومة التنصير المصرية) .

لنشكل الآن جماعة شعبية تتحرك للتصدى لهذه المحاولات التنصيرية الجديدة ، وتتكون بجهود (أهلية) غير رسمية ، من عناصر إسلامية واعية ، ذات قدرة على الإحتفاظ بهذا الأمر ، كشاغل عام ، متميز عن سائر الأنشطة ، الحزبية والحكومية ، ولنبتعد فى هذه المهمة المقدسة ، عن التوظيف الحزبى والحكومى الضيق ، لهذه المهمة الضخمة . وليكن لهذه الجماعة أن تتحرك بما يليق بالمسلمين المصريين ، أن يصنعوه إزاء هذه الغزوة الصليبية الغربية ، وأن تتصل بالأجهزة المختلفة ، وبالهيئات السياسية والإجتماعية المختلفة ، ويكون لها وجودها المباشر المحسوس فى أية موقع يجرى فيه ، أية محاولة تنصيرية . وإن ثقتنا كبيرة فى مستقبل هذه الجماعة ، التى يمكن لها أن تضع نهاية لمثل هذه التحركات التنصيرية الغربية ، فى مصر العظيمة ، ذات الإنتماء الأصيل للإسلام .

وإنى إذا كنت قد وضعت بعض الحقائق الواقعية ، على إمتداد هذه الدراسة ، تحت نظر القراء الأعزاء ، فإنما أردت أن أضع مادة لإثارة التفكير فى مستقبل الإسلام ، الذى لا شك فى أنه دين المستقبل ، لأنه دين التوحيد والعدل والأخوة .

والحمد لله .. ألا قد بلغت اللهم فاشهد ..

دكتور
خالد محمد نعيم

هوامش الفصل الرابع عشر

(١) عبدالحليم محمود (دكتور) - أوربا والإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ . ص/١٩٤ .

(٢) المصدر السابق . ص/١٩٥ - ١٩٦ .

(٣) المختار الإسلامى ، العدد (٢٨) ، ذو الحجة ١٤٠٤ هـ (سبتمبر ١٩٨٤) .

(٤) المختار الإسلامى ، العدد (٣٥) ، شعبان - رمضان ١٤٠٥ هـ (مايو - يونية ١٩٨٥) .

(٥) المختار الإسلامى ، العدد (٣٦) ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ١٤٠٥ هـ (يوليو ، أغسطس ١٩٨٥) . ص/٣٥ .

(٦) نفس المصدر السابق .

(٧) المصدر السابق . ص/٣٣ .

(٨) المصدر السابق . ص/٣٣ .

(٩) المختار الإسلامى ، العدد (٤٦) ، صفر ١٤٠٧ هـ (اكتوبر ١٩٨٦) . ص/٢٧ .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) صحيفة الأهرام (القاهرة) ، ٢٨ يوليو ١٩٨٥ .

(١٢) المختار الإسلامى ، العدد (٣٧) ، محرم - صفر (١٤٠٦) ، سبتمبر اكتوبر ١٩٨٥ . ص/١٤ .

(١٣) المصدر السابق . ص/١٥ .

(١٤) صحيفة (الأخبار) ، القاهرة ، ١٨ أغسطس ١٩٨٥ .

(١٥) المختار الإسلامى ، العدد (٣٧) . ص/٨٢ .

(١٦) المختار الإسلامى ، العدد (٤٠) ، فبراير مارس ١٩٨٦ . ص/٨٤ - ٨٥ .

(١٧) نفس المصدر السابق .

(١٨) صحيفة الأحرار ، لسان حال (حزب الأحرار) ، ٥ مايو ١٩٨٦ (شعبان ١٤٠٦ هـ) .

(١٩) المختار الإسلامى ، العدد (٤٢) ، شعبان ١٤٠٦ هـ (مايو ١٩٨٦) . ص/٤٩ .

(٢٠) المصدر السابق .

(٢١) كان معالى (الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ، الدكتور عبدالله نصيف) ، قد فجر هذه القنبلة ، أثناء محاضرته التى ألقاها فى مدينة (العين) ، بدعوة من جامعة الإمارات العربية المتحدة .

أنظر : منار الإسلام (مجلة شهرية) ، أبوظبى ، العدد الثامن - السنة الحادية عشرة ، شعبان ١٤٠٦ هـ (أبريل ١٩٨٦) ، الإفتتاحية ، لفضيلة الأستاذ (على محمد العجلة) ص/٤ - ٥ .

فهرست

الفصل السادس

موقف العلماء والمثقفين من النشاط التنصيرى
فى عهد الإحتلال

الفصل السابع

الحركة المسكونية وتطور فاعلية النشاط التنصيرى

الفصل الثامن

نتائج « وحدة الحركة التنصيرية العالمية » على مصر
(١٩١٤ - ١٩٢٨)

الفصل التاسع

تصاعد حوادث تنصير الصبيّة والبنات فى مصر
(١٩٢٨ - ١٩٣٢)

الفصل العاشر

موقف الصحافة والتنظيمات السياسية من
حوادث التنصير عام ١٩٣٣

الفصل الحادى عشر

حركة الجهاد الشعبية الإسلامية
(١٩٣٣ - ١٩٣٤)

الفصل الثانى عشر

الحكومات المصرية المتعاقبة ، وموقفها من الإرساليات الأجنبية
(١٩٣٤ - ١٩٤٤)

الفصل الثالث عشر

إستمرار النشاط التنصيرى فى مصر من
خلال الكنيسة الوطنية (١٩٤٥ - ١٩٧٥)

الفصل الرابع عشر

موقف الحكومة المصرية من النشاطات التنصيرية الأجنبية
(١٩٧٦ - ١٩٨٦)

جمعية مقاومة التبشير الاسلامية

نداء الى العالم الاسلامى

نكبة الاسلام فى عقر داره

فوجئ الاسلام اليوم بعدة لطمات مخيفة وطعنات قاتلة من نواحى مختلفة كان أشدها خطرا وأكبرها بلاءا وأعظمها مصيبة سيل التبشير الذى تدفق علينا من ربوع الغرب فسمم العقول وضلل الافئدة بتعاليمه السامة ولدعاته القاتلة ودعاياته الواسعة النطاق التى يراد منها هدم كيانه وتقلص مجده وأفول نجمه . فأنشئت مكاتب الدعاية والتبشير فى مختلف البلدان الاسلاميه وخصصت لها ميزانيات ضخمه وأرادات هائله وانتخب لها مجموعه برعت فى وسائل الدس والتدليس وتشويه الحقائق الناصعه فعاثوا فى الارض فسادا وأوجدوا شقاقا تفرع منه جماعة الملحدين فكانوا أدهى وأمر . وأنكى وأضر إذ دسوا السم فى الدسم وعلماؤنا وحكوماتنا فى غيهم يعمهون وفى نومهم يغطون حتى تجارى أحد سفهائهم الذى يدعى بكامل منصور على دين الدولة الرسمى بالقاء محاضره فى كلية الامريكان نقتطف منها ما يأتى ليطلع عليها الرأى العام .

(قد كنت مسلما منغمسا فى الخطيئه والرزيله فلما أعتنقت الدين المسيحى خرجت من الظلمات الى النور . فيجب أن تعتنقوا المسيحيه لترفعوا عن نفسكم الخطيئه . وأن القرآن ماهو الاقصص وخرافات ثم زاد الوغد فى غيه فسب النبى صلى الله عليه وسلم بما يترفع القلم عن كتابه

ولما أراد المسلمون الاحتجاج على ما أصاب دينهم ونبيهم أعتدي عليهم بالضرب المبرح وثالثه الاثافى أنه عند ماتوجه فريق منهم للشكوى قابلهم الضابط بكل نذاله وسفاله

فيا علماء الاسلام ويارجال الدين ويا أولياء الامور وياملوك الاسلام أن الاسلام يستغيث من تلك الاهانات فهل من مجيب اين الهمه العربيه والنخوه الاسلامية يهان الاسلام ويسب فى عقر داره وأنتم ياورثه الانبياء لاهون غافلون وعن أمر دينكم معرضون الى متى السكوت على تلك الحشرات الدنيئة . الى متى ذلك النوم الابدى وقد أحاطت بكم جيوش التبشير والالحاد ودبرت ضدكم المؤتمرات علنا فى أقدس بلادكم فهل من مستيقظ

فالموت خير من حياة يهان فيها الدين ويقذف النبى جهرا فالى متى الصبر وقد بلغ السيل الزبى وآن لنا أن نثب وثبه الاسود لندافع عن ديننا المقدس

فماذا نبتغي من وراء هذه الحياة بعد أن صدمتنا صدمات تتزلزل أمامها الجبال الراسيات

الانفوس أبيه . ألاأفئدة نبيله : الا قلوب حساسه تثار على دينها وتذب عن كرامة نبيها

أين واجبكم المقدس ياعلماء الاسلام ألتم حقيقة موجودين أم أنتم فى عالم الخيال

أين أصواتكم يا أسود الاسلام

أين صرخاتكم يا أئمة الدين

أين حميتكم ياملوك الاسلام وأمرائه فأن بالدين جرح من الالحاد يقطر دما

أين أنتم : أين أنتم : أين أنتم . فأنكم أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ؟

ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

قرآن كريم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول الظالم ياظالم فقد تودع منهم

عن الجمعية

طه عبد الباقى سرور نعيم — محمد عبد الوارث الصوفى اللاذقى — محمد فتحى حسين عبد الوهاب

بالازهر — بالازهر — بالازهر

من هو المتبرع الكريم سيد مصطفى عمرو باشا

صاحب ١٤ ألف فدان لا يبرح الريف

لما قامت الضجة حول التبشير والمبشرين في مصر ، وهمت الحكومة وبعض الهيئات المصرية تعمل لانشاء الملاجيء حتى تأوي اليها الفتيات الفقيرات اللاتي تضطرهن الحاجة إلى دخول الملاجيء الاجنبية ، انبرى عدد من الكرماء الى التبرع لانشاء الملاجيء ومساعدة الجمعيات الخيرية لزيادة ملاجئها ومدارسها كي تسع اكبر عدد ممكن من الفتيات الفقيرات . وكان في مقدمة هؤلاء المتبرعين الاريحي الوجيه السيد مصطفى عمرو فقد تبرع بمبلغ عشرة الاف جنيه . واوقف خمسمائة فدان لانشاء ملجأ للفتيات وجعل ذلك تحت تصرف الحكومة المصرية . وقد أنعم عليه جلالة الملك برتبة الباشوية جزاء أريحيته ونخوته .

والسيد مصطفى عمرو باشا من كبار أعيان الصعيد ، فهو يملك اربعة عشر الف فدان لادين عليها ، ويقدر العارفون أمواله غير ما يملك من عقار وأرض بنحو مليون جنيه . وعنده قطن خمس سنوات لم يبع . وقد أودع أمواله البنك . ولكثرة أماناته المالية ، اشترط البنك عليه ألا يسحب في المرة الواحدة اكثر من خمسة آلاف جنيه ، ولذلك حينما تبرع بمبلغ العشرة الآلاف حررها بشيكين . وقد كان والده وجده من تجار الحبوب .

وقد نشأ هو ووالده وجده لا يميلون الى الترف والوجاهة ، ولا يعنون بالمظاهر ولا يشغلهم شيء الا اعمالهم والسهر على مصالحهم ولذلك لم يبرحوا الصعيد شتاء ولا صيفاً . واذا برحوه فانما لأعمالهم وسرعان ما يعودون اليه . فهم لا يعرفون شيئاً اسمه الاقامة في القاهرة للتمتع بمشاهدها وملاهيها ولا يعرفون شيئاً اسمه الاصطياف في مصر أو خارجها . بل اقامتهم في ريفهم وبين أعمالهم ، واصطيافهم في مزارعهم وعلى ضفاف نيلهم

وقد ربى السيد مصطفى عمرو باشا أولاده على تربيته وتربية والده وجده فعلمهم تعليما متوسطاً وهو لا يميل الى التوسع في تعليم اولاده ، ولا الى ادخالهم في المدارس العليا ، ولا ان يأخذوا باسباب التمدن الحديث ، ولا ان يعيشوا عيشة البذخ والترف

ورأيه في ذلك انه لم يتعلم هو تعليما مدرسيا واسعاً ، ولم يتعلم والده ولا جده على هذا النمط المصري الذي تضيع فيه زهرة حياة الشبان دون ان يعرفوا شيئاً من الحياة العملية ، ودون ان يتعلموا في مدرسة الحياة تعليما صحيحاً ينفعهم في المستقبل

وهو يقول : لو انه عرف ان التوسع في التعليم ينهض بالشبان إلى بيئات نافعة ناجحة لعلم أولاده تعليما عاليا



السيد مصطفى عمرو باشا

هذا الكتاب

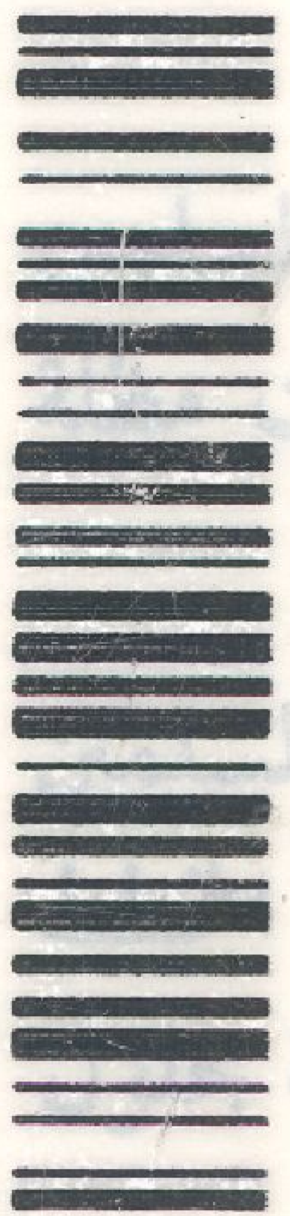
عبر دراسة متأنية واعية وبأسلوب علمى رصين يقدم لنا الدكتور - خالد نعيم أستاذ التاريخ الحديث بجامعة المنيا - كتابه القيم - الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية فى مصر - لقد بذل المؤلف جهداً مكثفاً لكى يقدم للقارئ المسلم دراسة هى الأولى من نوعها بعد أن استطاع الحصول على الوثائق السرية والتى تتناول تاريخ الصليبية الدولية الأسود وتكشف هذا الكم الضخم من المؤامرات والدسائس على عالمنا الإسلامى لكى تنتزع عقيدته ثم تزرع مكانها الضلال والضياع .

إن الدكتور خالد لم يألو جهداً فى البحث والتنقيب خلال المراجع العلمية الدقيقة والتى ساعدته كثيراً فى الوصول إلى هذه النتائج المبهرة والمثيرة أيضاً وكأى مؤرخ متخصص نستطيع أن نقول أنه قد استوفى كل جوانب القضية وقدم شيئاً جديداً قد يساهم فى توعية جيلنا المسلم والأجيال القادمة .

يحدثنا الكتاب عن خيوط المؤامرة الكبرى التى تحيكها القوى المسيحية الغربية ضد الإسلام والمسلمين فى مصر .

وقد رصد المؤلف تحركات الإرساليات التنصيرية الأجنبية بين المسلمين فى قرى ونجوع مصر منذ وفودها مع بداية القرن التاسع عشر [illegible] (الإمتيازات الأجنبية) وحتى اليوم .

إنها دراسة علمية جادة صيغت بأسلوب متميز لتنبيه أذهان [illegible] وقادتهم ليس فى مصر وحدها وإنما فى العالم الإسلامى كله من خطورة التنصير الرهيب الذى يستهدف تحويل المسلمين جميعاً إلى النصرانية [illegible] عام ٢٠٠٠ ولكن الله أكبر وأجل ..!!



المختار الإسلامى